



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

كتاب الدعوى

مؤلفه

أبو الفرج الأصفهاني عماد الدين محمد بن الحسين

المكتبة سنة ٨٧٦

مكتبة تحقيق دار الحديث الكويت

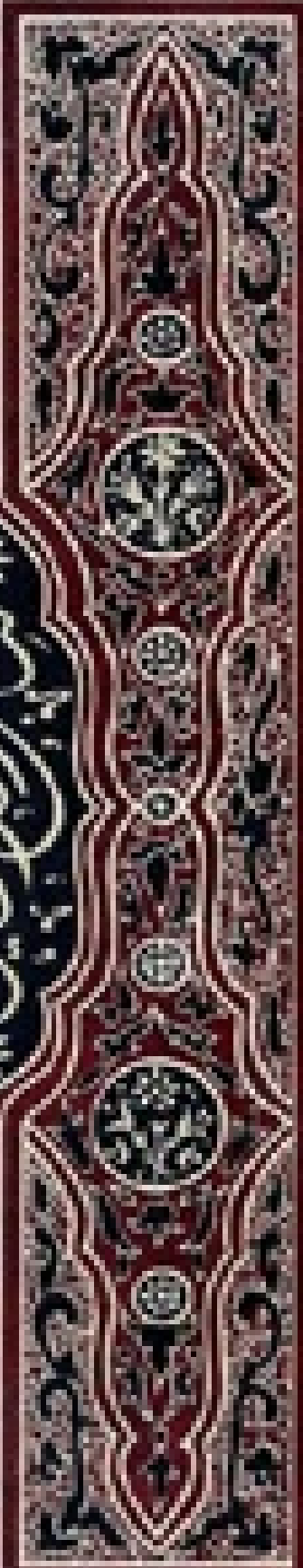
طبعة كلاسية راجعة، مخرقة، مخرقة
مخرقة على أسس مخرقات ومخرقة، مخرقة، مخرقة

«١٩-٢٠»

دار الحديث الكويت

الكويت - الكويت

كتاب الدعوى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب الأغاني

كاتب:

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

نشرت في الطباعة:

دار احياء التراث العربي

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
25	الأغانى المجلد 19
25	هوية الكتاب
25	اشارة
29	تممة التراجم
29	اشارة
29	1 - ذكر أبي محجن و نسبه
29	اشارة
29	نسبه
29	نفاه عمر بجزيرة حضوضي مع ابن جهراء ففر منه
31	أحب الشموس الأنصارية فشكاه زوجها لعمر
31	رجع إلى حديث فراره من ابن جهراء
31	قاتل العجم يوم أرماث بعد أن أطلقته امرأة بن أبي وقاص
31	اشارة
33	صوت
37	سعد بن أبي وقاص يعلم خير إطلاقه و صدق قتاله فيفرج عنه
37	خرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الأعاجم
37	يقسم على ألا يشرب الخمر بعد أن عفا عنه سعد
39	يرد على امرأة ظنت أنه فر من المعركة
39	يرثي أبا عبيد بن مسعود بعد أن قتله فيل الأعداء
41	يقسم في شعر له بأنه لا يشرب الخمر أبدا
41	معاوية و ابن أبي محجن
43	عمر بن الخطاب يحده و جماعة من أصحابه في شربهم الخمر

43 اشارة

45 قبره في أذربيجان نبتت عليه كرمة

45 اشارة

45 صوت

46 2 - أخبار زهير بن جناب و نسبه

46 اشارة

46 نسبه

46 سبب غزوة غطفان

46 قتل فارسهم الأسير وردّ نساءهم وقال شعرا في ذلك.

48 طعنه ابن زبابة و ظن أنه مات فحمل إلى قومه و عوفي

50 شعر ابن زبابة في نبوّ سيفه عنه

50 غزا بكرا و تغلب و شعره في ذلك

52 وفد مع أخيه حارثة على أحد ملوك غسان

52 ذهب عقله آخر عمره فكان يخرج فيرده أحد ولده

54 كان يدعى الكاهن لصحة رأيه

54 عمّر حتى ملّ عمره، و شعره في ذلك

56 خالفه ابن أخيه عبد الله بن عليم فشرّب الخمر

58 كان نازلا مع الجلاح بن عوف فأنذرتة أخته فخالفه الجلاح فرحل هو و قال شعرا

58 اجتمع مع عشيرته فقصده الجيش فهزمهم و قتل رئيسا منهم

60 كل أولاده شعراء و هذه نماذج من شعرهم

60 اشارة

64 صوت

65 3 - نسب مسلم بن الوليد و أخباره

65 اشارة

65 نسبه

- 65 كان يلقب صريع الغواني
- 65 اتهم بأنه أول من أفسد الشعر
- 65 كان منقطعا إلى يزيد بن يزيد
- 67 غازل جارية منزلها في مهب الشمال من منزله، و لم يكن يهواها
- 67 إشارة
- 67 صوت
- 67 كان يحب جاريته محبة شديدة
- 69 ذكر أمام المأمون و عرضت أبيات من شعره أعجبه
- 69 الرشيد بنبه يزيد بن يزيد إلى ما قاله فيه مسلم من مدح
- 71 يزيد بن يزيد يسمع مدحه فيه و يأمر له بجائزة
- 71 يزوره صديق من الكوفة فيبيع خفيه ليقدم له طعاما
- 73 يصل إليه رسول يزيد بن يزيد و يدفع إليه عشرة آلاف درهم
- 73 يذهب إلى يزيد و ينشده قصيدة في مدحه
- 75 يقص عليه سبب دعوته له
- 75 يدخل على الرشيد و يمدحه فيأمر له بجائزة
- 75 يهجو يزيد فيدعوه الرشيد و يحذره
- 75 اليلدق يصله يزيد بن يزيد و يسمعه شعره فيأمر له بجائزة
- 77 تصمخ يزيد بالطيب ثم غسله لئلا يكذب قول مسلم
- 77 يشير على يزيد بن يزيد بإحراق كتاب وصله
- 79 انتقطع إلى محمد بن يزيد بعد موت أبيه ثم هجره
- 79 مات يزيد ببردعة فرثاه مسلم
- 81 قصة راويته الذي أرسله إلى داود بن يزيد المهلبى
- 81 أنشد الفضل بن سهل شعرا فولاه البريد بجرجان
- 83 قال بيتا من الشعر أخذ معناه من التوراة
- 83 قذف في البحر بدفتر فيه شعره فقل شعره

- 83 كان يكره لقب صريع الغواني
- 83 عتب عليه عيسى بن داود ثم رضي عنه
- 85 كان بخيلا
- 85 يذمه دعبل عند الفضل بن سهل فيهجوه
- 85 ما جرى بينه وبين دعبل بسبب جارية
- 89 يهجو بعض الكتاب لأنه لم يعجبه شعره
- 89 كان أستاذا للدعبل ثم تخاصما و لم يلتقيا
- 91 محمد بن أبي أمية يمزح معه
- 91 لقي محمد بن أبي أمية بعد موت بردونه فردّ عليه مزاحه
- 93 أبو تمام يحفظ شعره و شعر أبي نواس
- 93 اجتمع مع أبي نواس فتناشدا شعرهما
- 93 أمر له ذو الرناستين بمال عظيم بعد أن أنشده شعرا شكاه فيه حاله
- 95 هجأ معن بن زائدة و يزيد بن يزيد فهدده الرشيد
- 95 رثاؤه يزيد بن يزيد
- 97 مدح الفضل بن سهل
- 97 رثاؤه الفضل بن سهل
- 99 عابه العباس بن الأحنف في مجلس فهجاه
- 99 ينصرف عن هجاء خزيمة بن خازم و يتمسك بهجاء سعيد بن سلم
- 99 مدح محمد بن يزيد بن يزيد ثم انصرف عنه
- 101 مدح الفضل بن يحيى فأجزل له العطاء و وهبه جارية أعجبتة بعد أن قال فيها شعرا
- 103 ماتت زوجته فجزع عليها و تسك
- 103 هاجاه ابن قنبر فأمسك عنه بعد أن بسط لسانه فيه
- 105 مسلم و ابن قنبر يتهاجيان في مسجد الرصافة
- 105 لاهه رجل من الأنصار على انخزاله أمام ابن قنبر فعاد إلى هجائه
- 105 رجع الحديث عما وقع بينه و بين ابن قنبر

- 107 سبب المهاجة بينه وبين ابن قنبر -
- 111 يهجو قريشا و يفخر بالأنصار
- 113 ابن قنبر يجيبه
- 115 قصيدته في هجاء تميم
- 117 ابن قنبر يهجو
- 117 ابن قنبر يتابع هجاءه
- 117 اشارة
- 119 صوت
- 120 4 - أخبار محمد بن وهيب
- 120 اشارة
- 120 شعراء الدولة العباسية
- 120 مدح الحسن بن رجاء ثم المأمون فأكرمه
- 120 منزلته
- 120 المعتصم يسمع مديحه و يجيزه دون غيره
- 122 رجع الحديث عن صلته بالحسن بن رجاء
- 122 اشارة
- 122 صوت
- 124 دخل على أبي دلف فأعظمه لإعجابه بشعره
- 124 اشارة
- 124 صوت
- 125 هنا المطلب بن عبد الله بعد عودته من الحج فوصله بصلة كبيرة
- 126 مدح الحسن بن سهل فأطربه و لم يقصد غيره إلى أن مات
- 130 تردد على علي بن هشام فحجبه فهجاه هجاء موجعا
- 132 تعرض لأعرابية فأجابته جوابا مسكتا
- 132 تردد على مجلس يزيد بن هارون ثم تركه

- 134 مذهبه من شعره
- 134 اعتزازه بشعره
- 136 وصف غلمان أحمد بن هشام فوهبه غلاما فمدحه
- 136 الحسن بن سهل يصله بالمأمون فيمدحه
- 138 المأمون يستشير فيه الحسن بن سهل ثم يلحقه بجوائز مروان بن أبي حفصة
- 138 من مدائحه للمأمون
- 140 مدح المطلب بن عبد الله فوصله وأقام عنده مدة
- 140 اشارة
- 140 صوت
- 142 المأمون يتمثل من شعره
- 144 قصيدته في ابن عباد وزير المأمون حين أبعدته
- 146 مدح الأفيشين فأجازاه المعتصم
- 146 يذكر الدنيا و يصف حاله و هو عليل
- 148 ابن أبي فنن و أبو يوسف الكندي يطعان عليه فيرد عليهما من ينصفه
- 148 يستعجز محمد بن عبد الملك الزيات حاجته
- 148 اشارة
- 150 صوت
- 151 5 - أخبار مزاحم و نسبه
- 151 نسبه
- 151 بيتان له تمنى جرير أنهما له
- 151 إسحاق يعجب بشعره
- 153 منعه عمه من زواجه بابنته لفقره
- 153 تزوجت ابنة عمه في غيابه فقال فيها شعرا
- 155 سجنه ثم هربه
- 155 هوى امرأة من قومه و تزوجت غيره

- 157 جرير يتمنى أن يكون له بعض شعر مزاحم
- 157 هوى امرأة من قومه يقال لها ليلي وتزوجت غيره
- 157 اشارة
- 157 صوت
- 157 هوى امرأة أخرى من قشير وتزوجت غيره
- 159 الفرزدق وجرير وذو الرمة يفضلونه على أنفسهم
- 159 اشارة
- 159 صوت
- 161 6 - أخبار بكر بن النطاح ونسبه
- 161 اسمه ونسبه
- 161 قصته مع أبي دلف
- 162 قصته مع الرشيد ويزيد بن يزيد
- 162 شعره في جارية تدعى رامشنة
- 164 المأمون يعجب بشعره وينقد سلوكه
- 164 مدح أبا دلف فأعطاه جائزة
- 164 اشارة
- 164 صوت
- 164 عشق غلاما نصرانيا وقال فيه شعرا
- 166 رده أبو دلف فغضب عليه وانصرف عنه
- 166 رده قرّة بن محرز فغضب عليه وانصرف عنه كذلك
- 166 مدح أبا دلف ببنتين فأعطاه جائزة
- 168 رثى معقل بن عيسى
- 168 هجاه عباد بن الممزق لبخله
- 168 مدح مالك بن طوق ثم هجاه
- 170 اعتذر إليه وأعطاه فمدحه

- 170 كان مع مالك الخزاعي يوم أن قتل فرثاه
- 174 تشوقه بغداد و هو بالجبل
- 174 هوى جارية من القيان و قال فيها شعرا
- 174 اشارة
- 178 صوت
- 179 صوت
- 181 7 - مقتل مصعب بن الزبير
- 181 خرج لمحاربة عبد الملك بن مروان
- 181 استشارة عبد الملك بن مروان في المسير إلى العراق
- 182 القتال بينه و بين عبد الملك
- 184 مقتل مصعب
- 185 مقتل مسلم بن عمرو الباهلي
- 185 مصعب و سكينه بنت الحسين
- 187 عبيد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعبا
- 187 اشارة
- 187 صوت
- 189 ابن قيس يرثي مصعبا
- 189 مصعب يسأل عن قتل الحسين
- 189 الحجاج يتأسى بموقف مصعب
- 189 خطبة عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب
- 191 رجل من بني أسد يرثي مصعبا
- 191 كان مصعب أشجع الناس
- 193 ابن قيس الرقيات يمدح مصعبا
- 193 قصة يونس الكاتب و الوليد بن يزيد
- 193 اشارة

- 195 صوت
- 196 8 - ذكر أشعب وأخباره
- 196 نسبه
- 196 أمه كانت مستظرفة من زوجات النبي
- 196 سنّ أشعب
- 197 أمه يطاف بها بعد أن بغت
- 199 كان أشعب حسن الصوت بالقرآن
- 199 اشارة
- 199 صوت
- 199 أشعب و سالم بن عبد الله
- 201 أشعب يدعو الله أن يذهب عنه الحرص ثم يستقبل ربه
- 201 صفته
- 201 أشعب و الدينار
- 203 أشعب يطرب الناس بغنائه
- 203 أشعب و زياد بن عبد الله الحارثي
- 205 من طرائف أشعب
- 208 بين أشعب و ابنه
- 208 حديثه عن وفاة بنت الحسين بن علي
- 211 أرضع أشعب جديا لبن زوجته
- 211 حزن أشعب لوفاة خالد بن عبد الله
- 212 أشعب في المسجد
- 212 جز أشعب لحيته
- 212 طرائف من طمعه و بخله
- 217 أشعب يبكي نفسه
- 217 أشعب و سكينه بنت الحسين

- 217 اشارة
- 219 صوت
- 221 أشعب و الغاضري
- 223 من أخلاق أمه
- 223 كان من المعتزلة
- 223 أشعب و عبد الله بن عمر
- 225 من نوادره
- 225 من حيله
- 227 ابنه يذكر بعض طرائف أبيه
- 229 يتسور البستان طلبا للطعام
- 231 يقوقن مثل الدجاجة
- 231 عبد يسلح في يده
- 231 أشعب و سالم بن عبد الله بن عمر
- 233 كانت له ألحان مطربة و شهد له معبد
- 233 أشعب يلازم جريرا و يغنيه في شعره
- 233 اشارة
- 235 صوت
- 235 أشعب و أم عمر بنت مروان
- 235 أشعب و الوليد بن يزيد
- 239 أشعب و رجل من ولد عامر بن لؤي
- 240 أشعب يسقط الغاضري
- 240 أشعب و زياد بن عبد الله الحارثي
- 240 غضبت سكينه عليه فأمرت بحلق لحينه
- 242 بين زياد بن عبد الله الحارثي و كاتبه
- 242 أشعب و أبان بن عثمان و الأعرابي

- 243 يخشى أن تحسده العجوز على خفة موته
- 243 أمثلة من طرائفه وطمعه
- 244 الحسن بن الحسن بن علي يعيب به
- 244 إشارة
- 246 صوت
- 248 9 - أخبار عوف بن نسيه
- 248 نسيه
- 248 بيوتات العرب المشهورة بالشرف ثلاثة
- 248 كسرى يسأل النعمان عن شرف القبيلة
- 251 سبب تسميته عوف القوافي
- 253 قصته مع عبد الملك بن مروان
- 253 قصته مع طلحة أخي بني زهرة
- 257 اعترض عمر بن عبد العزيز و أسمعه شعرا
- 259 هجا بني مرة
- 259 عقيل بن علفة يجيبه بقصيدة
- 261 يوم مرج راهط
- 261 موقف الضحاك بن قيس الفهري
- 262 ما قيل في يوم المرج
- 266 حميد بن بحدل يغير على بوادي قيس
- 268 ذكر في شعره إيقاع حميد ببني فزارة
- 270 أسماء بن خارجة يشكو حميدا إلى عبد الملك
- 270 إشارة
- 270 صوت
- 272 فزارة تنتقم من قيس
- 272 موقف عبد الملك بن مروان و عرضه الدية

- 274 وقال حلحلة وهو في السجن:
- 275 ملح عينة بن أسماء رغم تطلقه أخته ..
- 276 ملح عبد الرحمن ابن مروان وهو صغير السن ..
- 278 رثى سليمان بن عبد الملك و ملح عمر بن عبد العزيز ..
- 278 اشارة ..
- 278 صوت ..
- 281 10 - أخبار عبد الله بن جحش ..
- 281 طلاق صهباء من ابن عمها ..
- 281 يهيم بصهباء و يتقدم لخطبتها ..
- 281 زواجه بصهباء ..
- 282 كان عبد الملك بن مروان معجبا بشعره ..
- 282 ذهب ابنه إلى عبد الملك فطرده لتضييعه أدب أبيه ..
- 282 اشارة ..
- 282 صوت ..
- 282 صوت ..
- 284 صوت ..
- 286 11 - بعض أخبار للعرجي ..
- 286 امرأة تتمثل بشعره ..
- 289 12 - أخبار عبد الله بن العباس الربيعي ..
- 289 نسبه ..
- 289 كان شاعرا مطبوعا و مغنيا جيد الصنعة ..
- 290 سبب تعلمه الغناء ..
- 292 جدّه ينفي معرفته بأنه يغني ..
- 292 غنى أمام الرشيد فطرب و كافأه و كساه ..
- 293 المعتصم يأمره بالتكفير عن يمينه و الغناء لأصحابه جميعا ..

- 293 صنع غناء في شعر لأبي العتاهية و غناه
- 293 اشارة
- 295 صوت
- 295 إسحاق الموصلي يصنع له لحنا من شعره
- 295 أصبح العباس بن الفضل مهموما فنشطه الشعر و الشراب
- 297 وسط أحمد بن المرزبان المنتصر
- 297 غناؤه مع إسحاق
- 297 يناشد الشعر مع إسحاق بعد أن غنى
- 299 اصطحب مع خادم صالح بن عفيف على زنا بنت الخس
- 299 طلب من فائز غلام محمد بن راشد الغناء و هم يشربون
- 301 شرب الخمر في ليلة من رمضان إلى الفجر
- 301 صنع لحنا للواتق و غناه في يوم نيروز فلم يستعد غيره
- 301 تأثر من شعر لجميل إلى أن بكى
- 301 اشارة
- 301 صوت
- 303 كان مصطبجا دهره و يقول الشعر في الصبوح
- 303 اشارة
- 303 صوت
- 304 كتب شعرا في ليلة مقمرة و صنع فيه لحنا
- 304 اشارة
- 305 صوت
- 305 وصف البرق و صنع فيه لحنا غناه للواتق
- 305 صنع لحنا في شعر الحسين بن الضحاك و غناه
- 307 قصته مع جارية نصرانية أحبها
- 307 تطير من الغراب و استبشر بالهدهد

- 309 غنى للمتوكل لحننا لم يعجبه فذكره بألحان له سابقة
- 310 غنى للمنتصر بشعر لم يطلبه منه فلم يصله بشيء
- 311 غنى للمتوكل فأطربه و أمر له بجائزة
- 311 غنى بشعر للسليك
- 311 اشارة
- 311 صوت
- 313 غنى لمحمد بن الجهم فاحتمل خراجه في سنة
- 313 اشارة
- 313 صوت
- 313 عشق جارية عند أبي عيسى بن الرشيد فوجه بها معه إلى منزله
- 313 اشارة
- 315 صوت
- 315 اشترت عمته عساليج ثم وهبتها له
- 317 غنى الوائق في يوم نبروز فأمر له بجائزة
- 317 اشارة
- 317 صوت
- 317 عشق مصاييح و قال فيها شعرا
- 317 اشارة
- 319 صوت
- 319 غنى في دار محمد بن حماد
- 319 غنى الوائق بشعر ذكرت فيه أعياد النصارى فخشي أن ينتصر
- 319 اشارة
- 321 صوت
- 321 حكى حاله في غناء بحضرة حمدون بن إسماعيل
- 321 عشق غلام حزام خادم المعتصم

- 323 إبراهيم الموصلي يغني أمام الرشيد لحنًا من صنعه فيرسل إليه و يلازمه
- 324 اقترض الواثق مالا يعطيه له .
- 324 خرج يوم الشعانين ليرى محبوبته النصرانية .
- 324 اشارة .
- 326 صوت .
- 326 شرب ليلة الشك في رمضان في يوم نيروز .
- 326 صنع لحنًا من شعره للواثق فأمر له بجائزة .
- 326 اشارة .
- 327 صوت .
- 328 صنع لحنًا جميلًا من شعر يوسف بن الصقيل .
- 328 اشارة .
- 328 صوت .
- 328 غنى للواثق لحنًا من شعر الأحوص فأعطاه ألف دينار .
- 328 اشارة .
- 328 صوت .
- 329 فضّلهُ المتوكل على سائر المغنين .
- 330 أشار بذكره ابن الزيات عند المعتصم .
- 330 طلب منه سوار بن عبد الله القاضي أن يصنع له لحنًا في شعر قاله .
- 330 اشارة .
- 330 صوت .
- 332 صنع لحنًا جيدًا في شفاء بشر خادم بن عجيف .
- 332 اشارة .
- 332 صوت .
- 332 غنى الواثق بعد شفائه لحنًا في شعر قاله فأجازه .
- 332 اشارة .

- 332 صوت
- 332 فاجأته محبوبته النصرانية بالوداع فقال شعرا و غناه
- 332 اشارة
- 334 صوت
- 334 طلب من علي بن عيسى الهاشمي تأجيل الصوم و مباشرة الشرب فأجابه
- 334 دخل على المتوكل في آخر شعبان و طلب منه الشراب فأجابه
- 335 حرم المرابين من مائة ألف دينار
- 336 عتب على إخوانه لأنهم لم يعودوه في مرضه فجاءوه معتذرين
- 336 غنى عند علوية بشعر في النصرانية التي كان يهواها
- 336 اشارة
- 336 صوت
- 338 علّم وصيفته هيلانة الغناء
- 338 نسبة هذا الصوت
- 338 صوت
- 338 صوت
- 340 13 - أخبر سلم الخاسر و نسبه
- 340 اشارة
- 340 نسبه، و مقدرته الشعرية
- 340 سبب تلقيبه سلم الخاسر
- 340 صداقته للموصلي و أبي العتاهية و انقطاعه للبرامكة
- 340 من قول أبي العتاهية له
- 342 يرد مصحفًا من ميراث أبيه و يأخذ مكانه دفاتر شعر
- 342 أجزاه المهدي أو الرشيد بمائة ألف درهم ليكذب تلقيبه بالخاسر
- 342 ورث مصحفًا فباعه و اشترى بثمنه طنبورًا فلقب الخاسر
- 342 اشارة

- 342 صوت
- 344 سبب غضب بشار عليه ثم رضاه عنه
- 346 شعره في قصر صالح بن المنصور
- 346 ينشد عمر بن العلاء قصيدة لبشار فيه، ثم ينشده لنفسه
- 346 إشارة
- 348 صوت
- 348 صداقته لعاصم بن عتبة و مدحه إياه
- 348 يزيد بن يزيد يحسد عاصم بن عتبة على شعره فيه
- 350 كان يقدم أبا العتاهية على بشار ثم فسد ما بينهما
- 350 يرد على أبي العتاهية حين اتهمه بالحرص في شعر له
- 352 ابن أخته ينتصر له من أبي العتاهية
- 352 مبلغ ما وصل إليه من الرشيد والبرامكة
- 352 يطلب إلى أبي محمد اليزيدي أن يهجو فيفعل فيندم
- 354 ترفهه وتخشن مروان بن أبي حفصة
- 356 ابتلاؤه بالكيمياء ثم انصرافه عنها
- 356 يرثي البانوكية بنت المهدي
- 358 كان يهاجي والبة بن الحجاب
- 358 يعتذر إلى المهدي من مدحه لبعض العلويين
- 358 كان لا يحسن الملح و يحسن الرثاء
- 360 بعد الرثاء في حياة من يعنيه رثاؤهم
- 360 إعجاب المأمون ببيت: تعالى الله يا سلم
- 360 يسكت أبا الشمقمق عن هجائه بخمسة دنانير
- 360 من شعره حين ولي يعقوب بن داود بعد أبي عبيد الله
- 362 شعره في الفضل بن الربيع حين أخذ البيعة للمهدي
- 364 شعره حين عقدت البيعة للأمين

- 364 المهدي يأمر له بخمسمائة ألف درهم لتصيدته فيه .
- 364 طلب إلى الرشيد أن يفضله في الجائزة على مروان بن أبي حفصة فأجابه .
- 364 فخره على مروان بجائزته ورد مروان عليه .
- 366 مات عن غير وارث فوهب الرشيد تركته .
- 366 رثاؤه معن بن زائدة و مالكا و شهابا ابني عبد الملك بن مسمع .
- 368 أمر له الرشيد بمائة ألف درهم في قصيدة أنشده إياها .
- 368 من شعره في الفضل بن يحيى و جائزته عليه .
- 370 شعر له يعده معن بن زائدة أحسن ما ملح به .
- 370 شعر له في الفضل بن يحيى و قد أشار برأي أخذ به .
- 370 اشترى سكوت أبي الشمقمق عن هجائه .
- 372 أنشد الرشيد فطير و أمر بإخراجه .
- 372 شعره في الهادي حين يبيع له .
- 372 يقر بأستاذية بشار له .
- 374 وصفه هو و النمري على الرشيد للمنازل .
- 374 رثاه أشجع السلمي .
- 374 إشارة .
- 375 صوت .
- 377 14 - أخبار أبي صدقة .
- 377 إشارة .
- 377 اسمه و ولاؤه .
- 377 يذكر أسباب كثرة سؤاله .
- 377 يتغنى مع مغني الرشيد فيشتد طرب الرشيد لغنائه .
- 379 صادره الحسن بن سليمان على جعل يأخذه و يكف عن السؤال فلم يف له .
- 381 نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الغناء .
- 381 صوت .

- 383 يذكر للرشيذ أسباب إلهاهه في المسأله
- 383 كثره عبث الرشيذ به
- 384 عبث جعفر بن يحيى و الرشيذ به
- 384 اشارة
- 384 صوت
- 386 قصة وصوله إلى السلطان
- 386 اشارة
- 388 صوت
- 389 15 - أخبار فضل الشاعره
- 389 اشارة
- 389 نشأتهه و صفاتهه
- 389 كانت تجلس للرجال و يحييهه الشعراء
- 389 شعرها في المتوكل حين دخلت عليه
- 391 شعرها على لسان المعتمد في جارية
- 391 شعر لها تجيب به عن شعر في الشوق إليها
- 391 اشارة
- 393 صوت
- 393 شعر آخر تبادل فيه شوقا بشوق
- 393 تجيز بيتهه أنشده المتوكل
- 395 تجيب بيتهه عن بيتهه ألقى عليها
- 395 ارتجالها شعرا تجيز به بيتهه
- 396 تشوق إلى حبيب
- 397 تعتذر من حجب زاترين عنها دون علمها
- 398 شعرها للمتوكل و قد ينسب من إقناظه لموعده بينهما
- 399 تهاجي جارية هشام المكفوف

401	زارت سعيد بن حميد فأعجلها طلب الخليفة
401	ترثي المنتصر و تكيه
401	شعرها في حضرة المتوكل يوم نيروز
401	اشارة
403	صوت
403	تتشوق إلى سعيد بن حميد
403	تميل إلى بنان ويفتر ما بينها وبين سعيد بن حميد
405	تعتذر إلى بنان و قد غضب عليها فلا يقبل عذرها
405	تجيز بيتا لعلي بن الجهم طلب إليها إجازته
405	اشارة
406	صوت
408	فهرس موضوعات الجزء التاسع عشر
409	تعريف مركز

الأغاني المجلد 19

هوية الكتاب

الأغاني

المؤلفين الآخرين

مدقق لغوي و مترجم:

مكتبة تحقيق دار احياء التراث العربي

المجلدات : 25 ج

لسان: العربية

ناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان

سنة النشر: 1415 هجرى قمرى 1994 ميلادى

رمز الكونغرس: PJA 3892 / الف 1374 6

إعداد النص الرقمي : ميثم الحيدري

ص: 1

إشارة

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *

1 - ذكر أبي محجن و نسبه

إشارة

1 - ذكر أبي محجن و نسبه (1)

نسبه

أبو محجن عبد الله (2) بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عنزة بن عوف بن قسي و هو ثقيف، و قد مضى نسبه في عدة مواضع.

و أبو محجن من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية و الإسلام، و هو شاعر فارس شجاع معدود في أولي البأس و النجدة، و كان من المعاقرين للخمر المحدودين في شربها.

نفاه عمر بجزيرة حضوضي مع ابن جهراء ففر منه

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن الحسن الأحول، عن ابن الأعرابي، عن المفضل، قال:

لما كثر شرب أبي محجن الخمر، و أقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليه الحدّ مرارا و هو لا ينتهي، نفاه إلى جزيرة في البحر يقال لها حضوضي (3)، و بعث معه حرسيا (4) يقال له ابن جهراء، فهرب منه على ساحل البحر، و لحق بسعد بن أبي وقاص، و قال في ذلك يذكر هربه من ابن جهراء:

الحمد لله نجاني و خلصني *** من ابن جهراء و البوصي (5) قد حبسا

من يجشم البحر و البوصي مركبه *** إلى حضوضي فبئس المركب التمسا

/أبلغ لديك أبا حفص مغلغلة *** عبد الإله إذا ما غار أو جلسا

أني أكرّ على الأولى إذا فزعوا *** يوما و أحبس تحت الرّاية الفرسا

أغشى الهياج و تغشاني مضاعفة *** من الحديد إذا ما بعضهم خنسا (6)

- 1- هذه الترجمة جاءت بالجزء الحادي والعشرين و موضعها هنا كما جاءت في ف و غيرها من النسخ المخطوطة الموثوق بها.
- 2- في «المؤتلف و المختلف» للآمدي ط. الحلبي / 133: حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة الثقفي.
- 3- قال الحازمي: حضوضى: جزيرة في البحر، وفي «معجم ياقوت»: حضوضى: جبل في الغرب، كانت العرب في الجاهلية تنفي إليه خلعاءها.
- 4- الحرسي: واحد حرس السلطان.
- 5- البوصي: ضرب من السفن (فارسي معرب).
- 6- خنس: تأخر و تخلف.

أحب الشموس الأنصارية فشكاه زوجها لعمر

هذه رواية ابن الأعرابي عن المفضل، قال ابن الأعرابي: وحدثني ابن دأب بسبب نفي عمر إياه، فذكر أن أبا محجن هوي امرأة من الأنصار يقال لها شمس، فحاول النظر إليها بكل حيلة، فلم يقدر عليها، فأجر نفسه من عامل يعمل في حائط(1) إلى جانب منزلها، فأشرف من كوة(2) في البستان، فرآها فأنشأ يقول:

ولقد نظرت إلى الشموس ودونها *** حرج من الرحمن غير قليل

قد كنت أحسبني كأغنى واحد *** ورد المدينة عن زراعة فول

رجع إلى حديث فراره من ابن جهراء

فاستعدى زوجها عليه عمر بن الخطاب، فنفاه إلى حضوضى، وبعث معه رجلا يقال له ابن جهراء قد كان أبو بكر رضي الله عنه يستعين به، قال له عمر: لا تدع أبا محجن يخرج معه سيفاً، فعمد أبو محجن إلى سيفه فجعل نصله في غرارة و جعل جفنة في غرارة أخرى، فيهما دقيق له.

فلما انتهى به إلى الساحل وقرب البوصي اشترى أبو محجن شاة وقال لابن جهراء: هلمّ نتغذّ وثب إلى الغرارة كأنه يخرج منها فأخذ السيف، فلما رآه ابن جهراء والسيف في يده خرج يعدو حتى ركب بعيره راجعا إلى عمر، فأخبره الخبر.

قاتل العجم يوم أرمات بعد أن أطلقتها امرأة بن أبي وقاص

إشارة

وأقبل أبو محجن إلى سعد بن أبي وقاص وهو يقاتل العجم يوم القادسية، وبلغ عمر خبره، فكتب إلى سعد بحبسه، فحبسه، فلما كان يوم أرمات(3)؛ والتحم القتال سأل أبو محجن امرأة سعد أن تعطيه فرس سعد وتحلّ قيده ليقاتل المشركين، فإن استشهد فلا تبعة عليه، وإن سلم عاد حتى يضع رجله في القيد، فأعطته الفرس، و خلّت سبيله، وعاهدها على الوفاء، فقاتل فأبلى بلاء حسنا إلى الليل، ثم عاد إلى حبسه.

حدثني بهذا الحديث عمي عن الخراز، عن المدائني، عن إبراهيم بن حكيم، عن عاصم بن عروة:

أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه غرّب رجلا من ثقيف وهو أبو محجن، وكان يدمن الخمر وأمر ابن جهراء النَّصريّ ورجلا آخر أن يحملاه في البحر، وذكر الخبر مثل الذي قبله، وزاد فيه: وقال أبو محجن أيضا:

ص: 6

1- الحائط: البستان.

2- الكوة: الخرق.

3- ف: يوم «قس الناطف»، وفي «معجم البلدان» 1-211: أرمات كأنه جمع رمث: اسم نبت بالبادية، كان أول يوم من أيام القادسية

يسمونه يوم أرمات، وذلك في أيام عمر بن الخطاب وإمارة سعد بن أبي وقاص، قال ياقوت: ولا أدري أ هو موضع أم أرادوا النبت المذكور. قال عمرو بن شأس الأسدي: عشية أرمات ونحن نذودهم زياد العوفي عن مشاربها عكلا وفيه 4-97: قس الناطف: موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي كانت به وقعة بين الفرس والمسلمين في سنة 13 هـ في خلافة عمر بن الخطاب، وأمير المسلمين أبو عبيد بن مسعود بن عمرو، ويعرف هذا اليوم بيوم الجسر.

صاحباً سوء صحبتهما *** صاحباني يوم أرتحل

و يقولان: ارتحل معنا *** فأنادي (1): إنني ثمل

إنني باكرت مترعة *** مزّة راووقها خضل (2)

/الغناء في البيتين الأخيرين لنشو خفيف رمل و أوله:

و يقولان اصطحب معنا

قال الأصبهاني: وهذه القصة كانت لأبي محجن في يوم من أيام حرب القادسية يقال له: يوم أرمات، وكانت أيامها المشهورة يوم أغواث و يوم أرمات و يوم الكتائب و غيرها يطول جدًّا؛ وليس في كلِّها كان لأبي محجن خبر، وإنما ذكرنا هاهنا خبره، فذكرنا منها ما كان اتّصّاله بخبر أبي محجن.

حدّثنا بذلك محمد بن جرير الطّبري، قال: كتب إليّ السّريّ بن يحيى؛ يذكر عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن طلحة و زياد و ابن مخراق، عن رجل من طيِّ قال:

لَمَّا كان يوم الكتائب اقتتل المسلمون و الفرس منذ أصبحوا إلى أن انتصف النّهار، فلما غابت (3) الشّمس تراحف الناس فاقتتلوا حتى انتصف اللّيل؛ و هذه اللّيلة التي كان في صبيحتها يوم أرمات، و قد كان المسلمون يوم أغواث أشرفوا على الظّفر و قتلوا عمّة أعلام الفرس، و جالت خيلهم في القلب، فولوا- أنّ رجلهم (4) ثبتوا حتى كرت الخيل لكان رئيسهم قد أخذ؛ لأنّه كان ينزل عن فرسه؛ و يجلس على سريره، و يأمر الثّاس بالقتال؛ قالوا: فلمّا انتصف اللّيل تحاجز الناس، و بات المسلمون ينتمون منذ لدن أمسوا.

و سمع ذلك سعد فاستلقى لينام، و قال لبعض من عنده: إن تمّ الناس على الانتماء فلا توقظني فإنهم أقوىاء على عدوّهم؛ و إن سكتوا و سكت العدو فلا تتبهنّي فإنهم على السوء؛ و إن سمعت العدو ينتمون و هؤلاء سكوت فأنبهنّي فإن انتماء العدو من السوء.

/قالوا: و لما اشتدّ القتال في تلك اللّيلة، و كان أبو محجن قد حبسه سعد بكتاب عمر، و قيده فهو في القصر، صعد أبو محجن إلى سعد يستعفيه و يستقبله، فزبره (5) و ردّه، فنزل فأتى سلمى بنت أبي حفصة فقال:

يا بنت آل أبي حفصة، هل لك إليّ خير؟ قالت: و ما ذاك؟ قال: تخلّين عنيّ و تعيرينني البلقاء، فللّه عليّ إن سلّمني الله أن أرجع إلى حضرتك حتى تضعي رجليّ في قيدي. فقالت: و ما أنا و ذاك؟ فرجع يرسف في قيوده و يقول:

كفى حزناً أن تردّي (6) الخيل بالبقنا *** و أترك مشدوداً عليّ و ثاقباً

2- الراووق: الباطية أو الكأس، والخضل: المبتلّ النديّ .

3- ف: «فلما قامت الشمس».

4- الرجل: جمع الراجل وهو الماشي على رجله.

5- زيره عن كذا: منعه ونهاه.

6- في ما، مج، المختار: «ترتدي». وردي الفرس: رجم الأرض بحوافره في سيره وعدوه.

إذا قمت عَنائي الحديد و غَلقت *** مصاريح من دوني تصمّ المناديا

وقد كنت ذا مال كثير و إخوة *** فقد تركوني واحدا لا أخاليا

وقد شفّ جسمي أنني كلّ شارق *** أعالج كبلا مصمتا قد برانيا(1)

فلله درّي يوم أترك موثقا *** و تذهل عني أسرتي و رجاليا

حببسا عن الحرب العوان و قد بدت *** و إعمال غيري يوم ذاك العواليا

و لله عهد لا أخيس بعهده *** لئن فرجت ألا أزور الحوانيا(2)

فقلت له سلمى: إني قد استخرت الله و رضيت بعهدك، فأطلقته و قالت: أما الفرس فلا أعيرها، و رجعت إلى بيتها، فاقتاها أبو محجن و أخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق، فركبها ثم دبّ عليها، حتى إذا كان بحيال الميمنة، و أضاء النهار، و تصافّ النَّاس، كبر، ثم حمل على ميسرة القوم فلعب برمحه و سلاحه/بين الصّقّين، ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب فبدر(3) أمام الناس، فحمل على القوم فلعب بين الصّقّين برمحه و سلاحه، و كان يقصف الناس ليلتذّ قصفاً منكراً؛ فعجب الناس منه و هم لا يعرفونه و لم يروه بالأمس، فقال بعض القوم: هذا من أوائل أصحاب هشام بن عتبة أو هشام بنفسه. و قال قوم: إن كان الخضر يشهد الحروب فهو صاحب البلقاء. و قال آخرون: لو لا- أنّ الملائكة لا- تباشر القتال ظاهراً لقلنا هذا ملاك بيننا؛ و جعل سعد يقول - و هو مشرف ينظر إليه -: الطّعن طعن أبي محجن، و الصّبر ضبر البلقاء(4). و لو لا- محبس أبي محجن لقلت: هذا أبو محجن و هذه البلقاء، فلم يزل يقاتل حتى انتصف الليل، فتحاجز أهل العسكرين و أقبل أبو محجن حتى دخل القصر، و وضع عن نفسه و دابّته، و أعاد رجله في القيد، و أنشأ يقول:

لقد علمت ثقيف غير فخر *** بأننا نحن أكرمهم سيوفا

و أكثرهم دروعا سابغات *** و أصبرهم إذا كرهوا الوقوفا

و أنا رفدهم في كلّ يوم *** فإن جحدوا فسل بهم عريفا(5)

و ليلة قادس لم يشعروا بي *** و لم أكره بمخرجي الرّحوفا

فإن أحبس فقد عرفوا بلائي *** و إن أطلق أجزّعهم حتوفا(6)

فقلت له سلمى: يا أبا محجن؛ في أيّ شيء حبسك هذا الرّجل؟ فقال: أما و الله ما حبسني بحرام أكلته و لا

ص: 8

1- الشارق: الشمس حين تشرق، و الكبل: القيد.

2- لا أخيس بالعهد: لا أنقضه. و الحوانيا: الخمارات.

3- في تاريخ الطبري 3-548 ط. المعارف: «فندر أمام الناس»، أي تقدم.

4- الضبر: جمع القوائم و الوثب.

5- في تاريخ الطبري 3-549 ط. المعارف: و أنا وفدهم في كل يوم فإن عميوا فسل بهم عريفا

6- في تاريخ الطبري 3-549 ط. المعارف: فإن أحبس فذلكم بلائي وإن أترك أذيقهم الحتوفا

شربته، و لكنني كنت صاحب شراب في الجاهلية وأنا/امرؤ شاعر يدبّ الشعر على لساني فينفثه(1) أحيانا، فحبسني لأنني قلت:

إذا متّ فادفني إلى أصل كرمة *** ترؤي عظامي بعد موتي عروقتها

و لا تدفني في الفلاة فإنني *** أخاف إذا ما متّ ألا أدوقها(2)

ليروى بخمر الحصّ (3) لحمي فإنني *** أسير لها من بعد ما قد أسوقها

سعد بن أبي وقاص يعلم خبر إطلاقه و صدق قتاله فيفرج عنه

قال: و كانت سلمى قد رأت في المسلمين جولة، و سعد بن أبي وقاص في القصر لعلّة كانت به، لم يقدر معها على حضور الحرب، و كانت قبله عند المثنى بن حارثة الشيباني! فلما قتل خلف عليها سعد، فلما رأت شدّة البأس صاحت: وا مثنياه و لا مثنى لي اليوم، فلطمها سعد، فقالت: أفّ لك، أجبنا و غيره؟ و كانت مغاضبة لسعد عشية أرماث و ليلة الهدأة و ليلة السواد، حتى إذا أصبحت أتته و صالحته، و أخبرته خبر أبي محجن، فدعا به و أطلقه و قال: اذهب فلست مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله، قال: لا جرم، و الله إنني لا أجبت لساني إلى صفة قبيح أبدا.

خرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الأعاجم

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، و حبيب بن نصر المهلبّي، قالوا: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا محمد بن حاتم، قال: حدّثنا محمد بن حازم، قال: حدّثنا عمرو بن المهاجر، عن إبراهيم بن محمد بن سعد، عن أبيه، و أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن الحسن بن دينار مولى بني هاشم، عن ابن الأعرابي عن المفضل، و روايته أتمّ، قالوا:

كان أبو محجن الثقفّي فيمن خرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الأعاجم/فكان سعد يؤتى به شاربا فيتهدّده فيقول له: لست تاركها إلا لله عزّ و جلّ؛ فأما لقولك فلا. قالوا: فأتي به يوم القادسيّة و قد شرب الخمر؛ فأمر به إلى القيد، و كانت بسعد جراحة فلم يخرج يومئذ إلى الناس؛ فاستعمل على الخيل خالد بن عرفطة، فلما التقى الناس قال أبو محجن:

كفى حزنا أن تردي الخيل بالقنا *** و أترك مشدودا عليّ وثاقيا

يقسم على ألا يشرب الخمر بعد أن عفا عنه سعد

و ذكر الأبيات و سائر خبره مثل ما ذكره محمد بن جرير، و زاد فيه: فجاءت زبراء امرأة سعد - هكذا قال:

و الصّحيح أنها سلمى - فأخبرت سعدا بخبره؛ فقال سعد: أما و الله لا أضرب اليوم رجلا أبلى الله المسلمين على يده

ص: 9

1- في تاريخ الطبري 4-124 ط. الحسينية: «بيعه على شفتي أحيانا فيساء لذلك ثنائي، و لذلك حبسني».

2- أدوقها مرفوعة باعتبار «أن» مخففة من الثقيلة، و اسمها ضمير الشأن أو ضمير متكلم محذوف و جملة أدوقها خبر، و انظر «خزانة

الأدب» 3-550 ط. بولاق.

3- الحص «بالضم» في اللغة الورس، وهو موضع بنواحي حمص ينسب إليه الخمر، وأورد ياقوت في 2-74، الأبيات الثلاثة، وجاء البيت الأخير برواية: ويروى بخمر الحص لحدي فإنني أسير لها من بعد ما قد أسوقها وهذه روايته أيضا في «تاريخ الطبري» 3-549 ط. المعارف.

ما أبلاهم، فخلّى سبيله، فقال أبو محجن: قد كنت أشربها إذ كان الحدّ يقام عليّ وأطهرّ منها، فأما إذ بهرجتني(1) فلا والله لا أشربها أبداً. و قال ابن الأعرابي في خبره: وقال أبو محجن في ذلك:

إن كانت الخمر قد عزّت وقد منعت *** و حال من دونها الإسلام و الحرج

فقد أبكرها صرفاً و أمزجها *** رياً و أطرب أحياناً و أمتزج

و قد تقوم على رأسي منعمة *** خود إذا رفعت في صوتها غنج(2)

ترقع الصّوت أحياناً و تخفضه *** كما يطنّ ذباب الرّوضة الهزج

يرد على امرأة ظنت أنه فر من المعركة

أخبرني الجوهريّ و المهلبيّ قالا: حدّثنا عمر بن شبّة و قال:

لما انصرف أبو محجن ليعود إلى محبسه رأته امرأة فظنّته منهزماً؛ فأنشأت تعيره بفراره:

/من فارس كره الطّعان يعيرني *** رمحا إذا نزلوا بمن الصّفير

فقال لها أبو محجن:

إن الكرام على الجياد مبيتهم *** فدعي الرّماح لأهلها و تعطري

يرثي أبا عبيد بن مسعود بعد أن قتله فيل الأعداء

و ذكر السريّ، عن شعيب، عن سيف في خبره، و وافقته رواية ابن الأعرابي عن المفصّل:

أنّ التّاس لما التقوا مع العجم يوم قس النّاطف، كان مع الأعجام فيل يكرّ عليهم، فلا تقوم له الخيل؛ فقال أبو عبيد بن مسعود: هل له مقتل؟ فقيل له: نعم؛ خرطومه إلا- أنّه لا- يفلت منه من ضربه؛ قال: فأنا أهب نفسي لله، و كمن له حتى إذا أقبل وثب إليه فضرب خرطومه بالسيف؛ فرمى به، ثم شدّ عليه الفيل فقتله، ثم استدار فطحن الأعاجم و انهزموا، فقال أبو محجن الثّقفيّ يرثي أبا عبيد:

أتى تسدّت(3) نحونا أمّ يوسف *** و من دون مسراها فياف مجاهل

إلى فتية بالطفّ نيلت(4) سراتهم *** و غودر أفراس لهم و رواحل

و أضحى أبو جبر خلاء بيوته *** و قد كان يغشاها الصّعاف الأرامل

و أضحى بنو عمرو لدى الجسر منهم *** إلى جانب الأبيات جود و نائل

و ما لمت نفسي فيهم غير أنّها *** لها أجل لم يأتها و هو عاجل

-
- 1- بهرجتني: أهدرتني بإسقاط الحد عني (اللسان).
 - 2- الخود: المرأة الشابة. و الغنج: الدلال. وفي س، ف: «فيها إذا رفعت في صوتها غنج».
 - 3- تسدت نحونا: جازت.
 - 4- ف: «حلت سراتهم».
 - 5- رمت: فارقت و برحت. و الإهاب: الجلد. و الأباجل: جمع أبجل و هو عرق غليظ في الرجل أو في اليد يزاء الأكلح.

او حتى رأيت مهرتي مزوثة *** من التبل (1) يدمى نحرها و الشواكل
و ما رحت حتى كنت آخر رائح (2) *** و صرع حولي الصالحون الأماثل
مررت على الأنصار وسط رحالهم *** فقلت: ألا هل منكم اليوم قافل؟
وقربت رواحا و كورا و نمرقا *** و غودر في آيس (3) بكر و وائل
ألا لعن الله الذين يسرهم *** رداي و ما يدرون ما الله فاعل

يقسم في شعر له بأنه لا يشرب الخمر أبدا

قال الأخفش في روايته، عن الأحول، عن ابن الأعرابي، عن المفضل: قال أبو محجن في تركه الخمر:
رأيت الخمر صالحا و فيها *** مناقب تهلك الرجل الحلما
فلا و الله أشربها حياتي *** و لا أسقي بها أبدا نديما

معاوية و ابن أبي محجن

أخبرني عمي قال: حدّثنا محمد بن سعد الكرائي قال: حدّثنا العمري، عن لقيط، عن الهيثم بن عدي .
و أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمّه، و أخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قالوا:
دخل ابن أبي محجن على معاوية، فقال له: أليس أبوك الذي يقول:
إذا متّ فادفني إلى أصل كرمة (4) *** ترّوي عظامي بعد موتي عروها
و لا تدفني بالفلاة فإني *** أخاف إذا ما متّ ألا أذوقها
فقال ابن أبي محجن: لو شئت لذكرت ما هو أحسن من هذا من شعره؛ قال: و ما ذاك؟ قال: قوله:

لا تسألني الناس عن مالي و كثرته *** و سألني الناس ما فعلني و ما خلقي (5)

أعطي السنان غداة الرّوع حصّته *** و عامل الرّمح أرويه من العلق (6)

و أظعن الطعنة النّجلاء عن عرض *** و أحفظ السرّ فيه ضربة العنق

عفّ المطالب عمّا لست نائله *** - و إن ظلمت - شديد الحقد و الحنق

- 1- كذا في «معجم البلدان». و مزوثة: معرضة و منحرفة. و الشواكل جمع شاكلة و هي الخاصرة. و في س: «لدى الفيل» بدل «من النبل» و في ف: «أرى الفيل».
- 2- ف: «أول رائح».
- 3- أليس: الموضوع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين و الفرس في أول أرض العراق من ناحية البادية. و في ف، ما، مج: «و غودر في الأبيات».
- 4- في «الشعر و الشعراء»، و «خزانة الأدب»: «إلى جنب كرمة».
- 5- في «الشعر و الشعراء»: لا تسأل الناس: ما مالي و كثرته و سائل القوم: ما حزمي و ما خلقي
- 6- عامل الرمح: ما يلي السنان، و العلق: الدم.

وقد أجود و ما لي بذي فنع *** وقد أكرّ وراء المحجر البرق(1)

و القوم أعلم أني من سراتهم *** إذا سما بصر الرعديدة الشفق(2)

قد يعسر المرء حيناً و هو ذو كرم *** وقد يثوب(3) سوام العاجز الحمق

سيكثر المال يوماً بعد قلته *** و يكتسي العود بعد اليبس بالورق

فقال معاوية: لئن كنا أسأنا لك القول لنحسنن لك الصّفد(4)، ثم أجزل جائزته و قال: إذا ولدت النّساء فلتلد مثلك!

عمر بن الخطاب يحده و جماعة من أصحابه في شربهم الخمر

إشارة

أخبرني الحسن بن عليّ و عيسى بن الحسين الوراق، قالوا: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني صالح بن عبد الرحمن الهاشمي، عن العمري، عن العتبي، قال: أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجماعة فيهم أبو محجن الثقفي و قد شربوا الخمر، فقال: أشربتم الخمر بعد أن حرّمها الله و رسوله، فقالوا: ما حرّمها الله و لا رسوله؛ إن الله تعالى يقول: /لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (5)؛ فقال عمر لأصحابه: ما ترون فيهم؟ فاختلفوا فيهم فبعث إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فشاوره؛ فقال عليّ: إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغي أن يستحلّوا الميتة و الدّم و لحم الخنزير؛ فسكتوا، فقال عمر لعليّ: ما ترى فيهم؟ قال: أرى إن كانوا شربوها مستحلّين لها أن يقتلوا، و إن كانوا شربوها و هم يؤمنون أنها حرام أن يحدّوا، فسألهم؛ فقالوا: و الله ما شككنا في أنها حرام، و لكننا قدّرنا أن لنا نجاة فيما قلناه، فجعل يحدّهم رجلاً رجلاً، و هم يخرجون حتى انتهى إلى أبي محجن، فلما جلده أنشأ يقول:

ألم تر أنّ الدهر يعثر بالفتى *** و لا يستطيع المرء صرف المقادر

صبرت(6) فلم أجزع و لم أك كائعا *** لحادث دهر في الحكومة جائر

وإني لذو صبر و قد مات إخوتي *** و لست عن الصّهباء يوماً بصابر

رماها أمير المؤمنين بحفتها *** فخلّانها بيبكون حول المعاصر

فلما سمع عمر قوله:

و لست عن الصّهباء يوماً بصابر

قال: قد أبديت ما في نفسك و لأزيدنك عقوبة لإصرارك على شرب الخمر؛ فقال له عليّ عليه السلام:

ما ذلك لك، و ما يجوز أن تعاقب رجلاً قال: لأفعلنّ و هو لم يفعل، و قد قال الله في سورة الشعراء: وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (7)

- 1- في ما، ف: «وقد أكر وراء المحجر الفرق». و الفنع: الكثرة، و المحجر: المغطى المستور. و البرق: الدهش المتحير حتى لا يطرف.
- 2- في الشعر و الشعراء - 388 ط. الحلبي، و الخزانة 3-555: «إذا تطيش يد الرعديدة الفرق». و الرعديدة: الجبان يرعد عند القتال.
- 3- يثوب: يجتمع. و في شرح شواهد المغني - 38: «وقد يثوب الغنى للحاجز الحمق».
- 4- الصغد: العطاء.
- 5- سورة المائدة، الآية: 93.
- 6- في ف، ما: «ضربت» بدل «صبرت». و الكائع: الجبان الهياب.
- 7- سورة الشعراء، الآية: 226.

، فقال عمر: قد استثنى الله منهم قوما فقال: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (1). فقال عليّ عليه السلام: أفهؤلاء عندك منهم وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لا يشرب العبد الخمر حين يشربها وهو مؤمن».

قبره في أذربيجان نبت عليه كرمة

إشارة

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس، قال: حدّثنا العمريّ، عن الهيثم بن عدّي، قال:

أخبرني من مرّ بقبر أبي محجن الثقفيّ في نواحي أذربيجان - أوقال في نواحي جرجان - فرأيت قبره وقد نبتت عليه ثلاثة أصول كرم قد طالت وأثمرت وهي معروشة، وعلى قبره مكتوب: هذا قبر أبي محجن الثقفيّ، فوقفت طويلا أتعجب مما اتفق له حتى صار كأمنيّة بلغها حيث يقول:

إذا متّ فادفني إلى أصل كرمة *** ترؤي عظامي بعد موتي عروفا

صوت

ألا يا لقومي لا أرى التّجم طالعا *** ولا الشّمس إلّا حاجبي يميني

معزّبتني خلف القفا بعمودها *** فجلّ نكيري أن أقول ذريني

أمين على أسرارهنّ وقد أرى *** أكون على الأسرار غير أمين

فللموت خير من حداج موطأ *** مع الطّعن لا يأتي المحلّ لحين

عروضه من الطّويل؛ والمعزّية: امرأة تكون مع الشّيف الخرف تكلّوه. وقوله:

أمين على أسرارهنّ ...

أي أنّ النّساء صرن يتحدّثن بين يديّ بأسرارهنّ، ويفعلن ما كنّ قبل ذلك يرهبنني فيه؛ لأنني لا أضرهنّ.

والحداج والحدج: مركب من مراكب النّساء.

الشّعر لزهير بن جناب الكلبيّ، والغناء لأهل مكة، ولحنه من خفيف الثّقيل الأول بالوسطى عن الهشاميّ وحبش، وفيه لحنين ثاني ثقيل بالوسطى.

ص: 13

إشارة

2 - أخبار زهير بن جناب و نسبه (1)

نسبه

زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب (2) بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

شاعر جاهليّ ، و هو أحد المعمّرين، و كان سيّد بني كلب و قائدهم في حروبهم؛ و كان شجاعا مظفّرا ميمون التّقيبة في غزواته، و هو أحد من ملّ عمره فشرّب الخمر صرفا حتى قتلته.

و لم يوجد شاعر في الجاهليّة و الإسلام ولد من الشعراء أكثر ممّن ولد زهير، و سأذكر أسماءهم و شيئا من شعرهم بعقب ذكر خبره إن شاء الله تعالى.

سبب غزوة غطفان

قال ابن الأعرابيّ : كان سبب غزوة زهير بن جناب غطفان أنّ بني بغيض حين خرجوا من تهامة ساروا بأجمعهم، فتعرّضت لهم صداة و هي قبيلة من مذحج؛ فقاتلوهم و بنو بغيض سائرون بأهليهم و نساءهم و أموالهم، فقاتلوا عن حريمهم فظهروا على صداة فأوجعوا فيهم و نكثوا (3)؛ و عزّت بنو بغيض بذلك و أثرت و أصابت غنائم؛ فلما رأوا ذلك قالوا: أما و الله لنتخذنّ حرما مثل حرم مكة لا يقتل صيده، و لا يعضد شجره، و لا يهاج عائذه (4)؛ فوليت ذلك بنو مرّة بن عوف.

ثمّ كان القائم على أمر الحرم و بناء حائطه رياح بن ظالم، ففعلوا ذلك و هم/على ماء لهم يقال له بسّ (5).

و بلغ فعلهم و ما أجمعوا عليه زهير بن جناب و هو يومئذ سيّد بني كلب؛ فقال: و الله لا يكون ذلك أبدا و أنا حيّ، و لا أخليّ غطفان تتخذ حرما أبدا.

قتل فارسهم الأسير و ردّ نساءهم و قال شعرا في ذلك.

فنادى في قومه فاجتمعوا إليه فقام فيهم، فذكر حال غطفان و ما بلغه عنها؛ و أنّ أكرم مآثرة يعتقدها هو و قومه أن يمنعوه من ذلك و يحولوا بينهم و بينه، فأجابوه، و استمدّ بني القين من جشم (6) فأبوا أن يغزوا معه، فسار في

ص: 14

1- جاءت هذه الترجمة في الجزء الحادي و العشرين، و موضعها هنا وفقا لما جاء في ف و غيرها من المخطوطات الموثوقة.

2- ف: «وبرة بن ثعلبة».

- 3- ما: «ونكوا». ونكأ العدو: جرحه وقتله.
- 4- لا يهاج عانده: لا يفرع من يلجأ إليه ويعتصم به.
- 5- في «معجم ياقوت» 1-622، بس: «ماء لغطفان».
- 6- استمد بني القين من جشم: طلب منهم المدد.

قومه حتى غزا غطفان؛ فقاتلهم فظفر بهم زهير وأصاب حاجته فيهم، وأخذ فارساً منهم أسيراً في حرمهم الذي بنوه، فقال لبعض أصحابه: اضرب رقبتك، فقال: إنّه بسل (1)، فقال زهير: وأبيك ما بسل عليّ بحرام.

ثم قام إليه فضرب عنقه وعطل ذلك الحرم؛ ثم منّ على غطفان وردّ النساء واستاق الأموال؛ وقال زهير في ذلك:

ولم تصبر لنا غطفان لَمَّا *** تلاقينا وأحرزت النساء

فلولا الفضل منّا ما رجعتن *** إلى عذراء شيمتها الحياء

وكم غادرتن بطلاً كميّاً (2) *** لدى الهيجاء كان له غناء

فدونكنم ديونا فاطلبوها *** وأوتارا و دونكنم اللّقاء

فإنّا حيث لا نخفي عليكم *** ليوث حين يحتضر اللّواء (3)

فخلّى بعدها غطفان بسّاً *** وما غطفان والأرض الفضاء!

/فقد أضحي لحيّ بني جناب *** فضاء الأرض والماء الرّواء (4)

ويصدق طعننا في كلّ يوم *** وعند الطّعن يختبر اللّقاء

نفينا نخوة الأعداء عنّا *** بأرماح أسنتها ظماء

ولو لا صبرنا يوم التقينا *** لقينا مثل ما لقيت صداء

غداة تعرّضوا لبني بغيض *** وصدق الطّعن للتّوكى (5) شفاء

وقد هربت حذار الموت قين *** على آثار من ذهب العفاء

وقد كُنّا رجونا أن يمدّوا *** فأخلفنا من إخوتنا الرّجاء

وألهى القين عن نصر الموالى *** حلاب الثّيب والمرعى الصّراء (6)

طعنه ابن زيّابة و ظن أنه مات فحمل إلى قومه و عوفي

وقال أبو عمرو السّيباني: كان أبرهة حين طلع نجداً أتاه زهير بن جناب، فأكرمه أبرهة وفضّله على من أتاه من العرب، ثم أمره على ابني وائل: تغلب و بكر، فوليهما حتى (7) أصابتهما سنة شديدة، فاشتدّ عليهم ما يطلب منهم زهير، فأقام بهم زهير في الجذب، ومنعهم من النّجعة حتى يؤدّوا ما عليهم، فكادت مواشيهم تهلك. فلما رأى ذلك ابن زيّابة - أحد بني تيم الله بن ثعلبة، وكان رجلاً فاتكاً - بيّت زهيراً (8) وكان نائماً في قبّة له من آدم، فدخل فألفى زهيراً نائماً، وكان رجلاً عظيم البطن، فاعتمد التّيميّ بالسّيف على بطن زهير حتى أخرجه من ظهره مارقاً بين

- 1- بسل: حرام.
- 2- في ف: «وكم غادرت من بطل كمي».
- 3- يحتضر: يحضر. وفي «مختار الأغاني»: «... حين يهتصر اللواء» أي حين يسقط.
- 4- الماء الرواء: العذب أو الكثير.
- 5- النوكى جمع أنوك، وهو الأحمق أو العاجز الجاهل.
- 6- في مج: «وألهمى القين عن محض الموالي». وفي ف: «جلاّب النبت» بدل «حلاب النيب». و الضراء: الشجر الملتف.
- 7- في ف: «حين أصابتهم».
- 8- بيت فلانا: أوقع به ليلا دون أن يعلم.

الصَّفَاق، و سلمت أعفاج بطنه(1)، و ظنَّ التَّيْمِيَّ أَنَّهُ/قد قتله، و علم زهير أَنه قد سلم، فتخوَّف أَن يتحرَّك فيجهز عليه، فسكت. و انصرف ابن زيَّابة إلى قومه، فقال لهم: قد - و الله - قتلت زهيراً و كفيتموه، فسرَّهم ذلك. و لَمَّا علم زهير أَنه لم يقدم عليه إلا عن ملأ من قومه بكر و تغلب - و إنما مع زهير نفر من قومه بمنزلة الشرط - أمر زهير قومه فغيبوه بين عمودين في ثياب ثم أتوا القوم فقالوا لهم: إنكم قد فعلتم بصاحبنا ما فعلتم، فأذنوا لنا في دفنه، ففعلوا.

شعر ابن زيَّابة في نبوَّ سيفه عنه

فحملوا زهيراً ملفوفاً في عمودين و الثَّياب عليه، حتى إذا بعدوا عن القوم أخرجوه فلَّفوه في ثيابه، ثم حفروا حفيرة و عمَّقوا، و دفنوا فيها العمودين، ثم ساروا و معهم زهير، فلمَّا بلغ زهير أرض قومه جمع لبكر و تغلب الجموع، و بلغهم أَن زهيراً حيٌّ، فقال ابن زيَّابة:

طعنة ما طعنت في غبش(2) اللِّي *** ل زهيراً و قد توافى الخصوم

حين تجبي له المواسم بكر *** أين بكر، و أين منها الحلوم!

خانني السيف إذ طعنت زهيراً *** و هو سيف مضللّ مشنوم(3)

غزا بكرا و تغلب و شعره في ذلك

قال: و جمع زهير بني كلب و من تجمَّع له من شدَّاذ العرب و القبائل(4)، و من أطاعه من أهل اليمن، فغزا بكرا و تغلب ابني وائل، و هم على ماء يقال له الحبيي(5)، و قد كانوا نذروا(6) به، فقاتلهم قتالاً شديداً، ثم انهزمت بكر و أسلمت بني تغلب، فقاتلت شيئاً من قتال ثم انهزمت، و أسر كليب و مهلهل/ابنا ربيعة، و استيقت الأموال، و قتلت كلب في تغلب قتلى كثيرة، و أسروا جماعة من فرسانهم و وجوههم، و قال زهير بن جناب في ذلك:

تبَّاً لتغلب أن تساق نساؤهم *** سوق الإماء إلى المواسم عطلا(7)

لحقت أوائل خيلنا سرعانهم(8) *** حتى أسرن على الحبيي مهلهلا

إنَّا - مهلهل - ما تطيش رماحنا *** أيام تنقف(9) في يدك الحنظلا

ولَّت حماتك هاربين من الوغى *** و بقيت في حلق الحديد مكبلاً

فلئن قهرت لقد أسرتك عنوة *** و لئن قتلت لقد تكون مؤملاً(10)

ص: 16

1- الصَّفَاق: الجلد الباطن تحت الجلد الظاهر. و الأعفاج: جمع عفج، و هي معي الإنسان.

2- في المختار: «في غلس الصبح»، و في الشعر و الشعراء - 339 ط. الحلبي: «غبس الليل»، و كلها بمعنى الظلمة.

3- في «الشعر و الشعراء» - 339: «خانني الرمح... و هو رمح...».

- 4- ف، المختار: «من شذاذ القبائل».
- 5- في ما: «الجبيّ». وفي المختار: «الحنّي» و كلاهما «تصحيف»، و حبيّ: موضع بتهامة.
- 6- نذروا به: علموا به فحذروه و استعدوا له.
- 7- ف، ما: «إذ تساق». و عطل: بدون حلي.
- 8- سرعان الخيل: أوائلها.
- 9- ف، المختار: «ينبت في يدك». و تتقف الحنظل: تشقّه.
- 10- س، ف: «مرملا»، و المرمل: المملخ بالدم.

وقال أيضا يعيّر بني تغلب بهذه الواقعة في قصيدة أولها:

حيّ دارا تغيّرت بالجناب *** أقفرت من كواعب أتراب

يقول فيها:

أين أين الفرار من حذر المو *** ت وإذ يتّقون بالأسلاب!

إذ أسرنا مهلهلا وأخاه *** وابن عمرو في القدّ وابن شهاب

وسبيننا من تغلب كلّ بيضا *** ء رقود الصّحى برود الرّضاب

يوم يدعو مهلهل بالبكر *** ها أهذي حفيظة الأحساب(1)!

ويحكم ويحكم أبيح حماكم *** يا بني تغلب أ ما من ضراب!

وهم هاربون في كلّ فجّ *** كشريد التّعام فوق الرّواي

/واستدارت رحي المنايا عليهم *** بليوث من عامر و جناب

طحتنتهم أرحاؤها(2) بطحون *** ذات ظفر حديدة الأنياب

فهم بين هارب ليس يألو *** وقتيل معقر في التّراب

فضل العزّ عزّنا حين نسمو *** مثل فضل السّماء فوق السّحاب

وفد مع أخيه حارثة على أحد ملوك غسان

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدّثنا عمّي، عن ابن الكلبيّ، عن أبيه، قال:

وفد زهير بن جناب وأخوه حارثة على بعض ملوك غسان، فلما دخلا عليه(3) حدّثاه وأنشده، فأعجب بهما و نادمهما، فقال يوما لهما: إن

أمّي عليلة شديدة العلة، وقد أعياني دواؤها، فهل تعرفان لها دواء؟ فقال حارثة:

كميرة حازة - وكانت فيه لوثة - فقال الملك: أيّ شيء قلت؟ فقال له زهير: كمينة حازة تطعمها، فوثب الملك - وقد فهم الأولى والآخرة

- يريهما أنه يأمر بإصلاح الكمأة لها، وحلم عن مقالة حارثة. وقال حارثة لزهير: يا زهير اقلب ما شئت ينقلب، فأرسلها مثلاً.

ذهب عقله آخر عمره فكان يخرج فيرده أحد ولده

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني أحمد بن الغيث الباهليّ عن أبيه، قال:

كان من حديث زهير بن جناب الكلبي أنه كان قد بلغ عمرا طويلا حتى ذهب عقله، و كان يخرج تائها لا يدري أين يذهب، فتلحقه المرأة من أهله و الصبي، فترده و تقول له: إني أخاف عليك الذئب أن يأكلك، فأين تذهب؟ فذهب يوما من أيامه، و لحقته ابنة له فردته، فرجع معها و هو يهدج كأنه رأل (4)، و راحت عليهم سماء في الصيف /فعلتهم منها بغشة (5) ثم أردفها غيث، فنظر و سمع له الشيخ زجلا منكرا. فقال: ما هذا يا بنيّة؟ فقالت: عارض

ص: 17

-
- 1- في «المختار»: «ويحكم في حفيظة الأحساب». وفي ف: «أين حامي حفيظة الأحساب».
 - 2- في «المختار»: «رحاؤها»، و الطحون: الحرب.
 - 3- ف: «دخلا إليه».
 - 4- الرأل: ولد النعام.
 - 5- البغشة: المطرة الضعيفة.

هائل إن أصابنا دون أهلنا هلكننا، فقال: انعتيه لي، فقالت: أراه منبطحا مسلنطحا(1)، قد ضاق ذرعا وركب ردعا(2)، ذا هيدب(3) يطير، و هماهم(4) و زفير، ينهض نهض الطير الكسير، عليه مثل شباريق(5) السّاج، في ظلمة الليل الدّاج، يتضحك مثل شعل النيران، تهرب منه الطير، و توائل(6) منه الحشرة. قال: أي بنية، وائلي منه إلى عصر(7) قبل أن لا عين و لا أثر.

كان يدعى الكاهن لصحة رأيه

أخبرني محمد بن القاسم الأباري، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني أحمد بن عبيد، عن ابن الكلبي، عن أبيه، عن مشيخة من الكلبيين قالوا: عاش زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله خمسين و مائتي سنة أوقع فيها مائتي وقعة في العرب، و لم تجتمع قضاة إلا عليه و على حنّ بن زيد العذري، و لم يكن في اليمن أشجع و لا أخطب و لا أوجه عند الملوك من زهير. و كان يدعى الكاهن، لصحة رأيه.

عمر حتى ملّ عمره، و شعره في ذلك

قال هشام: ذكر حمّاد الراوية أنّ زهيرا عاش أربعمئة و خمسين سنة، قال: /وقال الشّرقبي بن القطامي : عاش زهير أربعمئة سنة، فرأته ابنة له فقالت لابن ابنها: خذ بيد جدّك، فقال له: من أنت ؟ فقال: فلان بن فلان بن فلانة، فأنشأ يقول:

أبنيّ إن أهلك فقد *** أورثكم مجدا بنية

و تركتكم أبناء سا *** دات زنادكم وريّه(8)

و لكلّ ما نال الفتى *** قد نلته إلا التّحية(9)

و الموت خير لفتى *** فليهلكن و به بقيّه

من أن يرى الشّيح البجا *** ل و قد تهادى بالعشيّه(10)

و لقد شهدت التّار للأس *** لاف توقد في طميّه(11)

ص: 18

1- ف: «أراه مسطحا مسلنطحا متبطحا». و المسلنطح: الواقع على وجهه.

2- ركب ردعا: سقط و كأنه وقع على عنقه.

3- الهيدب: السحاب الداني.

4- الهاهم: جمع همهمة، و هي ترديد الزفير.

5- الشباريق: القطع.

6- توائل منه: تطلب النجاة.

- 7- عصر - بكسر أوله وسكون ثانيه - ورواه بعضهم بالتحريك، والأول أشهر وأكثر: هو كل ما يتحصن به.
- 8- في أمالي المرتضى 1:240: «و تركتكم أرباب سادات». زنادكم وريه: كني بذلك عن بلوغ مأربهم.
- 9- التحية: الملك أو البقاء.
- 10- البجال: الذي يبجله قومه. وفي الشعر و الشعراء: «من أن يرى الشيخ الكبير».
- 11- في معجم ياقوت: طمية: جبل في طريق مكة، وروى البيت فيه: ولقد شهدت النار بالأنفار توقد في طميه

و لقد رحلت البازل ال *** كوما لیس لها ولیه (1)

و خطبت خطبة ماجد (2) *** غیر الضعیف و لا العیبه

و لقد غدوت بمشرف ال *** قطرین لم یغمز شظیه (3)

فأصبت من بقر الجنا *** ب ضحی و من حمر الفقیه (4)

/قال ابن الكلبي : وقال زهير في كبره أيضا:

ألا يا لقومي لا أرى النجم طالعا *** و لا الشمس إلا حاجبي يميني

معزبتي عند القفا بعمودها *** فأقصى نكيري أن أقول ذريني (5)

أمين على أسرارهمّ و قد أرى (6) *** أكون على الأسرار غير أمين

فللموت خير من حجاج موطأ *** على الظعن لا يأتي المحلّ لحين

قال: وقال زهير أيضا في كبره:

إن تنسني الأيام إلا جلاله *** أمت حين لا تأسى عليّ العوائد

فيأذى بي الأدنى و يشمت بي العدا *** و يأمن كيدي الكاشحون الأبعاد

قال: وقال زهير أيضا:

لقد عمّرت حتى لا أبالي *** أحتفي في صباحي أم مسائي

و حقّ لمن أتت مائتان عاما *** عليه أن يملّ من التواء

شهدت الموقدين على خزازي *** و بالسّلانّ جمعا ذا زهاء (7)

و نادمت الملوک من آل عمرو *** و بعدهم بني ماء السماء

خالفه ابن أخيه عبد الله بن عليم فشرّب الخمر

قال ابن الكلبي : و كان زهير إذا قال: ألا إن الحيّ طاعن، ظننت قضاة؛ و إذا قال: ألا إن الحيّ مقيم، نزلوا و أقاموا. فلما أن أسرّ نصب ابن

أخيه عبد الله بن عليم للرئاسة في كلب، و طمع أن يكون كعمّه و تجتمع قضاة كلّها عليه، فقال/زهير يوما: ألا إن الحيّ طاعن، فقال عبد

الله: ألا- إن الحيّ مقيم، فقال زهير: ألا إن الحيّ مقيم، فقال عبد الله: ألا إن الحيّ طاعن، فقال زهير: من هذا المخالف عليّ منذ اليوم؟

فقالوا: ابن أخيك عبد الله بن عليم، فقال: أعدى الناس للمرء ابن أخيه إلا أنّه لا يدع قاتل عمّه أو يقتله. ثم أنشأ يقول:

- 1- البازل: الناقة انشق نابها بدخولها في السنة التاسعة، و الكوماء: الضخمة السنام. و الولية: كل ما ولى ظهر البعير من كساء أو غيره.
- 2- في أمالي المرتضى: «و خطبت خطبة حازم».
- 3- مشرف القطرين: مرتفع الجانبين. و غمزت الدابة: مالت من رجلها أي ظلعت، و الشظية: عظم الساق.
- 4- القفية: الناحية.
- 5- المعزبة: امرأة الرجل، و القفا: موضع.
- 6- في أمالي المرتضى: «أمينا على سر النساء وربما».
- 7- في معجم البلدان: خزازى: جبل. و في ف: حوازى (تحريف). و السلان: الأودية. و كانت عندهما وقائع. و قوم ذو زهاء: ذو عدد كثير. و في المعمرين - 27: «شهدت المحضئين على خزاز».

و كيف بمن لا أستطيع فراقه *** و من هو إن لم تجمع الدار آلف!

أمير شقاق إن أقم لا يقيم معي *** و يرحل، و إن أرحل يقيم و يخالف(1)

ثم شرب الخمر صرفا حتى مات.

قال: و ممن شرب الخمر صرفا حتى مات عمرو بن كلثوم التغلبيّ، و أبو براء عامر بن مالك ملاعب الأستة.

قال هشام(2): عاش هبل بن عبد الله جدّ زهير بن جناب ستمائة سنة و سبعين، و هو القائل:

يا ربّ يوم قد غني فيه هبل *** له نوال و درور و جدل(3)

كأنه في العزّ عوف أو حجل

قال: عوف و حجل: قبيلتان من كلب.

كان نازلا مع الجلاح بن عوف فأذرتة أخته فخالفه الجلاح فرحل هو و قال شعرا

و قال أبو عمرو السّيباني: كان الجلاح بن عوف السّحميّ قد وطأ لزهير بن جناب و أنزله معه، فلم يزل في جناحه حتى كثر ماله و ولده، و كانت أخت زهير متزوجة في بني القين بن جسر، فجاء رسولها إلى زهير و معه برد فيه صرار رمل و شوكة فتاد، /فقال زهير لأصحابه: أتتكم شوكة شديدة، و عدد كثير فاحتملوا، فقال له الجلاح:

أنحتمل لقول امرأة! و الله لا نفعل، فقال زهير:

أما الجلاح فإتني فارقتة *** لا عن قلّي و لقد تشطّ بنا التوى

فلئن ظعننت لأصبحنّ مخيما(4) *** و لئن أقمّت لأظعننّ على هوى

قال: فأقام الجلاح، و ظعن زهير، و صبّحهم الجيش فقتل عامّة قوم الجلاح و ذهبوا بماله.

قال: و اسم الجلاح عامر بن عوف بن بكر بن عوف بن عامر بن عوف بن عذرة.

اجتمع مع عشيرته فقصدته الجيش فهزمهم و قتل رئيسا منهم

و مضى زهير لوجهه حتى اجتمع مع عشيرته من بني جناب، و بلغ الجيش خبره فقصدوه، فحاربهم و ثبت لهم فهزمهم و قتل رئيسا منهم، فانصرفوا عنه خائبين، فقال زهير:

أ من آل سلمى ذا الخيال المؤرّق *** و قد يمح(5) الطيف الغريب المشوّق

وأتي اهتدت سلمى لوجه محلنا *** و ما دونها من مهمه الأرض يخفق

فلم تر إلا هاجعا عند حرّة *** على ظهرها كور عتيق و نمرق (6)

ولما رأيتني و الطّليح تبسّمت *** كما انهلّ أعلى عارض يتألق

فحيّيت عنا زؤدينا تحيّة *** لعلّ بها العاني من الكبل يطلق

ص: 20

1- ف: «أمين شقاء...».

2- ف: «هاشم».

3- الدرور: الكثرة. و الجذل: الفرخ. و في ف: «ودروه»، و هو التلألؤ.

4- مخيما: مقيما.

5- يمح: يحب.

6- الكور: الرحل. و النمرق: الوسادة الصغيرة.

فردت سلاما ثم ولت بحاجة *** ونحن لعمرى يا ابنة الخير أشوق (1)

/فيا طيب ما ريتا (2) ويا حسن منظر *** لهوت به لو أن رؤياك تصدق

و يوم أئالى قد عرفت رسومها *** فعجنا إليها و الدموع تترق

و كادت تبين القول لما سألتها *** و تخبرني لو كانت الدار تنطق

فيا دار سلمى هجت للعين عبرة *** فماء الهوى يرفض أو يترق (3)

وقال زهير في هذه القصيدة يذكر خلاف الجلاح عليه:

أيا قومنا إن تقبلوا الحق فانتهاوا *** وإلا فأنياب من الحرب تحرق (4)

فجاءوا إلى رجراجة مكفهرة *** يكاد المدير نحوها الطرف يصعق (5)

سيوف و أرماح بأيدي أعزة *** و موضونة ممّا أفاد محرّق (6)

فما برحوا حتى تركنا رئيسهم *** و قد مار فيه المضرحي المذلق (7)

و كائن ترى من ماجد و ابن ماجد *** له طعنة نجلاء للوجه يشهق

وقال زهير في ذلك أيضا:

سائل أميمة عني هل وفيت لها *** أم هل منعت من المخزاة جيرانا

لا يمنع الضيف إلا ماجد بطل *** إنّ الكريم كريم أينما كانا (8)

لما أبى جيرتي إلا مصممة *** تكسو الوجوه من المخزاة ألوانا

/ملنا عليهم بورد لا كفاء له *** يفلقن بالبيض تحت التّع أبدانا

إذا ارجحنوا علونا هامهم قدما *** كأنما نختلي بالهام خطبانا (9)

كم من كريم هوى للوجه منعفرا *** قد اكتسى ثوبه في التّع ألوانا

و من عميد تناهى بعد عشرته *** تبدو ندامته للقوم خزيانا

كل أولاده شعراء و هذه نماذج من شعرهم

فمنهم مصاد بن أسعد بن جنادة بن صهبان بن امرئ القيس بن زهير بن جناب، وهو القائل:

ص: 21

-
- 1- في ر: «... ثم ولت لحاجة...».
 - 2- في ف: «فيا طيب مثوانا».
 - 3- في ف: «يتدفق»، و جاء في ف: «قال مؤلف هذا الكتاب: أخذ ذو الرمة هذا البيت كله فقال: أدارا بحزوى هجت للعين عبرة فماء الهوى يرفض أو يترقق
 - 4- تحرق: تحتك شدة و غيظا فيسمع لها صوت.
 - 5- كتيبة رجراجة: تموج من كثرتها. وفي ف: «يكاد المرئي» بدل «يكاد المدير».
 - 6- الموضوعنة: الدرع المنسوجة أو المقاربة النسج.
 - 7- المضرحى: النسر، و المذلّق: المحدد الطرف. وفي ر: «وقد حار فيه المضرحي».
 - 8- ف: «حيثما كانا».
 - 9- ارجحنوا: مالوا و وقعوا. نختلي: نقطع. الخطبان: نبت، أو الخضر من ورق السمر.

تمنيت أن تلقى لقاح ابن محرز *** وقبلك شامتها العيون النواظر

ممنحة في الأقربين مناخة *** وللضيف فيها والصديق معافر (1)

فهلأ بني عيناء عاينت جمعهم *** بحالة (2) إذا سدّت عليك المصادر

- و منهم حريث بن عامر بن الحارث بن امرئ القيس بن زهير بن جناب، وهو القائل:

أرى قومي بني قطن أرادوا *** بالأ يتركوا بيديّ مالا

فإن لم أجزهم غيظا بغيظ *** وأوردهم على عجل شلالا (3)

فليت التّغليية لم تلدني *** ولا أغنت بما ولدت قبالا (4)

- و منهم الحزنبل بن سلامة بن زهير بن أسعد بن صهبان بن امرئ القيس بن زهير بن جناب، وهو القائل:

عبثت بمنخرق القميص كأنه *** وضع الهلال على الخمور معذل

يا سلم ويحك والخليل معاتب *** أزمعت أن تصلي سواي و تبخلي

لمّا رأيت بعارضيّ و لمّتي *** غير المشيب على الشباب المبدل (5)

صرّمت حبل فتى يهشّ إلى التّدى *** لو تطلبين نداءه لم يتعلّل

إنّا لنصبر عند معترك الوغى *** ونبذ مكرمة الكريم المفضل (6)

- و منهم غرير بن أبي جابر بن زهير بن جناب، وهو القائل:

أبلغ أبا عمرو و أن *** ت عليّ ذو النّعم الجزيله

أنا منعنا أن تدلّ *** بلادكم و بنو جديله

و طرقتهم ليلا أخ *** برهم بهم و معي و صيله (7)

فصدقتهم خبري فطا *** روا في بلادهم الطّويله

- و منهم عرفجة بن جنادة بن أبيّ بن التّعمان (8) بن زهير بن جناب، وهو القائل:

عفا أبرق العزّاف من أمّ جابر *** فمنعرج الوادي عفا فحفير

فروض ثوير عن يمين رويّة *** كأن لم تربّعه أوانس حور (9)

- 1- س: «ممنحة في الأمر بين مباحة». وفي ف: «ممنحة في الأقرين مباحة».
- 2- حالة: موضع. وفي ر: «بحالك».
- 3- شلالا: متفرقين.
- 4- ف: «و لا غنيت...». و قبالا، أي بما يقبل.
- 5- س، ر: «غير الشباب على المشيب المبدل».
- 6- ف: «الأفضل».
- 7- وصيلة: رفقة أو سيف.
- 8- س، ف: «بن أبي النعمان».
- 9- أبرق العزاف، و ثوير، و روية: مياه في بلاد العرب. و حفير: موضع بين مكة و المدينة.
- 10- ف: «ظباء الملا».

- و منهم المسيب بن رفل(1) بن حارثة بن جناب بن قيس بن امرئ القيس بن أبي جابر بن زهير بن جناب، و هو القائل:

اقتلنا يزيد بن المهلب بعد ما *** تمنيتم أن يغلب الحق باطله

و ما كان منكم في العراق منافق *** عن الدين إلا من قضاة قاتله

تجلله فحل بأبيض صارم *** حسام جلا عن شفرتيه صياقله(2)

يعني بالفحل ابن عيَّاش بن شمر بن أبي شراحيل بن غرير بن أبي جابر بن زهير بن جناب، و هو الذي قتل يزيد بن المهلب.

و من بني زهير شعراء كثير، ذكرت منهم الفحول دون غيرهم.

صوت

تدعى الشوق إن نأت *** و تجنى إذا دنت

سرّني لو صبرت عن *** ها فتجزى بما جنت

إنّ سلمى لو اتقت *** ربّها في أنجزت

زرعت في الحشا الهوى *** و سفته حتى نبت(3)

الشاعر لمسلم بن الوليد، و الغناء لعريب خفيف ثقيل. و قيل: إنه لأبي العبيس بن حمدون. و ذكر الهشامي أن لإسحاق في: إنّ سلمى... و ما بعده لحننا من التّقيّل الأول بالبنصر.

ص: 23

1- ف: «المسيب بن زفر» و جاء في ذلك «المسيب بن الرفل الزهيري من ولد زهير بن جناب».

2- ف، س: «تجلله فحل».

3- الأبيات في شرح الديوان - 308 ط. دار المعارف. و بعد البيت الأول: و اعتدنا و أخلفت فأساءت و أحسنت

3 - نسب مسلم بن الوليد و أخباره

إشارة

3 - نسب مسلم بن الوليد و أخباره(1)

نسبه

و هو مسلم بن الوليد، أبوه الوليد مولى الأنصار ثم مولى أبي أمامة أسعد بن زرارة الخزرجي .

كان يلقب صريع الغواني

يلقب صريع الغواني، شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية، منشؤه و مولده الكوفة.

و هو - فيما زعموا - أول من قال الشعر المعروف بالبديع، هو لقب هذا الجنس البديع و اللطيف(2). و تبعه فيه جماعة، و أشهرهم فيه أبو تمام الطائي فإنه جعل شعره كله مذهبا واحدا فيه. و مسلم كان متقنا متصرفا في شعره.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: قال أبو العباس محمد بن يزيد:

كان مسلم شاعرا حسن التَّمط، جيّد القول في الشراب(3)، و كثير من الرواة يقرنه بأبي نواس في هذا المعنى.

و هو أول من عقد هذه المعاني الطريفة و استخراجها.

اتهم بأنه أول من أفسد الشعر

حدّثنا أحمد بن عبيد الله بن عمّار، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: سمعت أبي، يقول: أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد، جاء بهذا الذي سمّاه الناس البديع، ثم جاء الطائي بعده فتفنّن فيه(4).

كان منقطعاً إلى يزيد بن يزيد

أخبرني إبراهيم بن أيّوب عن عبد الله بن مسلم الدينوري، قال:

كان مسلم بن الوليد و أخوه سليمان منقطعين إلى يزيد بن مزيد و محمد بن منصور بن زياد، ثم الفضل بن سهل بعد ذلك. و قلّد الفضل مسلما المظالم بجرجان فمات بها.

/أخبرني علي بن سليمان، قال: حدّثنا محمد بن يزيد قال:

كان السبب في قول مسلم:

تدعي الشوق إن نأت *** و تجي إذا دنت

- 1- سقطت هذه الترجمة من طبعة بولاق، و موضعها هنا كما جاءت في نسخة ف و غيرها من النسخ الخطية الموثوقة.
- 2- في مي: «فجنس البديع، و تبعه...» و في مج: «و هو لقب الجنس البديع و تبعه...».
- 3- في مي، مج: «جيد الغزل في الشراب».
- 4- في ما: «فجن فيه فتحير الناس». و في ف: «ثم جاء الطائي بعده فتحير الناس فيه».

غازل جارية منزلها في مهب الشمال من منزله، و لم يكن يهواها

إشارة

أنه علق جارية ذات ذكر وشرف(1)، وكان منزلها في مهب الشمال من منزله، وفي ذلك يقول:

صوت

أحبّ الرّيح ما هبّت شمالاً *** وأحسدها إذا هبت جنوباً

أهابك أن أبوح بذات نفسي *** وأفرق إن سألتك أن أخيباً

وأهجر صاحبي حبّ التّجنّي *** عليه إذا تجنّيت الذّنوباً(2)

كأنّي حين أغضي عن سواكم *** أخاف لكم على عيني رقيباً

غنى عبد الله بن العباس الرّبيعي في هذه الأبيات هزجاً بالبصير عن الهشاميّ .

كان يحب جاريته محبة شديدة

قال: وكانت له جارية يرسلها إليها ويثبّها سرّه، وتعود إليه بأخبارها ورسائلها؛ فطال ذلك بينهما؛ حتى أحبّتها الجارية التي علقها مسلم و مالت إليها، و كلتاها في نهاية الحسن و الكمال.

و كان مسلم يحبّ جاريته هذه محبة شديدة، و لم يكن يهوى تلك، إنما كان يريد الغزل و المجون و المراسلة، و أن يشيع له حديث(3) بهواها، و كان يرى ذلك من الملاححة و الطّرف و الأدب، فلما رأى مودة تلك لجاريته هجر جاريته مظهرًا لذلك، و قطعها عن الدّهاب إلى تلك، و ذلك قوله:

وأهجر صاحبي حبّ التّجنّي *** عليه إذا تجنّيت الذّنوباً

و راسلها مع غير جاريته الأولى، و ذلك قوله:

تدعى الشوق إن نأت *** و تجنّي إذا دنت

و اعدتنا و أخلفت *** ثم ساءت فأحسنت(4)

سرّني لو صبرت عن *** ها فتجزى بما جنت

(5) إنّ سلمى لو أنّقت *** ربّها فيّ أنجزت

زرعت في الحشا الهوى *** و سقته حتى نبت(5)

أخبرني الحسين بن يحيى و محمد بن يزيد، قالا: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه، قال:

لقي مسلم بن الوليد أبا نواس فقال له: ما أعرف لك بيتا إلا فيه سقط، قال: فما تحفظ من ذلك؟ قال: قل أنت ما شئت حتى أريك سقطه فيه،
فأنشده:

ص: 25

-
- 1- في ما: «ذات خطر و شرف».
 - 2- في الديوان - 274 ط. المعارف: «إن تجنبت».
 - 3- في مي: «وأن يسمع له حديث...» الخ.
 - 4- في ما، و الديوان - 308، و «المختار»: «فأساءت و أحسنت». (5-5) التكلمة من مي و الديوان - 308.

ذكر الصَّبوح سحيرة(1) فارتاحا *** وأمله ديك الصَّباح صباحا

فقال له مسلم: فلم أمله وهو الذي أذكره وبه ارتاح؟ فقال أبو نواس: فأنشدني شيئا من شعرك ليس فيه خلل، فأنشده مسلم:

اعصى الشَّباب فراح غير مفتند(2) *** وأقام بين عزيمة وتجلد

فقال له أبو نواس: قد جعلته رائحا مقيما في حال واحدة وبيت واحد. فتشأبا وتسابا ساعة، وكلا البيتين صحيح المعنى.

ذكر أمام المأمون و عرض أبيات من شعره أعجبه

أخبرني جعفر بن قدامة قال: قال لي محمد بن عبد الله بن مسلم: حدّثني أبي، قال:

اجتمع أصحاب المأمون عنده يوما، فأفاضوا في ذكر الشَّعر والشُّعراء، فقال له بعضهم: أين أنت يا أمير المؤمنين عن مسلم بن الوليد؟ قال: حيث يقول ما ذا؟ قال: حيث يقول وقد رثى رجلا:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوّه *** فطيب تراب القبر دلّ على القبر

و حيث مدح رجلا بالشَّجاعة فقال:

يجود بالنفس إذ صنّ (3) الجواد بها *** والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وهجا رجلا بقبح الوجه والأخلاق فقال:

قبحت مناظره فحين خبرته *** حسنت مناظره لقبح المنخبر

و تعازل فقال:

هوّى يجدّ و حبيب يلعب *** أنت لقي بينهما معذب

فقال المأمون: هذا أشعر من خضتم اليوم في ذكره.

الرشيد ينه يزيد بن يزيد إلى ما قاله فيه مسلم من مدح

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفيّ والحسن بن عليّ الخفاف، قالا: حدّثنا الحسن بن عليل العنزّي، قال:

حدّثني قعنب بن المحرز، وابن التّطاح، عن القحزمي، قال:

قال يزيد بن يزيد: أرسل إليّ الرّشيد يوما في وقت لا يرسل فيه إلى مثلي فأتيته لابسا سلاحي، مستعدّا لأمر إن أراد، فلما رأني ضحك إليّ ثم قال: يا يزيد خبرني من الذي يقول فيك:

تراه في الأمن في درع مضاعفة*** لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل(4)

صافي العيان طموح العين همته*** فك العناة وأسر الفاتك الخطل

ص: 26

1- في ما، ف: «بسحرة».

2- في مي، مج: «ذكر الصبوح فراح غير مفند». و التفنيد: اللوم. و البيت في الديوان - 230 من قصيدة طويلة.

3- في مي، و العقد، و ديوان المعاني: «إن ضن الجواد». و في الديوان - 164: «إذ أنت الضنين بها». و في تاريخ بغداد: «إذ ضن البخيل بها».

4- في الشعر و الشعراء 811:2، و الأغاني 41:5: «أن يأتي على عجل». و في شرح سقط الزن 68: «أن يؤتى على عجل».

لله من هاشم في أرضه جبل *** وأنت وابنك ركنا (1) ذلك الجبل

فقلت: لا أعرفه يا أمير المؤمنين. قال: سواء لك من سيّد قوم يمدح بمثل هذا الشّعر ولا تعرف قائله، وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله، وهو مسلم بن الوليد. فانصرفت فدعوت به ووصلته وولّيته.

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ، والحسن بن عليّ الخفّاف، قالوا: حدّثنا الحسن بن عليّ العنزّي، قال:

حدّثني أبو عبد الله أحمد بن محمد بن سليمان الحنفيّ ذو الهدمين، قال: حدّثني أبي، قال:

دخل يزيد بن مزيد على الرّشيد فقال له: يا يزيد، من الذي يقول فيك:

لا يعبق الطّيب خديّه ومفرقه *** ولا يمّسح عينيه من الكحل

قد عوّد الطّير عادات وثقن بها *** فهنّ يتبعنه (2) في كلّ مرتحل

يزيد بن مزيد يسمع مدحه فيه و يأمر له بجائزة

فقال: لا- أعرف قائله يا أمير المؤمنين. فقال له هارون: أيقال فيك مثل هذا الشّعر ولا تعرف قائله! فخرج من عنده خجلا، فلما صار إلى منزله دعا حاجبه فقال له: من بالباب من الشّعراء؟ قال: مسلم بن الوليد، فقال:

و كيف حجبته عني فلم تعلمني بمكانه؟ قال: أخبرته أنّك مضيق (3)، وأنّه ليس في يديك شيء تعطيه إياه، وسألته الإمساك والمقام أياما إلى أن تتّسع. قال: فأنكر ذلك عليه وقال: أدخله إليّ. فأدخله إليه، فأنشده قوله:

أجرت حبل خليع في الصّبا غزل *** وشمّرت همم العدّال في عدلي (4)

ردّ البكاء على العين الطّموح هوى *** مفرّق بين توديع و مرتحل (5)

أما كفى البين أن أرمى بأسهمه *** حتى رماني بلحظ الأعين التّجل!

مما جنت لي - وإن كانت متّى صدقت - *** صباة خلس التّسليم بالمقل (6)

فقال له: قد أمرنا لك بخمسين ألف درهم، فاقبضها و اعذر. فخرج الحاجب فقال لمسلم: قد أمرني أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف درهم، خمسون ألفا لك و خمسون ألفا لنفقته. وأعطاه إيّاه، و كتب صاحب الخبر بذلك إلى الرّشيد، فأمر ليزيد بمائتي ألف درهم وقال: اقض الخمسين التي أخذها الشّاعر وزده مثلها. و خذ مائة ألف لنفقتك. فافتكّ ضيعته، وأعطى مسلما خمسين ألفا أخرى.

يزوره صديق من الكوفة فيسبح خفيه ليقدم له طعاما

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف، قال: حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني عليّ بن عبيد الكوفيّ، و عليّ بن الحسن كلاهما، قال: أخبرني عليّ بن عمرو، قال:

أحدثني مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني قال: كنت يوماً جالساً في دكان خياط بإزاء منزلي، إذ

ص: 27

-
- 1- في المختار من شعر بشار - 30: «وأنت و ابنك ركنا ذلك الجبل».
 - 2- في مي: «فهن يصحبنه».
 - 3- أضاق الرجل فهو مضيق: ضاق عليه معاشه.
 - 4- في الديوان - 1: «في العذل».
 - 5- في المختار: «و محتمل». وفي الديوان ط. المعارف: «هاج البكاء... و محتمل».
 - 6- في الديوان - 3: «مما جنى لي».

رأيت طارقا ببابي، فقممت إليه فإذا هو صديق لي من أهل الكوفة قد قدم من قم، فسررت به، وكان إنسانا لطم وجهي، لأنه لم يكن عندي درهم واحد أنفقه عليه، فقممت فسلمت عليه، وأدخلته منزلي، وأخذت خفين كانا لي أتجمل بهما، فدفعتهما إلى جاريتي، وكتبت معهما رقعة إلى بعض معارفي في السوق، أسأله أن يبيع الخفين ويشتري لي لحما وخبزا بشيء سمّيته. فمضت الجارية وعادت إليّ وقد اشترى لها ما قد حدّده له، وقد باع الخفين (1) بتسعة دراهم، فكأنها إنما جاءت بخفين جديدين. فقعدت أنا وضيّفي نطبخ، وسألت جارا لي أن يسقينا قارورة نبيذ، فوجّه بها إليّ، وأمرت الجارية بأن تغلق باب الدار مخافة طارق يجيء فيشركنا فيما نحن فيه، ليقى لي وله ما نأكله إلى أن ينصرف.

يصل إليه رسول يزيد بن يزيد و يدفع إليه عشرة آلاف درهم

فإنّا لجالسان نطبخ حتى طرق الباب طارق، فقلت لجاريتي: انظري من هذا. فنظرت من شق الباب فإذا رجل عليه سواد وشاشية ومنطقة و معه شاكري، فخبرتني بموضعه فأنكرت أمره (2)، ثم رجعت إلى نفسي فقلت: لست بصاحب دعارة، ولا لسلطان عليّ سبيل. ففتحت الباب وخرجت إليه، فنزل عن دابته وقال: أنت مسلم بن الوليد؟ قلت: نعم. فقال: كيف لي بمعرفتك؟ قلت: الآذي ذلك على منزلي يصحّ لك معرفتي. فقال لغلامه:

امض إلى الخياط فسله عنه. فمضى فسأله عني فقال: نعم هو مسلم بن الوليد. فأخرج إليّ كتابا من خقه، وقال:

هذا كتاب الأمير يزيد بن يزيد إليّ، يأمرني ألا أفصّه إلا عند لقائك، فإذا فيه: إذا لقيت مسلم بن الوليد فادفع إليه / هذه العشرة آلاف درهم، التي أنفذتها تكون له في منزله، وادفع ثلاثة آلاف درهم نفقة ليتحمّل بها إلينا. فأخذت الثلاثة والعشرة، ودخلت إلى منزلي والرجل معي، فأكلنا ذلك الطعام، وازدودت فيه وفي الشراب، واشترت فاكهة، واتسعت ووهبت لضيّفي من الدراهم ما يهدي به هديّة لعياله.

يذهب إلى يزيد و ينشده قصيدة في مدحه

وأخذت في الجهاز، ثم ما زلت معه حتى صرنا إلى الرقة إلى باب يزيد، فدخل الرجل وإذا هو أحد حجّابه، فوجده في الحمام، فخرج إليّ فجلس معي قليلا، ثم خبر الحاجب بأنه قد خرج من الحمام، فأدخلني إليه، وإذا هو على كرسيّ جالس، وعلى رأسه وصيفة بيدها غلاف مرآة، وبيده هو مرآة، ومشط يسرح لحيته، فقال لي:

يا مسلم، ما الذي بطأ بك عتّا؟ فقلت: أيها الأمير، قلّة ذات اليد. قال: فأنشديني. فأنشده قصيدتي التي مدحته فيها:

أجرت حبل خليع في الصبا غزل *** و شمّرت همم العذال في عذلي

فلما صرت إلى قولي:

لا يعقب الطيب خديه ومفرقه *** ولا يمسخ عينيه من الكحل (3)

ص: 28

1- في ف والمختار: «الخف».

2- في ما: «أمري». والشاشية: العمامة. والمنطقة: الحزام ينتطق به. والشاكري: الأجير.

3- في الأغاني 44/5، وابن خلكان 284/2: «كفيه و مفرقه». و جاء في شرح الديوان - 13: «لا يعبق الطيب خديه و مفرقه أي لا يلصق بهما. و لا يمسح عينيه من الكحل أي لا يتكحل... يطعن بذلك على بني عمه الذين كانوا أقبلوا إلى أبيهم ليلا متعطين، و أقبل هو إليه في السلاح».

وضع المرأة في غلافها، وقال للجارية: انصرفي، فقد حرم علينا مسلم الطيب. فلما فرغت من القصيدة قال لي: يا مسلم، أتدري ما الذي حداني إلى أن وجهت إليك؟ فقلت: لا والله ما أدري. قال: كنت عند الرشيد منذ ليل أغمز (1) رجله، إذ قال لي: يا يزيد، من القائل فيك:

اسلّ الخليفة سيفاً من بني مطر *** يمضي فيخترم الأجساد والهاما (2)

كالدهر لا ينثني عمّا (3) يهّم به *** قد أوسع الناس إنعاما وإرغاما

فقلت: لا والله ما أدري. فقال لي الرشيد: يا سبحان الله! أنت مقيم على أعرابيتك، يقال فيك مثل هذا الشعر ولا تدري من قائله! فسألت عن قائله، فأخبرت أنك أنت هو، فقم حتى أدخلك على أمير المؤمنين.

يدخل على الرشيد ويمدحه فيأمر له بجائزة

ثم قام فدخل على الرشيد، فما علمت حتى خرج عليّ الإذن فأذن لي، فدخلت على الرشيد، فأنشدته ما لي فيه من الشعر، فأمر لي بمائتي ألف درهم، فلما انصرفت إلى يزيد أمر لي بمائة وتسعين ألفاً، وقال: لا يجوز لي أن أعطيك مثل ما أعطاك أمير المؤمنين. وأقطعني إقطاعات تبلغ غلتها مائتي ألف درهم.

يهجو يزيد فيدعوه الرشيد ويحذره

قال مسلم: ثم أفضت بي الأمور بعد ذلك إلى أن أغضبني هجوته، فشكاني إلى الرشيد، فدعاني وقال:

أتبيني عرض يزيد؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين. فقال لي: بكم؟ فقلت: برغيف خبز. فغضب حتى خفته على نفسي، وقال: قد كنت على أن أشتريه منك بمال جسيم، ولست أفعل ولا كرامة، فقد علمت إحسانه إليك، وأنا نفي من أبي، والله ثم والله لئن بلغني أنك هجوته لأنزعن لسانك من بين فكّيك، فأمسكت عنه بعد ذلك، وما ذكرته بخير ولا شرّ.

البيدق يصله يزيد بن يزيد و يسمعه شعره فيأمر له بجائزة

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني محمد بن عبد الله اليعقوبي، قال:

/حدّثني البيدق (4) الراوية - وكان من أهل نصيبين - قال: دخلت دار يزيد بن يزيد يوما وفيها الخلق، وإذا فتى شابّ جالس في أفناء الناس، ولم يكن يزيد عرفه بعد، وإذا هو مسلم بن الوليد، فقال لي: ما في نفسي أن أقول شعرا أبدا، فقلت: ولم؟ قال: لأنّي قد مدحت هذا الرجل بشعر ما مدح بمثله قطّ، ولست أجد من يوصله، فقلت له: أنشدني بعضه، فأنشدني منه:

موف على مهج في يوم ذي رهج *** كأنه أجل يسعى إلى أمل

1- الغمز: الكبس باليد و الجس.

2- في الديوان - 63: «فيخترق الأجساد...». وفي ديوان المعاني: «فيخترق الأحشاء...».

3- في الديوان - 62: «لا ينثني عمن يهم به».

4- في مي: «البيزق».

يقري السيوف نفوس التاكثين به *** ويجعل الروس تيجان القنا الذبل

لا يعبق الطيب خديه و مفرقه *** ولا يمسخ عينيه من الكحل

إذا انتضى سيفه كانت مسالكه *** مسالك الموت في الأجسام و القل (1)

وإن خلت بحديث النفس فكرته *** عاش الرجاء و مات الخوف من وجل (2)

كاللث إن هجته فالموت راحته *** لا يستريح إلى الأيام و الدول

لله من هاشم في أرضه جبل *** و أنت و ابنك ركنا ذلك الجبل

صدقت ظني و صدقت الظنون به *** و حط جودك عقد الرحل عن جملي (3)

قال: فأخذت منها بيتين، ثم قلت له: أنشدني أيضا ما لك فيه، فأنشدني قصيدة أخرى ابتداءها:

/طيف الخيال حمدنا منك إماما *** داويت سقما و قد هيجت أسقما

يقول فيها:

كالدهر لا ينثني عمّا يهّم به *** قد أوسع الناس إنعاما و إرغاما

قال: فأنشدت هذه الأبيات يزيد بن مزيد، فأمر له بخمسمائة درهم. ثم ذكرته بالرقّة فقلت له: هذا الشاعر الذي قد مدحك فأحسن، تقتصر به

على خمسمائة درهم! فبعث إليه بخمسمائة درهم أخرى، قال: فقال لي مسلم:

جاءتني و قد رهنّت طيلسانني على رعوس الإخوان (4)، فوقعت منّي أحسن موقع.

تضمخ يزيد بالطيب ثم غسله لئلا يكذب قول مسلم

أخبرني محمد بن عمران، قال: حدّثنا العنزّي، عن محمد بن بدر العجلّي، عن إبراهيم بن سالم، عن أبي فرعون مولى يزيد بن مزيد قال:

ركب يزيد يوما إلى الرّشيد فتغلّف بغالية (5)، ثم لم يلبث أن عاد فدعا بطست فغسل الغالية، وقال: كرهت أن أكذب قول مسلم بن الوليد:

لا يعبق الطيب خديه و مفرقه *** ولا يمسخ عينيه من الكحل

يشير على يزيد بن مزيد بإحراق كتاب وصله

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني أبو توبة، قال:

كان مسلم بن الوليد جالسا بين يدي يزيد بن مزيد فأتاه كتاب فيه مهمّم له، فقرأه سرّا و وضعه، ثم أعاد قراءته و وضعه، ثم أراد القيام، فقال له

-
- 1- في الديوان - 14: «في الأبدان والقلل».
 - 2- في الديوان - 24: «حيي الرجاء»، وفي المستجد - 101: «... بحدِيث النفس نظرتة». و جاء في الشرح: «إذا خلت بحدِيث النفس فكرته فإنه يفكر في بذل العطايا للناس فيموت خوفهم للفقر عند ذلك».
 - 3- في ف: «و حل جودك»، و المثبت من ما، مج، و الديوان - 23، و جاء في الشرح: «صدّقت ظني و ظن من علم إقبالي إليك، و أغنيتني عن السفر فلا أحتاج إلى أن أسافر بعدها أبدا».
 - 4- ف: «على رءوس لإخواني».
 - 5- تغلف بغالية: تطيب بالطيب.

الحزم تحريقه إن كنت ذا حذر(1) *** و إنما الحزم سوء الظنّ بالناس

لقد أتاك وقد أذى أمانته *** فاجعل صيانتته في بطن أرماس

قال: فضحك يزيد وقال: صدقت لعمرى. و خرّق الكتاب، و أمر بإحراقه.

انقطع إلى محمد بن يزيد بعد موت أبيه ثم هجره

حدّثني عمّي و جحظة، قالوا: حدّثنا عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى، قال: حدّثني أبو محلّم، و حدّثني عمّي، قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني أبو توبة، قال:

كان مسلم بن الوليد صديقاً ليزيد بن يزيد و مدّاحاً له، فلما مات انقطع إلى ابنه محمد بن يزيد، و مدّحه كما مدّح أباه، فلم يصنع إليه خيراً، و لم يرضه ما فعله به، فهجره و انقطع عنه، فكتب إليه يستحفيه(2) و يلومه على انقطاعه عنه، و يذكره حقوق أبيه عليه، فكتب إليه مسلم:

لبست عزاء عن لقاء محمد *** و أعرضت عنه منصفا و ودودا

و قلت لنفس قادها الشوق نحوه *** فعوضها حبّ اللقاء صدودا

هبية امرأ قد كان أصفاك ودّه *** فمات و إلاّ فاحسببه يزيدا

لعمرى لقد ولّى فلم ألق بعده *** و فاء لذي عهد يعدّ حميدا

مات يزيد ببرذعة فرثاه مسلم

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني أحمد بن محمد بن أبي سعد، قال:

أهديت إلى يزيد بن يزيد جارية و هو يأكل، فلما رفع الطّعام من بين يديه و طنّها فلم ينزل عنها، إلا ميّتا، و هو ببرذعة(3)، فدفن في مقابر برذعة، و كان مسلم معه في صحابته فقال يرثيه:

قبر ببرذعة استسرّ ضريحه *** خطرا تقاصر دونه الأخطار

أبقى الزّمان على ربيعة بعده *** حزنا كعمر الدّهر ليس يعار

سلكت بك العرب السّبيل إلى العلا *** حتى إذا بلغوا المدى بك حاروا

و يروى:

حتى إذا سبق الرّدى بك حاروا(4)

- هكذا أنشده الأخصس -:

نفضت بك الأحلاس نفض إقامة*** و استرجعت روادها الأمصار

فاذهب كما ذهب غوادي مزنة*** أثنى عليها السهل والأوعار

ص: 31

1- في الديوان - 324، و عيون الأخبار: «تخريقه».

2- استحفاء: استخبره. و في مي، ما: «يستجفيه».

3- برذعة: بلد في أقصى أذربيجان.

4- في مي، معج: «حتى إذا بلغوا المداخل جاروا». و في ف: «حتى إذا بلغوا المدى بك جاروا».

قصة راويته الذي أرسله إلى داود بن يزيد المهلبي

نسخت من كتاب جدِّي يحيى بن محمد بن ثوبة: حدَّثني الحسن بن سعيد، عن أبيه، قال:

كان داود بن يزيد بن حاتم المهلبي يجلس للشعراء في السنة مجلسا واحدا فيقصدونه لذلك اليوم وينشدونه، فوجه إليه مسلم بن الوليد راويته بشعره الذي يقول فيه:

جعلته حيث ترتاب الرياح به *** وتحسد الطير فيه أضبع البيد(1)

فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء، و لحقه بعقب خروجهم عنه، فتقدّم إلى الحاجب وحسر لثامه عن وجهه ثم قال له: استأذن لي على الأمير. قال: و من أنت؟ قال: شاعر. قال: قد انصرم وقتك، وانصرف الشعراء، وهو على القيام. فقال له: ويحك/قد وفدت على الأمير بشعر ما قالت العرب مثله. قال: وكان مع الحاجب أدب يفهم به ما يسمع، فقال: هات حتى أسمع، فإن كان الأمر كما ذكرت أوصلتك إليه. فأنشده بعض القصيدة، فسمع شيئا يقصر الوصف عنه، فدخل على داود فقال له: قد قدم على الأمير شاعر بشعر ما قيل فيه مثله، فقال: أدخل قائله.

فأدخله، فلمّا مثل بين يديه سلّم وقال: قدمت على الأمير - أعزّه الله - بمدح يسمعه فيعلم به تقدّمي على غيري ممّن امتدحه. فقال: هات. فلما افتتح القصيدة وقال:

لا تدع بي الشوق إني غير معمود *** نهى التّهي عن هوى البيض الرّعايد(2)

استوى جالسا وأطرق، حتى أتى الرّجل على آخر الشعر، ثم رفع رأسه إليه ثم قال: أ هذا شعرك؟ قال: نعم أعزّ الله الأمير، قال: في كم قلته يا فتى؟ قال: في أربعة أشهر، أبقاك الله، قال: لو قلته في ثمانية أشهر لكنت محسنا، وقد اتهمتك لجودة شعرك وخمول ذكرك، فإن كنت قائل هذا الشّعر فقد أنظرتك أربعة أشهر في مثله، وأمرت بالإجراء عليك، فإن جئتنا بمثل هذا الشّعر وهبت لك مائة ألف درهم وإلا حرمتك. فقال: أو الإقالة، أعزّ الله الأمير. قال: أقلتلك، قال: الشّعر لمسلم بن الوليد، وأنا راويته والوافد عليك بشعره. فقال: (3) أنا ابن حاتم(3)، إنك لمّا افتتحت شعره فقلت:

لا تدع بي الشوق إني غير معمود

سمعت كلام مسلم يناديني فأجبت نداه و استويت جالسا. ثم قال: يا غلام، أعطه عشرة آلاف درهم، واحمل الساعة إلى مسلم مائة ألف درهم.

أنشد الفضل بن سهل شعرا فولاه البريد بجران

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني مسعود بن عيسى العبدي، قال: أخبرني موسى بن عبد الله التّميمي، قال:

دخل مسلم بن الوليد الأنصاري على الفضل بن سهل لينشده شعرا، فقال له: أيها الكهل، إني أجلك عن الشّعر فسل حاجتك، قال: بل تستمّ اليد عندي بأن تسمع، فأنشده:

1- في مي، مج: «أسبع» بدل: «أضبع».

2- في الديوان - 151: «نهى النهي عن هوى الهيف الرعايد». (3-3) التكملة من ما، ساقطة من مي، مج.

دموعها من حذار البين تنسكب *** و قلبها مغرم من حرّها يجب

جدّ الرّحيل به عنها ففارقها *** لبينه اللّهُو و اللّذات و الطّرب

يهوى المسير إلى مرو و يحزنه *** فراقها فهو ذو نفسين يرتقب

فقال له الفضل: إني لأجلك عن الشعر، قال: فأغنتني بما أحببت من عملك؛ فولاه البريد بجرجان.

قال بيتا من الشعر أخذ معناه من التوراة

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني الحسين بن أبي السّريّ .

و أخبرني بهذه الأخبار محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدّثني إبراهيم بن محمد الورّاق، عن الحسين بن أبي السّريّ قال: قيل لمسلم بن الوليد: أيّ شعرك أحبّ إليك؟ قال: إن في شعري لبينا أخذت معناه من التّوراة، و هو قولِي:

دلّت على عيبها الدّنيا و صدّقها *** ما استرجع الدّهر ممّا كان أعطاني

قذف في البحر بدفتر فيه شعره فقلّ شعره

قال الحسين: و حدّثني جماعة من أهل جرجان أنّ راوية مسلم جاء إليه بعد أن تاب ليعرض عليه شعره، فتغافله مسلم، ثم أخذ منه الدّفتر الّذي في يده، فقذف به في البحر، فلهذا قلّ شعره، فليس في أيدي التّاس منه إلا ما كان بالعراق، و ما كان في أيدي الممدوحين من مدائنهم.

كان يكره لقب صريع الغواني

قال الحسين: و حدّثني الحسين بن دعبل، قال: قال أبي لمسلم: ما معنى ذلك:

لا تدع بي الشّوق إنّي غير معمود

قال: لا تدعني صريع الغواني فلست كذلك؛ و كان يلقّب هذا اللّقب و كان له كارها.

عتب عليه عيسى بن داود ثم رضي عنه

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، قال: عتب عيسى بن داود(1) على مسلم بن الوليد فهجره، و كان إليه محسنا، فكتب إليه مسلم:

شكرتك للتّعنى فلما رميتني *** بصدك تأديبا شكرتك في الهجر

فعندي للتأديب شكر و للتّدى *** و إن شئت كان العفو أدعى(2) إلى الشّكر

إذا ما اتَّقاك (3) المستلیم بعذرہ *** فعفوك خیر من ملام علی عذر

قال: فرضي عنه و عاد له إلى حاله.

ص: 33

1- كذا في مي، مج. وفي ف: «عيسى برد أيرود». وفي ما: «عيسى بن يزد أيرود»

2- في ما و الديوان - 319: «أدنى»، و المثبت من ف، مي، مج.

3- في ما: و الديوان - 319: «إذا ما التَّقاك».

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني ابن مهرويه، قال: حدّثني محمد بن الأشعث، قال: حدّثني دعبل بن عليّ، قال:

كان مسلم بن الوليد من أبخل الناس، فرأيته يوما وقد استقبل الرضا عن غلام له بعد موجدة، فقال له: قد رضيت عنك و أمرت لك بدرهم.

بذمه دعبل عند الفضل بن سهل فيهجوه

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني ابن مهرويه، قال: حدّثني محمد بن عمرو بن سعيد قال:

خرج دعبل إلى خراسان لما بلغه حظوة مسلم بن الوليد عند الفضل بن سهل. فصار إلى مرو، و كتب إلى الفضل بن سهل:

لا تعبان بابن الوليد فإنه *** يرميك بعد ثلاثة بملال

إنّ الملول وإن تقادم عهده *** كانت مودّته كفيء ظلال

قال: فدفع الفضل إلى مسلم الرقعة و قال له: انظر يا أبا الوليد إلى رقعة دعبل فيك، فلما قرأها قال له: هل عرفت لقب دعبل و هو غلام أمرد و

هو يفسق به؟ قال: لا، قال: كان يلقب بميَّاس، ثم كتب إليه:

ميَّاس قل لي: أين أنت من الوري *** لا أنت معلوم (1) و لا مجهول!

أمّا الهجاء فدقّ عرضك دونه *** و المدح عنك كما علمت جليل

فاذهب فأنت طليق عرضك إنّه *** عرض عززت به و أنت ذليل

ما جرى بينه و بين دعبل بسبب جارية

أخبرني محمد بن الحسين الكنديّ الكوفيّ مؤدّبي، قال: حدّثني أزهر بن محمد، قال:

حدّثني الحسين بن دعبل، قال: سمعت أبي يقول: بينا أنا جالس بباب الكرخ إذ مرّت بي جارية لم أر أحسن منها وجهها و لا قدّا تشّئي في

مشيها و تنظر في أعطافها، فقلت متعرّضا لها:

دموع عيني بها انبساط *** و نوم عيني به انقباض

/فأجابتنني بسرعة فقالت:

و ذا قليل لمن دهته *** بلحظها الأعين المراض

فأدهشتني و عجبت منها فقلت:

فهل لمولاي عطف قلب *** و للذي في الحشا انقراض

فأجابتنى غير متوقّعة فقالت:

إن كنت تهوى الوداد منا *** فالودّ في ديننا قراض

ص: 34

1- في ف، مي، مج: معقول.

قال: فما دخل أذني كلام قَطّ أحلى من كلامها، ولا رأيت أنضر وجهها منها، فعدلت بها عن ذلك الشعر(1) وقلت:

أ ترى الزّمان يسرّنا بتلاق *** و يضمّ مشتاقا إلى مشتاق

فأجابتي بسرعة فقالت:

ما للزّمان وللتحكّم بيننا *** أنت الزّمان فسرّنا بتلاق

قال: فمضيت أمامها أومّ بها دار مسلم بن الوليد وهي تتبعني، فصرت إلى منزله، فصادفته على عسرة، فدفع إليّ منديلا وقال: اذهب فبعه، وخذ لنا ما نحتاج إليه وعد؛ فمضيت مسرعا. فلما رجعت وجدت مسلما قد خلا بها في سرداب، فلما أحسّ بي وثب إليّ وقال: عرّفك الله يا أبا عليّ جميل ما فعلت، ولقّاك ثوابه، وجعله أحسن حسنة لك، فغاضني قوله و طنزه(2)، وجعلت أفكر أيّ شيء أعمل به، فقال: بحياتي يا أبا عليّ أخبرني من الذي يقول:

بتّ في درعها وبات رفيقي *** جنب القلب طاهر الأطراف

فقلت:

من له في حرّامه ألف قرن *** قد أنافت على علوّ مناف!

وجعلت أشتمه وأثب(3) عليه، فقال لي: يا أحمق، منزلي دخلت، و منديلي بعت، و دراهمي أنفقت، على من تحرد أنت؟ وأيّ شيء سبب حردك يا قواد؟ فقلت له: مهما كذبت عليّ فيه من شيء فما كذبت في الحمق والقيادة.

هجاؤه ثلاثة كانوا يصلونه أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني ابن مهرويه والعنزيّ، عن محمد بن عبد الله العبديّ، قال:

هجا مسلم بن الوليد سعيد بن سلم و يزيد بن يزيد و خزيمه بن خازم فقال:

ديونك لا يقضى الزّمان غريمها *** وبخلك بخل الباهليّ سعيد

سعيد بن سلم أبخل(4) التّاس كلّهم *** و ما قومه من بخله ببعيد

يزيد له فضل و لكنّ مزيدا *** تدارك فينا بخله بيزيد(5)

خزيمه لا عيب له(6) غير أنه *** لمطبخه قفل و باب حديد

هجاؤه سعيد بن سلم أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة، قال: حدّثنا الأصمعيّ، قال:

قال لي سعيد بن سلم: قدمت عليّ امرأة من باهلة من اليمامة، فمدحتني بأبيات، ما تمّ سروري بها حتى

- 1- في ما: «الوجه».
- 2- طنزه: سخريته و تهكمه.
- 3- ف: «و أث عليه».
- 4- في الديوان - 271: «سعيد بن سلم أأم الناس كلهم».
- 5- في الديوان - 271: «تدارك أقصى مجده بيزيد».
- 6- في الديوان - 271: «خزيمة لا بأس به غير أنه».

نَعَّصْنِيهَا مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ بِهَجَاءٍ بَلْغَنِي أَنَّهُ هَجَانِي بِهِ، فَقُلْتُ: مَا الْأَبْيَاتُ الَّتِي مَدَحْتَ بِهَا؟ فَأَنْشَدَنِي:

اقتيبة قيس ساد قيسا وسلمها *** فلما تولّى ساد قيسا سعيدها

وسيد قيس سيد الناس كلّها *** وإن مات من رعم وذلّ حسودها

هم رفعوا كفيك بالمجد والعلا *** ومن يرفع الأبناء إلا جدودها

إذا مدّ للعليا سعيد يمينه *** ننت كفّه عنها أكفّا تريدها

قال الأصمعيّ: فقلت له: فبأيّ شيء نَعَّصْتَهَا عَلَيْكَ مُسْلِمُ؟ فضحك وقال: كلّفْتَنِي شَطَطًا، ثم أنشد:

وأحببت من حبّها (1) الباخلين *** حتى ومقت ابن سلم سعيدا

إذا سيل عرفا كسا وجهه *** ثيابا من التّع صفرا وسودا (2)

يغار (3) على المال فعل الجوا *** د وتأبى خلائقه أن يجودا

يهجو بعض الكتاب لأنه لم يعجبه شعره

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا الكرانيّ، قال: حدّثني التّوشجانيّ الخليل بن أسد، قال: حدّثني عليّ بن عمرو، قال:

وقف بعض الكتاب على مسلم بن الوليد وهو ينشد شعرا له في محفل، فأطال ثم انصرف، وقال لرجل كان معه: ما أدري أيّ شيء أعجب الخليفة والخاصّة من شعر هذا؟ فوالله ما سمعت منه طائلا، فقال مسلم: ردّوا عليّ الرّجل، فردّ إليه، فأقبل عليه ثم قال:

أمّا الهجاء فدقّ عرضك دونه *** والمدح عنك كما علمت جليل

فاذهب فأنّ طليق عرضك إنه *** عرض عززت به وأنت ذليل

كان أستاذا لدعبل ثم تخصّصا ولم يلتقيا

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدّثني إبراهيم بن محمد الورّاق، قال: حدّثني الحسين بن أبي السريّ، قال:

كان مسلم بن الوليد أستاذا لدعبل وعنه أخذ، ومن بحره استقى. و حدّثني دعبل أنّه كان لا يزال يقول الشعر فيعرضه على مسلم، فيقول له: إيّاك أن يكون أوّل ما يظهر لك ساقطا فتعرف به، ثم لو قلت كلّ شيء جيّدا كان الأوّل أشهر عنك، و كنت أبدا لا تزال تعيّر به، حتّى قلت:

أين الشّباب وأيّة سلكا

فلما سمع هذه قال لي: أظهر الآن شعرك كيف شئت.

قال الحسن: وحدثني أبو تمام الطائي قال:

ص: 36

1- في ما: «من أجلها».

2- في الديوان - 270: «ثيابا من اللؤم حمرا وسودا».

3- في ف: «أغار». وفي الديوان - 270: «يغير».

ما زال دعبل متعصبا لمسلم، مانلا إليه، معترفا بأستاذيته حتى ورد عليه جرجان، فجفاه مسلم، و هجره دعبل، فكتب إليه:

أبا مخلد كنا عقيدي مودة *** هوانا و قلبانا جميعا معا معا

أحوطك بالغيب الذي أنت حائطي *** و أجزع إشفاقا بأن تتوجعا (1)

فصيرتني بعد انتكائك (2) متهما *** لنفسي عليها أرب الخلق أجمعا

غششت الهوى حتى تداعت أصوله *** بنا و ابتذلت الوصل حتى تقطعا

و أنزلت من بين الجوانح و الحشا *** ذخيرة ودّ طال ما قد تمنعا

فلا تلحيني ليس لي فيك مطمع *** تخزقت حتى لم أجد لك مرقعا

فهبك يميني استأكلت فقطعتها *** و جشمت قلبي صبره فتشجعا (3)

/قال: ثم تهاجرا بعد ذلك، فما التقيا حتى ماتا.

محمد بن أبي أمية يمزح معه

أخبرني عمي، قال: حدثنا أحمد بن أبي طاهر، قال: أخبرني أحمد بن أبي أمية، قال: لقي أخي محمد بن أبي أمية مسلم بن الوليد و هو يثنى (4)، و رواه مع بعض أصحابه (5)، فسلم عليه، ثم قال له: قد حضرني شيء.

فقال: هاته، قال: على أنه مزاح و لا تغضب، قال: هاته و لو كان شتما، فأنشدته:

من رأى فيما خلا رجلا *** تيهه أربى على جدته

يتمشى راجلا و له *** شاكري في قلنسيته

فسكت عنه مسلم و لم يجبه، و ضحك ابن أبي أمية و افترقا.

لقي محمد بن أبي أمية بعد موت بردونه فرد عليه مزاحه

قال: و كان لمحمد بردون يركبه فنفق، فلقيه مسلم و هو راجل، فقال: ما فعل بردونك؟ قال: نفق، قال:

فنجازيك إذا على ما أسلفتناه، ثم أنشده:

قل لابن مي لا تكن جازعا *** لن يرجع البردون بالليث (6)

طامن أحشاءك فقدانه (7) *** و كنت فيه عالي الصوت

-
- 1- المختار: «من أن يتوجعا». وفي ف: «أحوطك بالغيب الذي لست حائطي».
 - 2- المختار: «بعد انتهابك».
 - 3- المختار: «صبوة فتجشعا» بدل: «صبره فتجشعا».
 - 4- في ما: «يمشي».
 - 5- في مي: «وطويلته مع بعض أصحابه».
 - 6- في الديوان - 282: «ليس على البرذون من فوت». و البرذون: ضرب من الدواب يخالف الخيل العراب، عظيم الخلقة، غليظ الأعضاء.
 - 7- في الديوان - 282: «طأطأ من تيهك فقدانه».

و كنت لا تنزل عن ظهره *** و لو من الحش (1) إلى البيت

ما مات من سقم و لكنّه (2) *** مات من الشوق إلى الموت

أبو تمام يحفظ شعره و شعر أبي نواس

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني ابن مهرويه، قال: حدّثني أحمد بن سعيد الحريريّ أنّ أبا تمام حلف ألاّ يصلّي حتى يحفظ شعر مسلم و أبي نواس، فمكث/شهرين كذلك حتى حفظ شعرهما. قال: و دخلت عليه فرأيت شعرهما بين يديه، فقلت له: ما هذا؟ فقال: اللات و العزى و أنا أعبدهما من دون الله.

اجتمع مع أبي نواس فتناشدا شعرهما

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني سمعان بن عبد الصّمد، قال: حدّثني دعبل بن عليّ، قال:

كان أبو نواس يسألني أن أجمع بينه و بين مسلم بن الوليد؛ و كان مسلم يسألني أن أجمع بينه و بين أبي نواس، و كان أبو نواس إذا حضر تخلّف مسلم، و إذا حضر مسلم تخلّف أبو نواس، إلى أن اجتمعا، فأنشده أبو نواس:

أ جارة بيتينا أبوك غيور *** و ميسور ما يرجى لديك عسير

و أنشده مسلم:

لله من هاشم في أرضه جبل *** و أنت و ابنك ركننا ذلك الجبل

فقلت لأبي نواس: كيف رأيت مسلما؟ فقال: هو أشعر الناس بعدي. و سألت مسلما و قلت: كيف رأيت أبا نواس؟ فقال: هو أشعر الناس و أنا بعده.

أمر له ذو الرّاستين بمال عظيم بعد أن أنشده شعرا شكاه فيه حاله

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني إبراهيم بن عبد الخالق الأنصاريّ من ولد النّعمان بن بشير، قال: حدّثني مسلم بن الوليد، قال:

وجّه إليّ ذو الرّاستين، فحملت إليه، فقال: أنشدني قولك:

بالغمر من زينب أطلال *** مرّت بها بعدك أحوال

فأنشده إيّاها حتّى انتهيت إلى قولي:

و قائل ليست له همّة *** كلاً و لكن ليس لي مال

و همّة المقتر أمنيّة *** همّ مع الدهر (3) و أشغال

-
- 1- الحش: البستان.
 - 2- في الديوان - 282: «ما مات من حتف و لكنه».
 - 3- الديوان - 121: «عون على الدهر».
 - 4- في الديوان - 150: «لا حدة تنهض في عزمها».

فاقعد مع الدّهر إلى دولة *** ترفع فيها حالك الحال(1)

قال: فلمّا أنشدته هذا البيت قال: هذه والله الدّولة التي ترفع حالك(2). وأمر لي بمال عظيم وقلّديني - أو قال قبلني - جوز جرجان(3).

هجا معن بن زائدة ويزيد بن مزيد فهده الرشيد

حدّثني جحظة، قال: حدّثني ميمون بن هارون، قال:

كان مسلم بن الوليد قد انحرف عن معن بن زائدة بعد مدحه إياه، لشيء أوحشه منه، فسأله يزيد بن مزيد أن يهبه له، فوعده ولم يفعل، فتركه يزيد خوفاً منه، فهجاه هجاء كثيراً، حتى حلف له الرشيد إن عاود هجاءه قطع لسانه، فمن ذلك قوله فيه:

يا معن إنك لم تزل في خزية *** حتى لفتت أباك في الأكفان

فاشكر بلاء الموت عندك إنّه *** أودى بلؤم الحيّ من شيبان

قال: و هجا أيضا يزيد بن مزيد بعد مدحه إياه فقال:

أيزيد يا مغرور الأم من مشى *** ترجو الفلاح وأنت نطفة(4) مزيد

إن كنت تنكر منطقي فاصرخ به *** يوم العروبة(5) عند باب المسجد

في من يزيد فإن أصبت بمزيد *** فلسا فهاك على مخاطرة يدي

/هكذا روى جحظة في هذا الخبر، و الشعرا جميعا في يزيد بن مزيد، فالأول منهما أوله:

أيزيد إنك لم تزل في خزية

وهكذا هو في شعر مسلم. ولم يلتق مسلم معن بن زائدة، ولا له فيه مدح ولا هجاء.

رثاؤه يزيد بن مزيد

أخبرني عمي، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثنا محمد بن عبد الله بن جشم، قال:

كان يزيد بن مزيد قد سأل مسلم بن الوليد عما يكفيه ويكفي عياله، فأخبره فجعله جارية له، ثم قال: ليس هذا مما تحاسب به بدلا من جائزة أو ثواب مديح. فكان يبعث به إليه في كلّ سنة، فلمّا مات يزيد رثاه مسلم فقال:

أحقّا أنّه أودى يزيد *** تبين أيّها التّاعي المشيدا!

أ تدري من نعت و كيف دارت *** به شفتاك دار بها الصّعيد(6)

- 1- في الديوان - 150: «فاصبر مع الدهر... تحمل فيها...».
- 2- في مي، ميج: «التي ترفع حالك الخال». وفي المختار: «هذه الدولة التي يرفع فيها حالك».
- 3- ما: «حوز». ولعلها جوزجانان أو جوزجان، وهما واحد. اسم لكورة واسعة من كور بلخ بخراسان. وقبلة: جعله يلتزم العمل.
- 4- في ف: «خلفة».
- 5- يوم العروبة: يوم الجمعة، وهو من أسمائها القديمة.
- 6- في الديوان - 147: تأمل من نعت و كيف فاهت به شفتاك كان بها الصعيد

أحامي المجد والإسلام أودى *** فما للأرض ويحك لا تميد!

تأمل هل ترى الإسلام مالت *** دعائمه و هل شاب الوليد

و هل شيمت سيوف بني نزار *** و هل وضعت عن الخيل اللبود

و هل تسقي البلاد عشار(1) مزن *** بدرتها و هل يخضرّ عود

أما هدّت لمصرعه نزار *** بلى و تقوّض المجد المشيد

و حلّ ضريحه إذ حلّ فيه *** طريف المجد و الحسب التّليد

/أما و الله ما تنفكّ عيني *** عليك بدمعها أبدا تجود

و إن تجمد دموع لئيم قوم *** فليس لدمع ذي حسب جمود

أبعد يزيد تختزن البواكي *** دموعا أو تصان لها حدود

لتبكك قبة الإسلام لّمّا *** وهت أطنابها و وهى العمود

و يبكك شاعر لم يبق دهر *** له نشبا و قد كسد القصيد

فإن يهلك يزيد فكلّ حيّ *** فريس للمنيّة أو طريد

هكذا في الخبر، و القصيدة للتّيميّ .

مدح الفضل بن سهل

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ، قال: حدّثنا الهشاميّ، قال: حدّثني عبد الله بن عمرو، قال: حدّثني موسى بن عبد الله التّيميّ، قال:

دخل مسلم بن الوليد على الفضل بن سهل، فأنشده قوله فيه:

لو نطق الناس أو أنبوا بعلمهم *** و تّبّهت عن معالي دهرك الكتب(2)

لم يبلغوا منك أدنى ما تمت به *** إذا تفاخرت الأملاك و انتسبوا

فأمر له عن كلّ بيت من هذه القصيدة بألف درهم.

رثاؤه الفضل بن سهل

ثم قتل الفضل فقال يرثيه:

ذهلت فلم أتقع غليلا بعبرة*** وأكبرت أن ألقى بيومك ناعيا

فلما بدا لي أنه لاعج الأسي*** وأن ليس إلا الدمع للحزن شافيا

أقمت لك الأنواح ترتدّ بينها*** مآتم تندبن(3) الندى والمعاليا

و ما كان منعى الفضل منعاة واحد(4)*** ولكن منعى الفضل كان مناعيا

أ للباس أم للجود أم لمقاوم*** من الملك يزحمن الجبال الرّواسيا!

ص: 40

-
- 1- في ما، و الوفيات: ثقال مزن. و عشار معدول عن عشرة عشرة، يقال: جاءوا عشار أي جاءوا عشرة عشرة.
 - 2- في الديوان - 304: «... أو أثنوا بعلمهم». وفي المختار: «و نبات عن معالي دهرك».
 - 3- ف: «تبدين الندى و المعاليا».
 - 4- وفي ف و الديوان - 346: «منعى و حادة». وفي ما و المختار: «منعى و جادة».

عفت بعدك الأيام لا بل تبدلت *** وكن كأعياد فعدن مباكيا

فلم أر إلا قبل يومك ضاحكا *** ولم أر إلا بعد يومك باكيا

عابه العباس بن الأحنف في مجلس فهاجاه

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال: حدّثنا محمد بن عجلان، قال: حدّثنا يعقوب بن السّكّيت، قال:

أخبرني محمد بن المهثأ، قال:

كان العباس بن الأحنف مع إخوان له على شراب، فذكروا مسلم بن الوليد، فقال بعضهم: صريع الغواني، فقال العباس: ذلك ينبغي أن يسمّى صريع الغيلان لا صريع الغواني، وبلغ ذلك مسلما فقال يهجوه:

بنو حنيفة لا يرضى الدّعيّ بهم *** فاترك حنيفة واطلب غيرها نسبا

فاذهب فأنت طليق الحلم(1) مرتهن *** بسورة الجهل ما لم أملك الغضبا

اذهب إلى عرب ترضى بنسبتهم *** إني أرى لك خلقا يشبه العربا

منيت منّي وقد جدّ الجراء(2) بنا *** بغاية منعتك الفوت والطلبا

ينصرف عن هجاء خزيمة بن خازم و يتمسك بهجاء سعيد بن سلم

أخبرني محمد بن يزيد، قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، عن جدّه، قال: قلت لمسلم بن الوليد:

ويحك! أما استحييت من الناس حين تهجو خزيمة بن خازم، ولا استحييت منا ونحن إخوانك، وقد علمت أنّا تتولّاه وهو من تعرف فضلا و جودا؟ فضحك، وقال لي: يا أبا إسحاق، لغيرك الجهل، أما تعلم أنّ الهجاء أخذ بضبع الشّاعر وأجدى عليه من المديح المضرع؟ وما ظلمت مع ذلك منهم أحدا، /ما مضى فلا سبيل إلى ردّه، ولكن قد وهبت لك عرض خزيمة بعد هذا. قال: ثم أنشدني قوله في سعيد بن سلم:

ديونك لا يقضى الزّمان غريمها *** وبخلك بخل الباهليّ سعيد

سعيد بن سلم أبخل الناس كلّهم *** وما قومه من بخله ببعيد

فقلت له: وسعيد بن سلم صديقي أيضا، فهبه لي، فقال: إن أقبلت على ما يعينك، وإلا رجعت فيما وهبت لك من خزيمة، فأمسكت عنه راضيا بالكفاف.

مدح محمد بن يزيد بن يزيد ثم انصرف عنه

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ ، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني عبد الله بن محمد بن موسى بن عمر بن حمزة بن بزيع،

قال: حدّثني عبد الله بن الحسن اللّهبيّ، قال:

كان مسلم بن الوليد مدّاحاً ليزيد بن يزيد، وكان يؤثّره ويقدمه ويجزل صلته، فلما مات وفد على ابنه محمد، فمدحه وعزّاه عن أبيه، وأقام ببابه أيّاماً فلم ير منه ما يحبّ، فانصرف عنه وقال فيه:

لبست عزاء عن لقاء محمد *** وأعرضت عنه منصفاً وودوداً

ص: 41

1- في الديوان - 259: «فاعد فأنت طليق العفو مرتهن».

2- في الديوان - 259: «وقد هاج الرهان». و الجراء: الفتوة.

وقلت لنفس قادهما الشوق نحوه *** فعوضها منه اللقاء صدودا(1)

هيبه امرأ قد كان أصفاك ودّه *** و مات وإلا فاحسببه يزيدا

لعمري لقد ولّى فلم ألق بعده *** وفاء لذي عهد يعدّ حميدا

مدح الفضل بن يحيى فأجزل له العطاء و وهبه جارية أعجبتة بعد أن قال فيها شعرا

أخبرني حبيب بن نصر، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود، قال:

/دخل مسلم بن الوليد يوما على الفضل بن يحيى، وقد كان أتاه خبر مسيره، فجلس للشّعراء فمدحوه وأثابهم، ونظر في حوائج النَّاس فقضاها، وتفرّق النَّاس عنه، وجلس للشّرب، ومسلم غير حاضر لذلك، وإّما بلغه حين انقضى المجلس، فجاءه فأدخل إليه فاستأذن في الإنشاد، فأذن له، فأنشده قوله فيه:

أتتك المطايا تهتدي بمطيّة *** عليها فتى كالتّصل مؤنسه التّصل

يقول فيها:

وردت(2) رواق الفضل آمل فضله *** فحطّ الثّناء الجزل نائله الجزل

فتى ترتعي الآمال مزنة جوده(3) *** إذا كان مرعاها الأمانيّ والمطل

تساقط يمانه التّدى وشماله *** الرّدى و عيون القول منطقه الفصل

ألح على الأيام يفري خطوبها *** على منهج ألفى أباه به قبل

أناف به العلياء يحيى و خالد *** فليس له مثل ولا لهما مثل

فروع أصابت مغرسا متمكّنا *** وأصلا فطابت حيث وجّهها الأصل(4)

بكفّ أبي العباس يستمطر الغنى *** وتستنزل التّعمى ويسترعف التّصل

قال: فطرب الفضل طربا شديدا، وأمر بأن تعدّ الأبيات، فعدّت فكانت ثمانين بيتا فأمر له بثمانين ألف درهم، وقال: لو لا أنّها أكثر ما وصل به الشّعراء لزدتك، ولكنّه شأؤ لا يمكنني أن أتجاوزه - يعني أنّ الرشيد رسمه لمروان بن أبي حفصه - وأمره بالجلوس معه والمقام عنده لمنادمته، فأقام عنده، وشرب معه، وكان على رأس الفضل وصيفة تسقيه كأنها لؤلؤة، فلمح الفضل مسلما ينظر إليها، فقال: قد - و حياتي يا أبا الوليد - أعجبتك، فقل فيها أبياتا حتى أهبها لك، فقال:

إن كنت تسقين غير الرّاح فاسقيني *** كأسا ألذّ بها من فيك تشفيني

عينك راحي، وريحاني حديثك لي، *** ولون خديك لون الورد يكفيني

-
- 1- في الديوان - 310: «فروضها حب اللقاء صدودا».
 - 2- في الديوان - 263: «وردن رواق الفضل فضل ابن جعفر».
 - 3- في ما: «فضله». وفي المختار: «الأمانى و البطل».
 - 4- في ما: «فطالت». وفي الديوان - 264: فروع تلقتها المغارس فاعتلى بها عاطفا أعناقها قصده الأصل

لولا علامات شيب لو أتت وعظت *** لقد صحوت و لكن سوف تأتيني

أرضي الشباب فإن أهلك فعن قدر *** وإن بقيت فإن الشيب يشقيني (1)

فقال له: خذها بورك لك فيها. وأمر بتوجيهها مع بعض خدمها إليه.

ماتت زوجته فجزع عليها و تنسك

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي ، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني أحمد بن إبراهيم، قال:

كانت لمسلم بن الوليد زوجة من أهله، كانت تكفيه أمره و تسره فيما تليه له (2) منه، فماتت فجزع عليها جزعا شديدا، و تنسك مدّة طويلة، و عزم على ملازمة ذلك، فأقسم عليه بعض إخوانه ذات يوم أن يزوره ففعل، فأكلوا و قدّموا الشّراب، فامتنع منه مسلم و أباه، و أنشأ يقول:

بكاء و كأس، كيف يتفقان؟ (3) *** سبيلاهما في القلب مختلفان

دعاني و إفراط البكاء فإنني *** أرى اليوم فيه غير ما تريان

غدت و الثرى أولى بها من وليّها *** إلى منزل ناء لعينك دان

/فلا حزن حتى تذرف العين ماءها *** و تعترف الأحشاء للخفقان

و كيف بدفع اليأس للوجد بعدها *** و سهماهما (4) في القلب يعتلجان!

هاجاه ابن قنبر فأمسك عنه بعد أن بسط لسانه فيه

أخبرني حبيب بن نصر، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني عليّ بن الصّبّاح، قال: حدّثني مالك بن إبراهيم، قال:

كان مسلم بن الوليد يهاجي الحكم بن قنبر المازنيّ ، فغلب عليه ابن قنبر مدة و أخرسه، ثم أثاب مسلم بعد أن انخزل و أفحم، فهتك ابن قنبر حتى كفّ عن مناقضته، فكان يهرب منه، فإذا لقيه مسلم قبض عليه و هجاه و أنشده ما قاله فيه فيمسك عن إجابته؛ ثم جاء ابن قنبر إلى منزله و اعتذر إليه ممّا سلف، و تحمّل عليه بأهله و سأله الإمساك، فوعده بذلك، فقال فيه:

حلم ابن قنبر حين أقصر جهله *** هل كان يحلم شاعر عن شاعر؟

ما أنت بالحكم الذي سمّيته *** غالتك حلمك هفوة من قاهر

لولا اعتذارك لارتى بك زاخر *** مرح العباب يفوت طرف الناظر

لا ترتعن لحمي لسانك بعدها *** إني أخاف عليك شفرة جازر

و استغنم العفو الذي أوتيته *** لا تأمننّ عقوبة من قادر

- 1- في الديوان - 344: «... فإن الشيب يسليني».
- 2- المختار: «و تستره عن الناس بمالها».
- 3- المختار: «يجتمعان».
- 4- في ف، ما: «وهما».

مسلم و ابن قنبر يتهاجيان في مسجد الرصافة

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني محمد بن عبد الله أبو بكر العبديّ، قال:

رأيت مسلم بن الوليد و ابن قنبر في مسجد الرّصافة في يوم جمعة، و كل واحد منهما بإزاء صاحبه، و كانا يتهاجيان، فبدأ مسلم فقال:

أنا النَّار في أحجارها مستكّنة*** فإن كنت ممن يقدح النَّار فادح

/فأجابه ابن قنبر فقال:

قد كنت تهوي و ما قوسي بموترة*** فكيف ظنّك بي و القوس في الوتر

قال: فوثب إليه مسلم و تواخزا(1) و توثبا، و حجز الناس بينهما فتفرّقا.

لامه رجل من الأنصار على انخزاله أمام ابن قنبر فعاد إلى هجائه

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني عليّ بن عبيد الكوفيّ، قال: حدّثني عليّ بن عمرو الأنصاريّ، قال:

جاء رجل من الأنصار ثم من الخزرج إلى مسلم بن الوليد فقال له: ويلك ما لنا و لك، قد فضحتنا و أخزيتنا، تعرّضت لابن قنبر فهاجيته، حتى إذا أمكنته من أعراضنا انخزلت عنه و أرعيتة لحومنا، فلا أنت سكتّ و وسعك ما وسع غيرك، و لا أنت لمّا انتصرت انتصفت. فقال له مسلم: فما أصنع؟ فأنا أصبر عليه، فإن كفّ و إلا تحمّلت عليه ياخوانه، فإن كفّ و إلا و كلته إلى بغيه، و لنا شيخ يصوم الدهر و يقوم الليل، فإن أقام على ما هو عليه سألته أن يسهر له ليلة يدعو الله عليه فيها فإنها تهلكه، فقال له الأنصاريّ: سخنت عينك! أ و بهذا تنتصف ممن هجاك؟ ثم قال له:

قد لاذ من خوف ابن قنبر مسلم *** بدعاء والده مع الأسحار

و رأيت شرّ وعيده أن يشتكّي *** ما قد عراه إلى أخ أو جار

ثكلتك أمك قد هتكت حريمتنا *** و فضحت أسرتنا بني النجار

عمّمت خزرجنا و معشر أوسنا *** خزيا جنيت به على الأنصار

فعليك من مولّي و ناصر أسرة *** و عشيرة غضب الإله الباري

قال: فكاد مسلم أن يموت غمّا و بكاء و قال له: أنت شرّ عليّ من ابن قنبر. ثم أثاب و حمي، فهتك ابن قنبر و مزّقه حتى تركه، و تحمّل عليه بابنه و أهله حتى أعفاه من المهاجاة.

رجع الحديث عما وقع بينه و بين ابن قنبر

ونسخت هذا الخبر من كتاب جدّي يحيى بن محمد بن ثوابة بخطه، قال:

حدّثني الحسن بن سعيد، قال: حدّثني منصور بن جمهور قال:

ص: 44

1- تواخزا: طعن كل منهم صاحبه طعنة غير نافذة.

لما هجا ابن قنبر مسلم بن الوليد أمسك عنه مسلم بعد أن أشلى (1) عليه لسانه قال: فجاءه عمّ له فقال له:

يا هذا الرجل، إنك عند الناس فوق ابن قنبر في عمود الشعر، وقد بعث (2) عليك لسانه ثم أمسكت عنه، فإما أن قارعته أو سالمته. فقال له مسلم: إن لنا شيخا وله مسجد يتهجّد فيه، وله بين ذلك دعوات يدعو بهنّ، ونحن نسأله أن يجعله من بعض دعواته، فإننا نكفاه، فأطرق الرجل ساعة ثم قال:

غلب ابن قنبر و اللّيم مغلب *** لما اتّقيت هجاء بدعاء

ما زال يقذف بالهجاء ولذعه *** حتى اتّقوه بدعوة الآباء!

قال: فقال له مسلم: والله ما كان ابن قنبر يبلغ مني هذا كلّ، فأمسك لسانك عني، وتعرّف خبره بعد هذا.

قال: فبعث - والله - عليه من لسان مسلم ما أسكته. هكذا جاء في الأخبار.

وقد حدّثني بخبر مناقضته ابن قنبر جماعة ذكروا قصائدهما جميعا، فوجدت في الشعر الفضل لابن قنبر عليه، لأن له عدة قصائد لا نقائص لها، يذكر فيها تعريده (3) عن الجواب، وقصائد يذكر فيها أنّ مسلما فخر على قريش وعلى النبي صلّى الله عليه وسلّم ورماه بأشياء تبیح دمه، فكفّ مسلم عن مناقضته خوفا منها، ووجد أشياء كان قالها فيه.

فمن أخبرني بذلك هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال:

حدّثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن الوليد مولى الأنصار، وكان عالما بشعر مسلم بن الوليد وأخباره، قال:

سبب المهاجاة بينه وبين ابن قنبر

كان سبب المهاجاة بين مسلم بن الوليد والحكم بن قنبر أنّ الطّرمّاح بن حكيم قد كان هجا بني تميم بقصيدته التي يقول فيها:

لا عزّ نصر امرئ أضحى له فرس *** على تميم يريد النصر من أحد

إذا دعا بشعار الأزد نقرهم *** كما ينقر صوت الليث بالتقد

لو حان ورد تميم ثم قيل لهم: *** حوض الرسول عليه الأزد، لم ترد

أو أنزل الله وحيا أن يعذبها *** إن لم تعد لقتال الأزد، لم تعد

وهي قصيدة طويلة، وكان الفرزدق أجاب الطّرمّاح عنها، ثم إن ابن قنبر المازنيّ قال بعد خبر طويل يرد على الطّرمّاح:

يا عاويا هاج ليثا بالعواء له *** شئن البرائن ورد اللون ذا لبد (4)

أي الموارد هابت جمّ غمرته *** بنو تميم على حال فلم ترد

-
- 1- أشلى لسانه: أطلقه.
 - 2- في مي: «بعث».
 - 3- تعريده: هربه.
 - 4- في مي: «ذا اللبد».
 - 5- قنڊايبيل: مدينة بالسند. وفي ف: «قتل أبك» بدل: «قنڊايبيل» و ضربت الفرس: جمعت قوائمها و وثبت.

بفتية لم تنازعها فتطبعها(1) *** بلومها طيئ ثديا و لم تلد

خاضت إلى الأزدي بحرا ذا غوارب من *** سمر طوال و بحرا من قنا قصد(2)

فأوردتها مناياها بمرهفة *** ملس المضارب لم تفلل و لم تكد

و هي قصيدة طويلة. و قد كان الطرمّاح قال أيضا:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا *** و لو سلكت طرق المكارم ضلّت

أرى الليل يجلوه النهار و لا أرى *** عظام المخازي عن تميم تجلّت

/و قد كان الفرزدق أيضا أجابه عنها، و قال ابن قنبر(3) ينقضها:

لعمرك ما ضلّت تميم و لا جرت *** على إثر أشياخ عن المجد ضلّت

و لا جنت بل أقدمت يوم كسرت *** لها الأزدي أعماد السيوف و سلّت

بغائظ قنديل و الموت خائض *** عليها بأجال لها قد أظلت(4)

فما برحت تسقى كنوس حمامها *** إذا نهلت كروا عليها فعلّت

إلى أن أبادتهم تميم و أكذبت *** أمانيّ للشيطان عنها اضمحلّت

و حان فراق منهم كلّ خدلة *** مفارقة بعلا به قد تملّت

و هي أيضا طويلة قال: فبلغ مسلم بن الوليد هجاء ابن قنبر للأزدي و طيئ و ردّه على الطرمّاح بعد موته.

فغضب من ذلك. و قال: ما المعنى في مناقضة رجل ميّت و إثارة الشرّ بذكر القبائل، لا سيّما و قد أجابه الفرزدق عن قوله؟ فأبى ابن قنبر إلا

تماديا في مناقضته، فقال مسلم قصيدته التي أولها:

آيات أطلال برامة درّس *** هجن الصّباة إذ ذكرت(5) معرّسي

أوحت إلى درر الدّموع فأسبلت *** و استفهمتها غير أن لم تنبس

يقول فيها يصف الخمر:

صفراء من حلب الكروم كسوتها *** بيضاء من حلب الغيوم البجّس(6)

طارت(7) و لاوذا الحباب فحاكها *** فكان حليتها جنيّ التّرجس

او يقول فيها يصف السيوف:

وتفارق الأغمد تبدو تارة *** حمرا وتخفى تارة في الأروس

حرب يكون وقودها أبناءها *** لقحت على عقر و لَمَّا تنفس

ص: 46

1- في ما، مهذب الأغاني: «قتطعنها».

2- القصد: القطع جمع قصدة.

3- في ما: «وقال الفرزدق يجيبه».

4- في ف: «... و الموت جائل... عليها بأجال لهم قد أظلت».

5- في ما: «و الهوى بمعرسي». وفي الديوان - 130: «واستثن معرسي».

6- في الديوان - 131: «من صوب الغيوم البجس».

7- في الديوان - 132: «مزجت». وفي مي: «طارت ولاذ بها الحباب فحاطها».

من هارب ركب النجاء و مقعص *** جثمت منيته على المتنفس

غصته أطراف الأسنه نفسه *** فتوى فريسة ولغ أو نهس

إن كنت نازلة اليفاع فنكبي *** دار الرباب و خزر جي أو أوسي

و تجنبي الجعراء (1) إن سيوفهم *** حدث و إن قناتهم لم تضرس

هل طيئ الأبال شاكرة امرئ *** ذاد القوافي عن حماها مردس (2)

أحمي - أبا نفر - عظام حفيرة *** درست و باقي غرسها لم يدرس

كافأت نعمتها بضعف بلائها *** ثم انفردت بمنصب لم يدنس (3)

و إذا افتخرت عددت سعي مآثر *** قصرت على الإغضاء طرف الأشوس

رفعت بنو التجار حلقي فيهم (4) *** ثم انفردت فأفسحوا عن مجلسي

فاعقل لسانك عن شتائم قومنا (5) *** لا يعلقنك خادر من مأنس

أخلفت فخرك (6) من أبيك و جتنتي *** بأب جديد بعد طول تلمس

أخذت عليه المحكمات طريقها *** فغدا يهاجي أعظما في مرمس (7)

قال: فلم يجبه ابن قنبر عن هذه بشيء، ثم التقيا فتعابا، و اعتذر كل واحد منهما إلى صاحبه، فقال مسلم يهجوه:

حلم ابن قنبر حين قصّر شعره *** هل كان يحلم شاعر عن شاعر

يهجو قريشا و يفخر بالأنصار

وقد مضت هذه الأبيات متقدّما. قال: و مكث ابن قنبر حين لا يجيبه عن هذا و لا عن غيره بشيء طلبا للكفاف، ثم هجا مسلم قريشا و فخر بالأنصار فقال:

قل لمن تاه إذ بنا عزّ جهلا *** ليس بالتّيه يفخر الأحرار

فتناهوا و أقصروا فلقد جا *** رت عن القصد فيكم الأنصار (8)

أيكم حاط ذا جوار بعزّ *** قبل أن تحتويه منّا الدار

أورجا أن يفوت قوما بوتر *** لم تزل تمتطيهم الأوتار

لم يكن ذلك فيكم فدعوا الفخر *** بما لا يسوغ فيه افتخار

ونزارا ففاخروا تفضلوهم *** ودعوا من له عبيدا نزار

ص: 47

1- في مي، مج: «الحمراء». وفي الديوان - 136: «الخفراء».

2- في الديوان - 137: «الأعفس» بدل «مردس». و المردس: الآلة التي تسوى و تكسر.

3- في ما: «لم ينجس».

4- في الديوان - 136: «بيتي فيهم... ثم انتميت».

5- في الديوان - 139: «عرضنا».

6- في الديوان - 139: «أخلقت فحرك». وفي ف، ما: «نجر».

7- في ما: «مدرس». وفي الديوان - 140: «فغدا يناقض أعظما في أرمس».

8- في الديوان - 315: «الأبصار» بدل «الأنصار».

فبنا عزّ منكم الدّلّ و الدّ *** هر عليكم بريية كترار
حاذروا دولة الزّمان عليكم *** إته بين أهله أطوار
فتردّوا و نحن للحالة الأو *** لي و للأوحد(1) الأذلّ الصّغار
فاخرتنا لّمّا بسطنا لها الف *** خر قريش و فخرها مستعار
ذكرت عزّها و ما كان فيها *** قبل أن يستجيرنا مستجار
إنّما كان عزّها في جبال *** ترتقيها كما ترقّى الوبار(2)
/أيّها الفاخرون بالعزّ، و ال *** عزّ لقوم سواهم و الفخار
أخبرونا من الأعزّ أ المن *** صور حتى اعتلى أم الأنصار؟
فلنا العزّ قبل عزّ قريش *** و قريش تلك الدهور تجار

ابن قنبر يجيبه

قال: فانبرى له ابن قنبر يجيبه فقال:

ألا أمثل أمير المؤمنين بمسلم *** و أفلق به الأحشاء من كل مجرم
و لا ترجعن عن قتله باستتابة *** فما هو عن شتم النّبي بمحرم(3)
و لا عن مساواة له و لقومه *** قريش بأصداء لعاد و جرهم
و يفخر بالأنصار جهلا على الذي *** بنصرته فازوا بحظّ و مغنم
و سمّوا به الأنصار لا عزّ قائل *** أراد قريشا بالمقال المذمّم
و منهم رسول الله أ زكى من اتّمى *** إلى نسب زاك و مجد مقدّم
و ما كانت الأنصار قبل اعتصامها *** بنصر قريش في المحلّ المعظّم
و لا بالألى يعلون أقدار قومهم *** صداء و خولان و لخم و سلهم
و لكنّهم بالله عاذوا و نصرهم *** قريشا و من يستعصم الله يعصم
فعرّوا و قد كانوا و فطيون(4) فيهم *** من الدّلّ في باب من العز مبيهم

يسومهم الفطيون ما لا يسامه *** كريم و من لا ينكر الظلم يظلم
وإن قريشا بالمآثر فضلت *** على الخلق طراً من فصيح و أعجم
فما بال هذا العلج ضلّ ضلاله *** يمدّ إليهم كفّ أجذم أعسم (5)
يسامي قريشا مسلم و هم هم *** بمولى يمانيّ و بيت مهذّم
/إذا قام فيه غيرهم لم يكن له *** مقام به من لؤم مبنى و مدعم

ص: 48

-
- 1- في ف: و «للأدحر».
 - 2- في ف: «إنما كان غيرها». و الوبار: جمع وبر؛ و هو حيوان من ذوات الحافر في حجم الأرنب.
 - 3- في ف: «بمحجم».
 - 4- الفطيون: ملك تملك بيثرب. و قال ابن الكلبي: الفطيون اسمه عامر بن عامر بن ثعلبة (الاشتقاق لابن دريد).
 - 5- الأعسم، من عسم الكف و هو يبس مفصل الرسغ حتى يعوج.

جعاسيس(1) أشباه القروذ لو أنّهم *** يباعون ما ابتيعوا جميعا بدرهم

و ما مسلم من هؤلاء و لا ألى *** و لكنّه من نسل علع ملكم

تولى زمانا غيرهم ثمّت ادعى *** إليهم فلم يكرم و لم يتكرم(2)

فإن يك منهم فالتنّير و لفهم(3) *** مواليه لا من يدعي بالتزعم

و إن تدعه الأنصار مولى أسمهم *** بقافية تستكره الجلد بالدم

عقابا لهم في إفكهم و ادعائهم *** لألف منقوش الذراع موثّم

فلا تدعوه و انتفوا(4) منه تسلموا *** بنفيكموه من مقام و مأثم

و إلا فغصّوا الطرف و انتظروا الردى *** إذا اختلفت فيكم صوارد أسهمي

و لم تجدوا منها مجنّا يجتكم *** إذا ذلعت من كلّ فجّ و معلم

و أنتم بنو أذنا ب من أنتم له *** و لستم بأبناء السنام المقدم

و لا ببني الرأس الرفيع محلّه *** فيسمو بكم مولى مسام و ينتمي

فكيف رضيتم أن يسامى نبيكم *** بينتكم الرثّ القصير المهتمّ

سأحطم من سامى النبيّ تطاولا *** عليه و أكوي منتماه بميسم

أ يعدل بيت يثريّ بكعبة(5) *** ثوتها قريش في المكان المحرّم

/قريش خيار الله و الله خصّهم *** بذلك فاقعس أيها العليج و ارغم

و من يدعي منه الولاء مؤخر *** إذا قيل للجاري إلى المجد أقدم

قال: و كان مسلم قال هذه القصيدة في قريش و كتّمها، فوقعّت إلى ابن قنبر، و أجابه عنها، و استعلى عليه و هتكه، و أغرى به السلطان، فلم يكن عند مسلم في هذا جواب أكثر من الانتفاء منها، و نسبتها إلى ابن قنبر، و الادعاء عليه أنّه ألصقها به و نسبها إليه، ليعرضه للسلطان، و خافه فقال ينتفي من هذه القصيدة و يهجو تميما:

قصيدته في هجاء تميم

دعوت أمير المؤمنين و لم تكن *** هناك، و لكن من يخف يتجسّم

وإِنَّكَ إِذْ تَدْعُو الْخَلِيفَةَ نَاصِرًا *** لَكَالْمُتَرَقِّي فِي السَّمَاءِ بِسَلْمٍ

كَذَاكَ الصَّدَى تَدْعُو مِنْ حَيْثُ لَا تَرَى *** وَإِنْ تَوَهَّمَهُ تَمَتَّ فِي التَّوَهَّمِ

هَجُوتٌ قَرِيشًا عَامِدًا وَنَحَلْتَنِي *** رَوَيْدُكَ يَظْهَرُ مَا تَقُولُ فَيَعْلَمُ

إِذَا كَانَ مِثْلِي فِي قَبِيلِي فَإِنَّهُ *** عَلَى ابْنِي لَوْيٍّ قَصْرَةٌ غَيْرَ مَتَّهَمِ

ص: 49

-
- 1- الجعاسيس: جمع جعسوس، وهو القصير. وفي مي: «جعاميس». والجعسوس: الرجيع. يقال: رمى بجعاميس بطنه.
 - 2- في ما: «ولما يكرم».
 - 3- في مي، مج: «ولفه».
 - 4- في مي، مج: «وابعدوا».
 - 5- في ف، مي، مج: «أتعدل بيتا يثربيا بكعبة».

سيكشفك التّعديل عمّا قرفتني *** به فتأخّر عارفاً أو تقدّم (1)

فإنّ قریشا لا تغیر ودّها (2) *** ولا يستمال عهدها بالتّرعم

مضى سلف منهم وصلّى بعقبهم *** لنا سلف في الأوّل المتقدّم

جروا فجرينا سابقين بسبقهم *** كما اتّبع كفت نواشر معصم

وإنّ الذي يسعى ليقطع بيننا *** كملتمس اليربوع في جحر أرقم

أضلك قدع الآبدات طريقها *** فأصبحت من عميائها في تهيم (3)

/أو خانتك عند الجري - لما اتّبعها - *** تميم فحاولت العلا بالتقحم

فأصبحت ترميني بسهمي وتتقى *** يدي بيدي، أصليت نارك فاضرم

ابن قنبر يهجو

قال: ثم هجاه ابن قنبر بقصيدة أولها:

قل لعبد النّضير مسلم الوغد ال *** ذنّي اللّئيم شيخ (4) النّصاب

أخس يا كلب إذ نبحت فأني *** لست ممن يجيب نبج الكلاب

أفأرضي و منصبي منصب العزّ *** و بيتي في ذروة الأحساب

أن أخطّ الرّفيح من سمك بيتي *** بمهاجاة أوشب الأوشاب

من إذا سيل: من أبوه؟ بدا منه *** حياء يحميه رجع (5) الجواب

وإذا قيل حين يقبل: من *** أنت و من تعزّيه في الأنساب

قلت: هاجي ابن قنبر، فتسر *** بلت بذكري فخرا لدى السّباب

ابن قنبر يتابع هجاه

إشارة

وهي قصيدة طويلة، فلم يجبه مسلم عنها بشيء، فقال فيه ابن قنبر أيضا:

لست أنفيك إن سواي نفاكا *** عن أبيك الذي له منتماكا

ولما ذا أنفيك يا بن وليد *** من أب إن ذكرته أخزأكا
ولو أنني طلبت الأم منه *** لم أجده إن لم تكن أنت ذاك
لو سواه أباك كان جعلنا *** ه إن (6) الناس طأوعونا أبأكا
حاك دهرأ بغير حذق (7) لبرد *** و تحوك الأشعار أنت كذاكا

ص: 50

-
- 1- قرفتني: اتهمتني. و التعديل: تزكية الشهود.
 - 2- في ما، و الديوان - 339: «لا يغادر ودّها».
 - 3- في الديوان - 339: «أضلك قرع الآبدات...»، و القدع: المجاوزة. و تهيمه الهوى تهيمًا: حملة على الهيام.
 - 4- في مي: «سنخ». و السنخ: الأصل.
 - 5- في مي: «ردّ الجواب».
 - 6- في ما: «إذا الناس».
 - 7- وفي ف: «حاك دهرأ بغير جدّ لبرد».

او هي طويلة، فلم يجبه مسلم عنها بشيء، فقال ابن قنبر أيضا بهجوه:

فخر العبد عبد قن (1) اليهود *** بضعيف من فخره مردود

فاخر الغرّ من قريش ياخو *** ن خنازير [من] يثرب و القروذ

يتولّى بني التّضير و يدعو *** بهم الفخر من مكان بعيد

و بني الأوس و الخزرج أهل الذّ *** ل في سالف الرّمان التّليد

إذ رضوا بافتضاض (2) فطيون منهم *** كلّ بكر ريّا الرّوادف رود

و بنو عمّها شهود لما يف *** عل فطيون قبحوا من شهود

خلف باب الفطيون و البغل منهم (3) *** لا بذى غيره و لا بنجيد

فإذا ما قضى اليهوديّ منها *** نحبه (4) قنّوا بخزي جديد

قال: فلما أفحش في هذه القصيدة و في عدّة قصائد قالها، و مسلم لا يجيبه، مشى إليه قوم من مشيخة الأنصار، و استعانوا بمشيخة من قرّاء تميم و ذوي العلم و الفضل منهم، فمشوا معهم إليه فقالوا له: ألا تستحي من أن تهجو من لا يجيبك؟ أنت بدأت الرّجل فأجابك، ثم عدت فكفّ، و تجاوزت ذلك إلى ذكر أعراض الأنصار التي كان رسول الله صلّى الله عليه و سلّم يحميها و يذبّ عنها و يصونها، لغير حال أحلّت لك ذلك منهم، فما زالوا يعظونه و يقولون له كل قول حتى أمسك عن المناقضة لمسلم، فانقطعت.

صوت

ثلاثة تشرق الدّنيا بهجتهم *** شمس الضحى و أبو إسحاق و القمر

يحكي أفاعيله (5) في كلّ نائبة *** الغيث و الليث و الصّمصامة الذّكر

الشّعر لمحمد بن وهيب، و الغناء لعلّويه ثقيل أول بالوسطى، و فيه لإبراهيم بن المهديّ ثقيل أول آخر عن الهشاميّ .

ص: 51

1- في ف: «فخر العبد، علق قن اليهود». و في مي: «فخر العالج، علق قن اليهود».

2- افتض الجارية: أزال بكارتها.

3- البعل: المرأة. و في ما، مي: «و الفعل فيهم».

4- في ما: «وطرا».

5- في مي: «فعائله».

4 - أخبار محمد بن وهيب (1)

شعراء الدولة العباسية

محمد بن وهيب الحميريّ صليبة شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية، وأصله من البصرة (2)، وله أشعار كثيرة يذكرها فيها و يتشوقها، ويصف إيطانه إياها و منشأه بها.

مدح الحسن بن رجاء ثم المأمون فأكرمه

(3) و كان يستمنح الناس بشعره، و يتكسّب بالمديح، ثم توّسل إلى الحسن بن سهل بالحسن بن رجاء بن أبي الصّحاحك و مدحه، فأوصله إليه و سمع شعره فأعجب به و اقتطعه إليه، و أوصله إلى المأمون حتى مدحه و شفّع له فأسنى جائزته، ثم لم يزل منقطعا إليه حتى مات. و كان يتشيع، و له مرث في أهل البيت.

منزلته

هو متوسط من شعراء طبقته، و في شعره أشياء نادرة فاضلة، و أشياء متكلفة (3).

المعتصم يسمع مديحه و يجيزه دون غيره

أخبرنا محمد بن خلف و كيع، قال: زعم أبو محلم، و أخبرني عمّي، عن عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى، عن أبي محلم، قال:

اجتمع الشعراء على باب المعتصم فبعث إليهم محمد بن عبد الملك الزيات أن أمير المؤمنين يقول لكم: من كان منكم يحسن أن يقول مثل/قول النمريّ في الرشيد:

خليفة الله إن الجود أودية *** أحلك الله منها حيث تجتمع

من لم يكن بأمين الله معتصما *** فليس بالصلوات الخمس ينتفع

إن أخلف القطر لم تخلف مخايله (3) *** أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع

/فليدخل و إلا فلينصرف، فقام محمد بن وهيب فقال: فينا من يقول مثله، قال: و أيّ شيء قلت؟ فقال:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتهم *** شمس الصّحى و أبو إسحاق و القمر

- 1- موضع هذه الترجمة هنا كما جاءت في ف و المخطوطات الموثوقة بعد ترجمة مسلم بن الوليد، و جاءت في طبعة بولاق بعد ترجمة عبد الله بن العباس الربيعي.
- 2- في المختار: «من شعراء البصرة». (3-3) التكملة من ف.
- 3- المخايل من السحب: المنذرة بالمطر. و يقال: ظهرت في فلان مخايل النجابة: دلائلها و مظنتها.

تحكي (1) أفاعيله في كل نائبة *** الغيث و الليث و الصمصامة الذكر

فأمر بإدخاله و أحسن جائزته.

رجع الحديث عن صلته بالحسن بن رجاء

إشارة

أخبرني عمي، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن محمد بن مروان بن موسى قال:

حدّثني محمد بن وهيب الشاعر قال:

لما تولّى الحسن بن رجاء بن أبي الصّحاحك الجبل قلت فيه شعرا و أنشدته أصحابنا دعبل بن عليّ و أبأ سعد المخزوميّ ، و أبأ تمام الطائيّ ، فاستحسنوا الشعر و قالوا: هذا لعمرى من الأشعار التي تلقى بها الملوك، فخرجت إلى الجبل فلما صرت إلى همذان أخبره الحاجب بمكاني فأذن لي فأنشدته الشعر فاستحسن منه قولي:

أجارتنا إنّ التّعفّف بالياس *** و صبرا على استدرار دنيا بإساس (2)

حريّان ألاّ يقذفا بمذلة *** كريما و ألاّ يحوجاه إلى الناس

أجارتنا إنّ القداح كواذب *** و أكثر أسباب التّجّاح مع الياس

فأمر حاجبه بإضافتي فأقمت بحضرته كلما دخلت إليه لم أنصرف إلاّ بحملان أو خلعة أو جائزة حتى انصرم الصّيف فقال لي: يا محمد إن الشتاء عندنا عالج (3) فأعدّ يوما للوداع. فقلت: خدمة الأمير أحبّ إليّ ، فلما كاد الشتاء أن يشتدّ قال لي: هذا أو ان (4) الوداع، فأنشدني الثلاثة الأبيات فقد فهمت الشعر كله، فلما أنشدته:

/أجارتنا إنّ القداح كواذب *** و أكثر أسباب التّجّاح مع الياس

قال: صدقت، ثم قال: عدّوا أبيات القصيدة فأعطوه لكل بيت ألف درهم، فعدّت فكانت اثنين و سبعين بيتا، فأمر لي باثنين و سبعين ألف درهم، و كان فيما أنشدته في مقامي و استحسنه قولي:

صوت

دماء المحبّين لا تعقل (5) *** أ ما في الهوى حكم يعدل!

تعبدني حور الغانيات *** و دان الشباب له الأخطل (6)

و نظرة عين تعلّتها *** غرارا كما ينظر الأحول

-
- 1- انظر ص 73.
 - 2- الإبساس: التصويت للناقة بلطف لتسكن و تدرّ.
 - 3- في مي: «صعب». و العليج: الشديد.
 - 4- مي: «يوم الوداع».
 - 5- لا تعقل: لا تدفع ديتها.
 - 6- الأخطل: السريع الخفيف أو الأحمق.

(1) في هذه الأبيات هزج طنبورِي سمعته من جحظة فذكر أنه يراه للمسدود و لم يحقّق صانعه.

قال الأصبهانيّ: و هذه الأبيات له في المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ .

قال محمد بن وهيب: و أهدي إلى الحسن بن رجاء غلام فأعجب به فكتبت إليه:

ليهنك الزائر الجديد *** جرى به الطائر السعيد

جاء مشوق إلى مشوق *** فذا ودود و ذا ودود

يوم نعيم و يوم لهو *** خصصت فيه بما تريد

إلف مشوق أتاه ألف *** فمستفاد و مستفيد(1)

/حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار بهذا الحديث، عن يعقوب بن إسرائيل قرقارة، عن محمد بن محمد بن مروان(1) بن موسى، عن محمد بن وهيب، فذكر مثل الذي قبله و زاد فيه، فلم يزل يستعيدني:

/أجارتنا إن القداح كواذب *** و أكثر أسباب التّجاح مع الياس

و أنا أعيده عليه، فانصرفت من عنده بأكثر مما كنت أوّمل.

دخل على أبي دلف فأعظمه لإعجابه بشعره

إشارة

حدّثني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنباريّ الكاتب، قال: حدّثني أبو هفّان، قال: حدّثني خالي، قال:

كنت عند أبي دلف القاسم بن عيسى، فدخل عليه محمد بن وهيب الشاعر فأعظمه جدّا، فلما انصرف قال له أخوه معقل: يا أخي، قد فعلت بهذا ما لم يستحقّه، ما هو في بيت من الشّرف، و لا في كمال من الأدب، و لا بموضع من السلطان، فقال: بلى يا أخي، إنه لحقيق بذلك، أو لا يستحقّه و هو القائل:

صوت

يدلّ على أنني عاشق *** من الدمع مستشهد ناطق

ولي مالك أنا عبد له *** مقرّ بأني له وامق

إذا ما سموت إلى وصله *** تعرّض لي دونه عائق

و حاربنني فيه ريب الرّمان *** كأنّ الرّمان له عاشق

في هذه الأبيات رمل طنبروريّ أظنّه لجحظة.

هنا المطلب بن عبد الله بعد عودته من الحج فوصله بصلة كبيرة

حدّثني عمّي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك، قال:

/لما قدم المطلب بن عبد الله بن مالك من الحج لقيه محمد بن وهيب مستقبلاً مع من تلقّاه، ودخل إليه مهنتاً بالسلامة بعد استقراره، وعاد إليه في الثالثة(2) فأنشده قصيدة طويلة مدحه بها، يقول فيها:

ص: 54

1- ف: «محمد بن محمد بن هارون».

2- ب: «في الثانية».

و ما زلت أستعري(1) لك الله غائبا *** و أظهر إشفافا عليك و أكتم

و أعلم أنّ الجود ما غبت غائب *** و أنّ التدى في حيث كنت مخيم(2)

إلى أن زجرت الطير سعدا سوانحا *** و حمّ لقاء بالسعود و مقدم

و ظلّ يناجيني بمدحك خاطر(3) *** و ليلى ممدود الرواقين أدهم

و قال: طواه الحجّ فاشع لفقده *** و لا عيش حتى يستهلّ المحرّم

سيفخر ما ضمّ الحطيم و زمزم *** بمطلب لو أنه يتكلّم

و ما خلقت إلا من الجود كفه *** على أنها و البأس خدانان توأم

أعدت إلى أكناف مكة بهجة *** خزاعيّة كانت تجلّ و تعظم

ليالي سمار الحجون إلى الصفا *** خزاعة إذ خلّت لها البيت جرهم

و لو نظقت بطحاؤها و حجونها *** و خيف منّي و المأزمان(4) و زمزم

إذا لدعت(5) أجزاء جسمك كلها *** تنافس في أقسامه لو تحكّم

و لو ردّ مخلوق إلى بدء خلقه *** إذا كنت جسما بينهن تقسّم

اسما بك منها كل خيف فأبطح *** نما بك(6) منه الجوهر المتقدّم

و حنّ إليك الركن حتى كآئه *** و قد جنّته خلّ عليك مسلّم

قال: فوصله صلة سنية و أهدى له هدية حسنة من طرف ما قدم به و حملة، و الله أعلم.

مدح الحسن بن سهل فأطربه و لم يقصد غيره إلى أن مات

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثني الحسن بن الحسن بن رجاء، عن أبيه و أهله، قالوا:

كان محمد بن وهيب الحميريّ لَمّا قدم المأمون من خراسان مضاعا مطّرحا، إنّما يتصدى للعامة و أوساط الكتّاب(7) و القوّاد بالمديح و يسترفدهم فيحظى باليسير، فلما هدأت الأمور و استقرّت و استوسقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوما منفردا بأهله و خاصّته و ذوي موادّته و من يقرب من أنسه، فتوسل إليه محمد بن وهيب بأبي حتى أوصله مع الشعراء، فلما انتهى إليه القول استأذن في الإنشاد فأذن له، فأنشده قصيدته التي أولها:

ودائع أسرار طوتها السرائر *** و باحت بمكثوماتهنّ التّواظر

-
- 1- ب: «أستدعي» و أستدعي لك الله: أطلب منه أن يردك.
 - 2- ب: «في حيث أنت مخيم».
 - 3- ب: «خاطري».
 - 4- المأزمان: موضع بمكة بين المشعر الحرام و مكة.
 - 5- ف: «إذا لادعت... تنافس في أحكامها».
 - 6- ف: «نصائبك منه».
 - 7- مي: «و أوساط الناس من الكتاب».
 - 8- ف: «تمكن في طي الضمير». وفي المختار: «ملكن إلى طي الضمير».

فأعجم عنها ناطق و هو معرب *** و أعربت العجم الجفون العواطر(1)

ألم تغذني السراء في ريق الهوى(2) *** غريرا بما تجني عليّ الدوائر

تسالمني الأيام في عنفوانه *** و يكلؤني طرف من الدهر ناظر

حتى انتهى إلى قوله:

إلى الحسن الباني العلا يّممت بنا(3) *** عوالي المنى حيث الحيا المتظاهر

إلى الأمل المبسوط و الأجل الذي *** بأعدائه تكبوا الجدود العواثر

و من أنبعت عين المكارم كفه *** يقوم مقام القطر و الروض دائر

تعصّب تاج الملك في عنفوانه *** و أطت به عصر الشباب المنابر(4)

تعظّمه(5) الأوهام قبل عيانه *** و يصدر عنه الطّرف و الطّرف حاسر

به تجتدى النّعمى و تستدرك المنى *** و تستكمل الحسنى و ترعى الأواصر

أصابت بنا داعي نوالك مؤذنا *** بجودك إلا أنه لا يحاور(6)

قسمت صروف الدهر بأسا و نائلا *** فمالك موتور و سيفك و اتر

و لّمّا رأى الله الخلافة قد وهت *** دعائمها و الله بالأمر خابر

بنى بك أركانك عليك محيطة *** فأنت لها دون الحوادث ساتر(7)

و أرعن فيه للسوابع جنة *** و سقف سماء أنشأته الحوافر(8)

يعني أنّ على الدرّوع من الغبار ما قد غشيها فصار كالجنة لها.

لها فلك فيه الأسنّة أنجم *** و تقع المنايا مستطير و نائر

أجزت قضاء الموت في مهج العدا *** ضحى فاستباحتها المنايا الغوادر

لك اللّحظات الكالئات قواصدا *** بنعمى و بالبأساء و هي شوازر(9)

و لم تكن إلا بنفسك فاخرا *** لما انتسبت إلا إليك المفاخر

قال: فطرب أبو محمد حتى نزل عن سريره إلى الأرض و قال: أحسنت و الله و أجملت، و لو لم تقل قط

- 1- في ب: «و أعجبت العجم»، وفي مي، مد: «الجنون الفواتر». وفي ف: «الجنون النواظر».
- 2- ب: «ألم تقذني السراء في رفق الهوى».
- 3- ف: «... المعالي صمت بنا».
- 4- وأطت المنابر: صوتت. وفي ف: «وأطت به غض الشباب المآثر».
- 5- ب: «تعطفه».
- 6- ب: «أهاب بنا... بدونك إلا أنه لا يحاور».
- 7- في المختار: جاء عجز البيت التالي مكان هذا العجز.
- 8- جيش أرعن: له فضول يشبه رعن الجبل. ويقال: لقوهم بأرعن أي بجيش مضطرب لكثرتة. و السوابغ جمع سابغة، وهي الدرع الواسعة. الجنة: السترة. الحوافر جمع حافر، وهو من الدابة بمنزلة القدم للإنسان.
- 9- في ب: «و بالبأساء فيه شواذر». و الشوازر من شزره و شزر إليه: نظر إليه بمؤخر عينه. و أكثر ما يكون في حال الإعراض أو الغضب.

و لا تقول في باقي دهرك غير هذا لما احتجت إلى القول، و أمر له بخمسة آلاف دينار فأحضرت و اقتطعه إلى نفسه، فلم يزل في جنبته(1)

أيام ولايته و بعد ذلك إلى أن مات ما تصدى لغيره.

تردد على علي بن هشام فحجبه فهجاه هجاء موجعا

حدّثني أحمد بن جعفر جحظة، قال: حدّثني ميمون بن هارون، قال:

كان/محمد بن وهيب الحميريّ الشاعر قد مدح عليّ بن هشام و تردّد إليه و إلى بابه دفعات، فحجبه و لقيه يوما، فعرض له في طريقه و سلّم عليه، فلم يرفع إليه طرفه، و كان فيه تيه شديد، فكتب إليه رقعة يعاتبه فيها، فلما وصلت إليه خرّقها و قال: أيّ شيء يريد هذا الثقيل السّبيّ الأدب؟ فقيل له ذلك فانصرف مغضبا و قال: و الله ما أردت ماله و إنما أردت التوسّل بجاهه سيغني الله جل و عز عنه، أما و الله ليذمّن مغبّة فعله. و قال يهجوه:

أزرت بجود عليّ خيفة العدم(2) *** فصدّ منهزما عن شأو ذي الهمم

لو كان من فارس في بيت مكرمة *** أو كان من ولد الأملّك في العجم

أو كان أوله أهل البطاح أو الرّ *** كب الملبّتون إهلالا إلى الحرم

أيام تتخذ الأصنام آلهة *** فلا ترى عاكفا إلا على صنم

لشجّعته على فعل الملوك لهم *** طبائع لم ترعها خيفة العدم

لم تند كفاك(3) من بذل التّوال كما *** لم يند سيفك مذ قلّده بدم

كنت امرأ رفعته فتنة فعلا *** أيامها غادرا بالعهد و الدّم

حتى إذا انكشفت عنّا عمايتها(4) *** ورتّب النّاس بالأحساب و القدم

مات التّخلّق و ارتدّتك مرتجعا *** طبيعة ندلة الأخلاق و الشّيم

كذاك من كان لا رأسا و لا ذنبا *** كزّ(5) اليبدين حديث العهد بالتّعم

هيئات ليس بحمّال الدّيّات و لا *** معطي الجزيل و لا المرهوب ذي التّقم

قال: فحدّثني بعض بني هاشم أنّ هذه الأبيات لمّا بلغت عليّ بن هشام ندم على ما كان منه، و جزع لها و قال: لعن الله اللّجاج فإنه شرّ خلق تخلّقه الناس، ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام فقال: الله يعلم أنّي لا أدخل على الخليفة و عليّ السيف إلا و أنا مستح منه، أذكر قول ابن وهيب فيّ:

لم تند كفاك من بذل التّوال كما *** لم يند سيفك مذ قلّده بدم

حدثني محمد بن يحيى الصّوليّ ، قال: حدثني ميمون(6) بن هارون، قال: من سمع ابن الأعرابيّ ، يقول:

ص: 57

-
- 1- جنبته: ناجيته.
 - 2- ف: «ازردت عليه بـجود خيفة العدم».
 - 3- في المختار: «لم تند كفك».
 - 4- في المختار، مي، ب: «غيابتها».
 - 5- في معاهد التنصيص 1:224: «كد الـدين».
 - 6- ف: «محمد بن هارون».

أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهيب:

لم تند كفاك من بذل النوال كما *** لم يند سيفك مذ قلده بدم

تعرض لأعرابية فأجابته جوابا مسكتا

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني محمد بن مرزوق البصري، قال:

حدثني محمد بن وهيب قال: جلست بالبصرة إلى عطار فإذا أعرابية سوداء قد جاءت فاشترت من العطار خلوقا فقلت له: تجدها اشترته لابنتها و ما ابنتها و ما ابنتها إلا خنفساء، فالتفت إلي متضاحكة، ثم قالت: لا والله، لكن مهارة جيداء(1)، إن قامت فقناة، وإن قعدت فحصاة، وإن مشت فقطاه، أسفلها كثيب، وأعلىها قضيب، لا كفتياتكم اللواتي تسمنونهن بالفتوت(2)، ثم انصرفت وهي تقول:

إن الفتوت للفتاة مضرطه *** يكرها في البطن حتى تتلظه(3)

//فلا أعلمني ذكرتها إلا أضحكني ذكرها.

تردد على مجلس يزيد بن هارون ثم تركه

حدثني عيسى بن الحسين الوزّاق، قال: حدثنا أبو هقّان، قال:

كان محمد بن وهيب يتردد إلى مجلس يزيد بن هارون، فلزمه عدّة مجالس يملئ فيها كلها فضائل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، لا يذكر شيئا من فضائل عليّ عليه السلام، فقال فيه ابن وهيب:

أتي يزيد بن هارون أدالجه(4) *** في كل يوم و مالي و ابن هارون

فليت لي بيزيد حين أشهده *** راحا و قصفا و ندمانا يسليني

أغدو إلى عصابة صمّت مسامعهم *** عن الهدى بين زنديق و مأفون

لا يذكرون عليّا في مشاهدهم *** و لا بنيه بني البيض الميامين

//الله(5) يعلم أني لا أحبهم *** كما هم ييقين لا يحبوني

و يستطيعون عن ذكرى(6) أبا حسن *** و فضله قطعوني بالسكاكين

و لست أترك تفضيلي له أبدا *** حتى الممات على رغم الملاعين(7)

ص: 58

2- فت الشيء: دقه و كسره فهو مفتوت و فتيت و فتوت.

3- ب: «يكرهها بالليل» - ويكرهها: يشق عليها.

4- أصل المدالجة: السير في آخر الليل، و منه قول البحري: و من سحر به دالجت فيها تغنم قينة و هبوب ساق و المقصود هنا أسهر معه وقتا طويلا من الليل.

5- مي، مد، ف: «إني لأعلم».

6- مي، ف: «في ذكرى».

7- ف: «على رغم المعادين».

مذهبه من شعره

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني إسحاق بن محمد الكوفي، قال: حدثني محمد بن القاسم بن يوسف. وأخبرني به الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن القاسم، قال: حدثني إسحاق، عن محمد بن القاسم بن يوسف قال:

كان محمد بن وهيب يأتي أبي فقال له أبي يوماً: إنك تأتينا وقد عرفت مذاهبتنا فنحِبُّ أن تعرّفنا مذهبك فنوافقك أو نخالفك، فقال له: في غد أيّن لك أمري ومذهبي. فلما كان من غد كتب إليه:

أيّها السائل قد بيّ *** نت إن كنت ذكيّا

أحمد الله كثيرا *** بأيّديه عليّا

شاهدا(1) أن لا إله *** غيره ما دمت حيّا

و على أحمد بالصدّ *** ق رسولا و نبيا

و منحت الودّ قربا *** ه و واليت الوصيّا

و أتاني خبر مطّرح *** لم يك شيّا

أن على غير اجتماع *** عقدوا الأمر بديا

فوقفت القوم تيما *** و عديّا و أميّا

غير شتّام و لكّتي *** تولّيت عليّا

اعتزازه بشعره

حدثني جحظة، قال: حدثني علي بن يحيى المنجم، قال:

بلغ محمد بن وهيب أنّ دعبل بن علي قال: أنا ابن قولي(2):

لا تعجبي يا سلم من رجل *** ضحك المشيب برأسه فبكي

و أنّ أبا تمام قال: أنا ابن قولي(2):

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى *** ما الحبّ إلا للحبيب الأوّل

فقال محمد بن وهيب: وأنا ابن قولي(2):

ما لمن تَمَّت محاسنه *** أن يعادي طرف من رمقا

/لك أن تبدي لنا حسنا *** ولنا أن نعمل الحدقا

قال أبو الفرج الأصبهاني (3): وهذا من جيّد شعره و نادره، و أول هذه الأبيات قوله:

نم فقد وكتّ بي الأرقا *** لاهيا تغري بمن عشقا (4)

ص: 59

1- ف: «شاهد» بدل «شاهدا».

2- في ب: «قال أين قولي».

3- ف: «قال مؤلف هذا الكتاب».

4- ف: «لا هيا بعدا لمن عشقا».

إنّما أبقيت من جسدي *** شبعا غير الذي خلقا

كنت كالتقصان في قمر *** ماحقا(1) منه الذي أتسقا

وفتى ناداك من كذب *** أسعرت أحشاؤه حرقا(2)

غرقت في الدمع مقلته *** فدعا إنسانها الغرقا

إنّما عاقبت ناظره *** أن أعاد اللّحظ(3) مسترقا

ما لمن تمّت محاسنه *** أن يعادي طرف من رمقا

لك أن تبدي لنا حسنا *** ولنا أن نعمل الحدقا

قدحت كفاك زند هوى *** في سواد القلب فاحترقا

وصف غلمان أحمد بن هشام فوهبه غلاما فمدحه

حدثني عمّي، قال: حدثني أبو عبد الله الهشاميّ، عن أبيه، قال:

دخل محمد بن وهيب على أحمد بن هشام يوما وقد مدحه، فرأى بين يديه غلمانا روقة مردا وخرما بيضا فرّها(4) في نهاية الحسن و الكمال و النظافة، فدهش لما رأى و بقي متبلّدا لا ينطق حرفا، فضحك أحمد منه و قال له:

ما لك؟ و يحك! تكلم بما تريد، فقال:

قد كانت الأصنام و هي قديمة *** كسرت و جدّعهن إبراهيم

و لديك أصنام سلمن من الأذى *** و صفت لهنّ غضارة(5) و نعيم

و بنا إلى صنم نلوذ بركنه *** فقر و أنت إذا هزرت كريم

فقال له: اختر من شئت، فاختر واحدا منهم، فأعطاه إياه، فقال يمدحه:

فضلت مكارمه على الأتوام *** و علا فحاز(6) مكارم الأيام

و علته أبهة الجلال كأنه *** قمر بدا لك من خلال غمام

إنّ الأمير على البريّة كلّها *** بعد الخليفة أحمد بن هشام

الحسن بن سهل يصله بالمأمون فيمدحه

و أخبرني جعفر بن قدامة في خبره الذي ذكرته آنفا عنه، عن الحسن بن الحسن بن رجاء، عن أبيه، قال:

لَمَّا قَدِمَ الْمَأْمُونُ، لَقِيَهِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ، فَدَخَلَ جَمِيعًا، فَعَارَضَهُمَا ابْنُ وَهَيْبٍ وَقَالَ:

/اليوم جددت النعماء و المنن *** فالحمد لله حلّ العقدة الرّمن

ص: 60

-
- 1-ب: «ما خفي منه».
 - 2-ف: «... من كرب... ملأت أحشاءه حرقا».
 - 3-ب: «إذ أعاد الطرف».
 - 4-الروقة: الجميل جدا من الغلمان و الجواري - للمذكر و المؤنث و المفرد و المثنى و الجمع. وفره فراهمة: جمل و حسن أو حذق و مهر فهو فاره جمعه فرّه.
 - 5-ف: «نضارة». و الغضارة: النعمة و طيب العيش.
 - 6-ف، ب، المختار: «فخار».

اليوم أظهرت الدنيا محاسنها *** للناس لما التقى المأمون والحسن

قال: فلما جلسا سأله المأمون عنه فقال: هذا رجل من حمير، شاعر مطبوع، اتصل بي متوسلا إلى أمير المؤمنين و طالبا الوصول مع نظرائه، فأمر المأمون بإيصاله مع الشعراء، فلما وقف بين يديه، وأذن له في الإنشاد، أنشده قوله:

طلان طال عليهما الأمد *** دثرا فلا علم ولا نضد

لبسا البلى فكأتما وجدا *** بعد الأحبة مثل ما أجد

حييتما ظللين، حالهما *** بعد الأحبة غير ما عهدوا

إمّا طواك(1) سلو غانية *** فهواك لا ملل ولا فند

إن كنت صادقة الهوى فردي *** في الحب منهلي(2) الذي أرد

أدمي هرقت وأنت آمنة *** أم ليس لي عقل ولا قود(3)؟

إن كنت فتّ و خانني سبب *** فلربّما يخطئ(4) مجتهد

حتى انتهى إلى قوله في مدح المأمون:

يا خير منتسب لمكرمة *** في المجد حيث تبجح(5) العدد

في كل أنملة لراحته *** نوء يسحّ و عارض حشد(6)

أو إذا القنار عفت أسنته *** علقا و صمّ كعوبها قصد(7)

فكأنّ ضوء جبينه قمر *** و كأنه في صولة أسد

و كأنه روح تدبّرنا *** حركاته و كأننا جسد

المأمون يستشير فيه الحسن بن سهل ثم يلحقه بجوائز مروان بن أبي حفصة

فاستحسنها المأمون وقال لأبي محمد: احتكم له، فقال: أمير المؤمنين أولى بالحكم، ولكن إن أذن لي في المسألة سألت له، فأما الحكم فلا فقال: سل، فقال: يلحقه بجوائز مروان بن أبي حفصة، فقال: ذلك والله أردت، وأمر بأن تعدّ أبيات قصيدته و يعطى لكل بيت ألف درهم، فعدّت فكانت خمسين، فأعطي خمسين ألف درهم.

من مدائحه للمأمون

قال الأصبهانيّ: و له في المأمون والحسن بن سهل خاصة مدائح شريفة نادرة، من عيونها قوله في المأمون في قصيدة أولها:

- 1- في ف: «إن ماطلوك».
- 2- في مد: «منهلنا». وفي المختار و معاهد التنصيص: «منهله».
- 3- لا عقل ولا قود أي لا دية ولا قصاص.
- 4- مد، ف: «فلربما لم يحظ مجتهد».
- 5- في ب، المختار: «حيث ينتج العدد».
- 6- النوء: المطر. و العارض: السحاب المعترض في الأفق. و حشد: لا ينقطع ماؤه.
- 7- العلق: القطعة من العلق للدم، و الرمح الأصم: الصلب المتين، و القصد: جمع قصدة؛ و هي القطعة مما يكسر.

العدر إن أنصفت متّضح *** و شهيد حبّك (1) أدمع سفح

فضحت ضميرك عن ودائعه *** إنّ الجفون نواطق فصح (2)

و إذا تكلمت العيون (3) على *** إعجامها فالسرّ مفتضح

ربما أبيت معانقي قمر *** للحسن فيه مخايل تضح (4)

نشر الجمال على محاسنه *** بدعا و أذهب همّه الفرح

يختال في حلال الشّبّاب به *** مرح و داؤك أنه مرح

ما زال يلثمني مراشفه *** و يعلنني الإبريق و القدح

/حتى استردّ اللّيل خلعتّه *** و نشا خلال سواده وضح

و بدا الصّبّاح كأن غرّته *** وجه الخليفة حين يمتدح

يقول فيها:

نشرت بك الدّنيا محاسنها *** و تزيّنت بصفاتك المدح

و كأنّ ما قد غاب عنك له *** بإزاء طرفك عارضاً شبح (5)

و إذا سلمت فكلّّ حادثة *** جلل فلا بؤس و لا ترح

مدح المطلب بن عبد الله فوصله و أقام عنده مدة

إشارة

/أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ، قال: حدثني أهلنا:

أنّ محمد بن وهيب قصد المطّلب بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ - عمّ أبي - و قد ولي الموصل و كان له صديقا حفيّا، و كان كثير الرّفد له و الثّواب على مدائحه، فأنشده قوله فيه:

صوت

دماء المحبّين لا تعقل *** أ ما في الهوى حاكم (6) يعدل

تعبّدي حور الغايات *** و دان الشّبّاب له الأخطل (7)

و نظرة عين تلافيتها *** غرارا كما ينظر الأحول

مقسمة بين وجه الحب *** يب و طرف الرقيب متى يغفل

أذم على غربات (8) التوى *** إليك السلو ولا أذهل

ص: 62

1- ف: «وشهود حبك».

2- مي، مد، ب: «فضح».

3- التجريد: «وإذا تكلمت الجفون».

4- مي، مد: «ربما أبيت... مخايل فصح». وفي ب: «مخايل نصح». و تصح: تبين و تظهر.

5- ف: «بإزاء طرفك عارض سنح».

6- ب: «حكم يعدل».

7- ب: «الأخطل». و الأخطل: الخفيف السريع أو الأحمق.

8- الغربات جمع غربة، وهي البعد.

وقالوا عزأؤك بعد الفراق *** إذا حمّ مكروهه أجمل

أقيدي دما سفكته العيون *** بإيماض كحلاء لا تكحل

فكلّ سهامك لي مقصد(1) *** وكلّ مواقعها مقتل

سلام على المنزل المستحيل *** وإن ضنّ بالمنطق المنزل

و غضب(2) الصّريبة يلقي الخطوب *** بجدّ عن الدّهر لا ينكل

تغلغل شرقا إلى مغرب *** فلمّا تبدّت له الموصل

ثوى حيث لا يستمال الأريب *** ولا يؤلف اللّقن الحوّل

لدى ملك قابلته السّعود *** وجانبه الأنجم الأفل

لأيامه سطوات الزّمان *** وإنعامه حين لا موئل

سما مالك بك للباهرات *** وأوحذك المربأ الأطول

وليس بعيدا بأن تحتذي(3) *** مذاهب آسادهـا الأشبل

قال: فوصله و أحسن جائزته و أقام عنده مدة، ثم استأذنه في الانصراف فلم يأذن له، وزاد في ضيافته(4) و جراياته و جدّد له صلة، فأقام عنده برهة أخرى، ثم دخل عليه فأنشده:

ألا هل إلى ظلّ العقيق و أهله(5) *** إلى قصر أوس فالحزير معاد؟

و هل لي بأكناف المصلّى فسفحه *** إلى السّور مغدى ناعم و مراد؟

فلم تنسني نهر الأبلّة نيّة *** و لا عرصات المربردين بعاد(6)

هنالك لا تبني الكواعب خيمة *** و لا تتهادى كلثم و سعاد

أجدّي(7) لا ألقى التّوى مطمئنة *** و لا يزدهيني مضجع و مهاد

فقال له: أبيت إلا الوطن و النزاع إليه! ثم أمر له بعشرة آلاف درهم، و أقر له زورقا من طرف الموصل و أذن له.

المأمون يتمثل من شعره

المأمون يتمثل من شعره(8) حدثني محمد بن يحيى الصّولي، قال: حدثني أبو عبد الله الماقتاني، عن عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى،

عن سعيد بن وهيب، قال:

كان المأمون كثيرا ما يتمثل إذا كرهه الأمر:

ص: 63

1- مقصد: مصيب قاتل.

2- ب: «و غرض الضريبة».

3- مد: «و ليس بديعا بأن تحتذي». وفي مي: «و ليس عجيبا بأن تحتذى». وفي ف: «و ليس بديعا بأن تقتفى».

4- ف، مي: «في إقامته».

5- ب: «ألا هل إليّ فيّ العقيق و ظلّه».

6- ف: «و لا يتهادى بالمرين بعدا».

7- ف: «أجدك لا تلقى النوى».

8- من أول هنا حتى آخر الترجمة ساقط من ب ثابت في ف، مي، مم.

ألا ربّما ضاق الفضاء بأهله *** و أمكن من بين الأستّة مخرج

قصيدته في ابن عباد وزير المأمون حين أبعده

قال الأصبهانيّ : وهذا الشعر لمحمد بن وهيب يقوله في ابن عباد وزير المأمون، وكان له صديقا، فلما ولي الوزارة أطرحه لانتقطاعه إلى الحسن بن سهل فقال فيه قصيدة أولها:

تكلم بالوحي البنان المخضب *** ولله شكوى معجم كيف يعرب ؟

أإيماء أطراف البنان ووجهها *** أباتا له كيف الضمير المغيب ؟

وقد كان حسن الظنّ أنجب مرّة *** فأحمد عقبى أمره المتعقب

فلما تدبّرت الظنون(1) مراقبا *** تقلّب حالها إذا هي تكذب

بدأت بإحسان فلما شكرته *** تنكرت لي حتى كأني مذنب

وكلّ فتى يلقي الخطوب بعزمه *** له مذهب عمّن له عنه مذهب

أو هل يصرع الحبّ الكريم وقلبه *** عليم بما يأتي و ما يتجنّب

تأثيت حتى أوضح العلم أنّي *** مع الدهر يوما مصعد و مصوّب

وألحقت أعجاز الأمور صدورها *** وقومها غمز القداح المقلّب

وأيقنت أن اليأس للعرض صائن *** و أن سوف أغضي للقدّي حين أرغب

أغادرتني بين الظنون مميّزا *** شواكل أمر بينهن مجرّب

يقربني من كنت أصفيك دونه *** بودّي و تنأى بي فلا أتقرب

فلله حظّي منك كيف أضاعه *** سلوك عتيّ و الأمور تقلب

أبعدك أستسقي بوارق مزنة *** و إن جاد هطل من المزن هيدب(2)

إذا ما رأيت البرق أغضيت دونه *** و قلت إذا ما لاح: ذا البرق خلّب

و إن سنحت لي فرصة لم أسامها *** و أعرضت عنها خوف ما أترقّب

تأدّبت عن حسن الرّجاء فلن أرى *** أعود له إن الرّمان(3) مؤدّب

وقال له أيضا:

هل الهمّ إلا كربة تتفرّج *** لها معقب تحدى إليه و تزعج (4)

وما الدهر إلا عائد مثل سالف *** و ما العيش إلا جدّة ثم تنهج (5)

و كيف أشيم البرق و البرق خلب *** و يطمعني ريعانه المتبلج (6)

و كيف أديم الصبر لابي ضراعة *** و لا الرزق محظور و لا أنا محرج ؟

ص: 64

1- ف: «الأمر».

2- الهيدب: السحاب المتدلى الذي يدنو من الأرض و يرى كأنه خيوط عند انصبابه.

3- مي، مم: «الرجاء».

4- مي: «هل الدهر» بدل: «هل الهم».

5- المختار: «و ما الدهر إلا غابر». الجدّة: الطريقة. و تنهج: تبلى.

6- المختار: «و مطمعني إنعامه المتبلج». و المتبلج: المنير.

ألا ربّما كان التّصبّر ذلّة *** وأدنى إلى الحال التي هي أسمح

و هل يحمل الهمّ الفتى و هو ضامن *** سرى الليل رحال العشيّات مدلج

و لا صبر ما أعدى على الدّهر مطلب *** و أمكن إدلاج و أصحر منهج (1)

ألا ربّما ضاق الفضاء بأهله *** و أمكن من بين الأسنة مخرج

و قد يركب الخطب الذي هو قاتل *** إذا لم يكن إلا عليه معرّج

مدح الأفشين فأجازه المعتصم

حدثني بعض أصحابنا عن أحمد بن أبي كامل قال:

كان محمد بن وهيب تياها شديد الذّهاب بنفسه، فلما قدم الأفشين - و قد قتل بابك - مدحه بقصيدته التي أولها:

طلول و مغانيها *** تناجيها و تبكيها

يقول فيها:

بعثت الخيل، و الخير *** عقيد في نواصيها

و هي من جيّد شعره، فأنشدناها ثم قال: ما لها عيب سوى أنها لا أخت لها.

قال: و أمر المعتصم للشعراء الذين مدحوا الأفشين بثلاثمائة ألف درهم جرت تفرقتها على يد ابن أبي دواد، فأعطى منها محمد بن وهيب ثلاثين ألفاً، و أعطى أبا تمام عشرة آلاف درهم. قال ابن أبي كامل: فقلت لعليّ بن يحيى المنجم: ألا تعجب من هذا الحظّ؟ يعطى أبو تمام عشرة آلاف و ابن وهيب ثلاثين ألفاً، و بينهما كما بين السماء و الأرض. / فقال: لذلك علّة لا تعرفها؛ كان ابن وهيب مؤدّب الفتح بن خاقان، فلذلك وصل إلى هذه الحال.

يذكر الدنيا و يصف حاله و هو عليل

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ . قال: حدثني أبو زكوان، قال:

حدثني من دخل إلى محمد بن وهيب يعوده و هو عليل قال: فسألته عن خبره فتشكّى ما به ثم قال:

نفوس المنايا بالنّفوس تشعب *** و كلّ له من مذهب الموت مذهب

نراع لذكر الموت ساعة ذكره *** و تعترض الدّنيا فنلهو و نلعب

و آجالنا في كلّ يوم و ليلة *** إلينا على غرّاتنا تتقرّب

أيقن أن الشيب ينعي حياته *** مدّر لأخلاف الخطيئة مذنب
يقين كأنّ الشكّ أغلب أمره *** عليه و عرفان إلى الجهل ينسب
وقد ذمّت الدنيا إليّ نعيمها *** و خاطبني إعجامها و هو معرب

ص: 65

1- البيت من نسختي مي، مم. و جاء مكان هذا البيت في المختار: أبي لي إغضاء الجفون على القذى يقيني الأعرس إلا سيفرج وأصحر:
اتسع.

لكنني منها خلقت لغيرها *** و ما كنت منه فهو عندي (1) محبب

ابن أبي فنن و أبو يوسف الكندي يطعنان عليه فيرد عليهما من ينصفه

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهوريه، قال: حدثني أحمد بن أبي كامل، قال:

كذّبا في مجلس و معنا أبو يوسف الكنديّ و أحمد بن أبي فنن، فتذاكرنا شعر محمد بن وهيب فطعن عليه ابن أبي فنن و قال: هو متكلّف حسود، إذا أنشد شعرا لنفسه قرظه و وصفه في نصف يوم و شكّا أنّه مظلوم منحوس الحظّ و أنّه لا تقصّر به عن مراتب القدماء حال، فإذا أنشد شعر غيره حسده، و إن كان على نبیذ عربد عليه، و إن كان صاحيا عاداه و اعتقد فيه كلّ مكروه. فقلت له: كلا كما لي صديق، و ما أمتنع من /وصفكما جميعا بالتقدّم و حسن الشعر، فأخبرني عمّا أسألك عنه إخبار منصف، أو يعدّ متكلّفا من يقول:

أبي لي إغضاء الجفون على القذى *** يقيني أن لا عسر إلا مفرّج

ألا ربّما ضاق الفضاء بأهله *** و أمكن من بين الأستة مخرج ؟

أو يعدّ متكلّفا من يقول:

رأت وضحا من مفرق الرأس راعها *** شريحين مبيّض به و بهيم ؟

فأمسك ابن أبي فنن، و اندفع الكنديّ فقال: كان ابن وهيب ثنويّا. فقلت له: من أين علمت ذلك ؟ أكلمك على مذهب الثنويّة قطّ؟ قال: لا، و لكنني استدلت من شعره على مذهبه، فقلت: حيث يقول ما ذا؟ فقال: حيث يقول:

طللان طال عليهما الأمد

و حيث يقول:

تقرّ عن سمطين من ذهب

إلى غير ذلك مما يستعمله في شعره من ذكر الاثني.

فشغلني و الله الضحك عن جوابه. و قلت له: يا أبا يوسف، مثلك لا ينبغي أن يتكلّم فيما لم ينفذ فيه علمه.

يستنجز محمد بن عبد الملك الزيات حاجته

إشارة

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار، قال: حدّثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ، عن أبيه، قال:

سأل محمد بن وهيب محمد بن محمد بن عبد الملك الزيات حاجة فأبطأ فيها، فوقف عليه ثم قال له:

اطبع الكريم على وفائه *** وعلى التفضل في إخوانه

تغني عنايته الصديق *** عن التعرض لاقتضائه

حسب الكريم حياؤه (2) *** فكل الكريم إلى حياؤه (2)

فقال له: حسبك فقد بلغت إلى ما أحببت (3)، والحاجة تسبقك إلى منزلك. ووفى له بذلك.

ص: 66

1- المختار: «فهو شيء محبب».

2- وفي التجريد: «... حياؤه... حياؤه... حياؤه...».

3- ف: «فقد حثت فأبلغت». وفي التجريد: «قد حثت فأبلغت».

وددت على ما كان من سرف الهوى *** وغيّ الأمانى أنّ ما شئت يفعل

/فترجع أيام تقصّت ولذّة *** تولّت، وهل يثنى من الدهر (1) أوّل!

الشعر لمزاحم العقيليّ، والغناء لمقاسمة بن ناصح، خفيف رمل بالبنصر عن الهشاميّ . قال الهشاميّ . وفيه لأحمد بن يحيى المكيّ رمل.

ص: 67

1- ب، س: «من العيش».

نسبه

هو مزاحم بن عمرو(1) بن الحارث بن مصرّف بن الأعلم بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

وقيل: مزاحم بن عمرو بن مّرة بن الحارث بن مصرّف بن الأعلم، وهذا القول عندي أقرب إلى الصواب.

بدويّ شاعر فصيح إسلاميّ، صاحب قصيد ورجز، كان في زمن جرير و الفرزدق. و كان جرير يصفه و يقرّظه و يقدّمه.

بيتان له تمنى جرير أنهما له

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني الفضل بن محمد الزبيديّ، عن إسحاق الموصليّ، قال:

قال لي عمارة بن عقيل: كان جرير يقول: ما من بيتين كنت أحبّ أن أكون سبقت إليهما غير بيتين من قول مزاحم العقيليّ:

وددت على ما كان من سرف الهوى *** وغيّ الأمانى أنّ ما شئت يفعل

فترجع أيام مضين ولذّة *** تولّت و هل يثنى من العيش أول!

قال المفصّل: قال إسحاق: سرف الهوى: خطؤه، و مثله قول جرير:

أعطوا هنيذة(2) تحدوها ثمانية *** ما في عطائهم منّ و لا سرف

/أراد أنهم يحفظون(3) مواضع الصنائع، لا أنه وصفهم بالاعتقاد و التوسّط في الجود.

إسحاق يعجب بشعره

قال إسحاق: و واعدني زياد الأعرابيّ موضعا من المسجد، فطلبته فيه فلم أجده، فقلت له بعد ذلك: طلبتك لموعدك(4) فلم أجدك. فقال: أين طلبتني؟ فقلت: في موضع كذا و كذا، فقال: هناك و الله سرفتك، أي أخطأتك.

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر، قال:

ص: 68

1- مي، ف: «مزاحم بن الحارث بن مصرف»، وفي الخزانة 3:45: «مزاحم بن الحارث: شاعر إسلامي من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة».

2- هنيذة: مائة من الإبل.

3- ف: «لا يخطئون» بدل «يحفظون». وفي ب: «أراد أنهم لا يخطئون مواضع الصنائع إلا أنه...».

4- مي: «لموضعك».

أنشدني حماد عن أبيه لمزاحم العقيليّ قال - وكان يستجيدها ويستحسنها -:

لصفراء في قلبي من الحبّ شعبة *** حمى لم تبحه الغانيات صميم(1)

بها حلّ بيت الحبّ ثم ابتنى بها *** فبانّت بيوت الحيّ وهو مقيم

بكت دارهم من نأيهم فتهلّلت *** دموعي فأيّ الجازعين أوم!

أ مستعبرا يبكي من الحزن والجوى *** أم آخر يبكي شجوه فيهم؟

تضمّنه من حبّ صفراء بعد ما *** سلا هيضات الحبّ فهو كلّيم(2)

ومن يتهيّض(3) حبّهن فؤاده *** يمت أو يعش ما عاش وهو سقيم

كحزّان صاد زيد عن برد مشرب *** وعن بللات الرّيق(4) فهو يحوم

منعه عمه من زواجه بابنته لفقره

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أبو سعيد السّكّري، قال: أخبرنا محمد بن حبيب، عن ابن أبي الدّنيا العقيليّ - قال ابن حبيب: وهو صاحب الكسائيّ وأصحابنا - قال:

كان مزاحم العقيليّ خطب ابنة عم له دنية(5) فمنعه أهلها لإملاقه وقلة ماله، وانتظروا/بها/رجلا موسرا في قومها كان يذكرها ولم يحقق، وهو يومئذ غائب. فبلغ ذلك مزاحما من فعلهم، فقال لعمّه: يا عمّ، أ تقطع رحمي وتختار عليّ غيري لفضل أباعر تحوزها وطفيف من الحظ تحظى به! وقد علمت أنّي أقرب إليك من خاطبها الذي تريده، وأفصح منه لسانا، وأجود كفاً، وأمنع جانبا، وأغنى عن العشيرة! فقال له: لا عليك فإنها إليك صائرة، وإنما أعللّ أمّها بهذا، ثم يكون أمرها لك، فوثق به.

تزوجت ابنة عمه في غيابه فقال فيها شعرا

وأقاموا مدة، ثم ارتحلوا و مزاحم غائب، وعاد الرجل الخاطب لها فذاكروه(6) أمرها، فرغب فيها، فأنكحوه إياها، فبلغ ذلك مزاحما فأنشأ يقول:

نزلت بمفضى سيل حرسين والصّحى *** يسيل بأطراف المخارم آله(7)

بمسقيّة الأجنان أنفد دمعها *** مقاربة الألاف ثمّ زيالها(8)

فلما نهاها اليأس أن تؤنس الحمى *** حمى البئر جلىّ عبرة العين جالها(9)

1- ب: «سموم». وفي مي، مد: «جموم». وفي ب: «لم تبحه الغانيات سموم».

2- ب: «فهو كظيم». و الهیضات جمع هیضة، و هي معاودة الهم و الحزن.

3- تهیضه الغرام: عاوده مرة بعد أخرى.

4- مي: «نهلات الریق».

5- ابنة عم له دنية أي، لاصقة النسب.

6- ب: «فذكروا».

7- حرس: من مياه بني عقيل بنجد. و المخارم: الطرق في الغليظ من الأرض. وفي مي، مد، ف: «نظرت» بدل: «نزلت». وفي ب: «يسير
بأيام المخارم».

8- ف: «مفارقة الألاف».

9- مي، ف: «حمى البين جلى عبرة البين جالها».

أيا ليل إن تشحط بك الدار غربة *** سوانا ويعيي النَّفس فيك احتيالها

فكم ثم كم من عبرة قد رددتها *** سريع على جيب القميص انهالها(1)

خليلي هل من حيلة تعلمانها *** يقرب من ليلى إلينا احتيالها

فإن بأعلى الأخشيين أراكة *** عدتني عنها الحرب دان ظلالها

وفي فرعها لو تستطاع جنابها *** جنى يجتنيه المجتني لو ينالها

هنيئا ليلي مهجة ظفرت بها *** وتزويج ليلى حين حان ارتحالها

لقد حبسوها محبس البدن وابتغى *** بها الرّيح أقوام تساخف مالها(2)

فإن مع الرّكب الذين تحمّلوا *** غمامة صيف زعزعتها شمالها

سجنه ثم هربه

وقال محمد بن حبيب في خبره، قال ابن الأعرابي :

وقع بين مزاحم العقيلي وبين رجل من بني جعدة لحاء في ماء فثشامتا و تضاربا بعصييهما، فشجّه مزاحم شجّة أمته(3)، فاستعدت بنو جعدة على مزاحم فحبس حبسا طويلا، ثم هرب من السّجن، فمكث في قومه مدة، وعزل ذلك الوالي و ولي غيره، فسأله ابن عمّ لمزاحم يقال له مغلس أن يكتب أمانا لمزاحم، فكتبه له، وجاء مغلس و الأمان معه، فنفر مزاحم منه و ظنّها خيلة من السّ لمطان، فهرب و قال في ذلك:

أتاني بقرطاس الأمير مغلس *** فأفزع قرطاس الأمير فؤاديا

فقلت له: لا مرحبا بك مرسلا *** إليّ و لا لي من أميرك داعيا(4)

أليست جبال القهر قعسا مكانها *** و عروى و أجبال الوحاف كما هيا؟(5)

أخاف ذنوبي أن تعدّ ببابه *** و ما قد أزلّ الكاشحون أماميا

و لا أستريم عقبة الأمر بعد ما *** تورّط في بهماء كعبي و ساقيا(6)

هوى امرأة من قومه و تزوجت غيره

أخبرني محمد بن يزيد، و أحمد بن جعفر جحظة، قالا: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، قال:

كان مزاحم العقيلي يهوى امرأة من قومه يقال لها ميّة، فتزوّجت رجلا كان/أقرب إليها من مزاحم، فمر عليها بعد أن دخل بها زوجها، فوقف

عليها ثم قال:

/أيا شفّتي ميّ أ ما من شريعة*** من الموت إلا أنتما تورّدانيا!

و يا شفّتي ميّ أمالي إليكما*** سبيل و هذا الموت قد حلّ دانيا!

ص: 70

1- ف: «انهمالها».

2- تساخف مالها: رق حالها.

3- أمته: أصابت أم دماغه.

4- ف، مي: «و لا لبّي أميرك».

5- قعسا جمع أقعس أي ثابتة. وفي مد: «تمسي مكانها».

6- مد، ف: «و لا أستديم... تورّط بي و هنا بكعبي و ساقيا».

و يا شفّتي ميّ أ ما تبدلان لي *** بشيء وإن أعطيت أهلي و ماليا!

فقلت: أعز عليّ يا بن عمّ بأن تسأل ما لا سبيل إليه، و هذا أمر قد حيل دونه، فإله عنه. فانصرف.

جرير يتمنى أن يكون له بعض شعر مزاحم

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدّثنا محمد بن يزيد التّحويّ، قال:

حدّثني عمارة بن عقيل قال: قال لي أبي: قال عبد الملك بن مروان لجرير: يا أبا حرزة، هل تحب أن يكون لك بشيء من شعرك شيء من شعر غيرك؟ قال: لا، ما أحبّ ذلك، إلا أنّ غلاما ينزل الرّوضات من بلاد بني عقيل يقال له مزاحم العقيليّ، يقول حسنا من الشعر (1) لا يقدر أحد من أن يقول مثله، كنت أحبّ أن يكون لي بعض شعره مقايضة ببعض شعري.

هوى امرأة من قومه يقال لها ليلي و تزوجت غيره

إشارة

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدّثني عمّي، عن العباس بن هشام، عن أبيه، قال:

كان مزاحم العقيليّ يهوى امرأة من قومه يقال لها ليلي، فغاب غيبة عن بلاده، ثم عاد و قد زوّجت، فقال في ذلك:

أتاني بظهر الغيب أن قد تزوّجت *** فطلّت بي الأرض الفضاء تدور

و زایلني لبيّ و قد كان حاضرا *** و كاد جناني عند ذاك يطير

فقلت و قد أيقنت أن ليس بيننا *** تلاق و عيني بالدموع (2) تمور

/أيا سرعة الأخبار حين تزوّجت *** فهل يأتيني بالطلاق بشير

و لست بمحص حبّ ليلي لسائل *** من التّاس إلا أن أقول كثير

صوت

لها في سواد القلب تسعة أسهم *** و للناس طرّا من هواي عشير (3)

قال ابن الكلبيّ: و من الناس من يزعم أنّ ليلي هذه التي يهواها مزاحم العقيليّ هي التي كان يهواها المجنون، و أنّهما اجتمعا هو و مزاحم في حبّها.

هوى امرأة أخرى من قشير و تزوجت غيره

قال الأصهبانيّ: و قد أخبرني بشرح هذا الخبر الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، عن عليّ بن الصّبّاح، عن ابن الكلبيّ،

قال:

كان مزاحم بن مروة العقيلي يهوي امرأة(4) من قشير يقال لها ليلي بنت موازر، ويتحدّث إليها مدة حتى شاع أمرهما، وتحدّثت جوارى الحيّ به، فنهاه أهلها عنها، وكانوا متجاوزين، وشكوه إلى الأسيّاخ من قومه فنهوه

ص: 71

1- مي، مد: «وحشياً من الشعر».

2- مي: «وعيني بالدماء».

3- عشير، أي جزء من العشرة.

4- ف: «جارية من قشير».

و اشتدوا عليه، فكان يتفلت إليها في أوقات الغفلات، فيتحدّثان و يتشاكيان، ثم انتجعت بنو قشير في ربيع لهم ناحية غير تلك قد نصّرها غيث و أخصبها، فبعد عليه خبرها و اشناقها، فكان يسأل عنها كلّ وارد، و يرسل إليها بالسلام مع كل صادر، حتى ورد عليه يوماً راكب من قومها، فسأله عنها فأخبره أنها خطبت فزوّجت، فوجم طويلاً ثم أجهش باكياً و قال:

أتاني بظهر الغيب أن قد تزوّجت *** فظلت بي الأرض الفضاء تدور

و ذكر الأبيات الماضية.

/وقد أنشدني هذه القصيدة لمزاحم ابن أبي الأزهر، عن حمّاد/عن أبيه، فأتى بهذه الأبيات و زاد فيها:

و تنشر نفسي بعد موتي بذكرها *** مرارا فموت مرّة و نشور

عججت لربي عبّة (1) ما ملكتها *** و ربي بذى الشوق الحزين بصير

ليرحم ما ألقى و يعلم أنّي *** له بالذي يسدي إليّ شكور

لئن كان يهدى برد أنيابها العلا *** لأحوج منّي إنّي لفقير

الفرزدق و جرير و ذو الرمة يفضلونه على أنفسهم

إشارة

حدّثني عمّي، قال: حدّثني أبو أيوب المدينيّ، قال: قال أبو عدنان:

أخبرنا تميم بن رافع قال: حدّث أنّ الفرزدق دخل على عبد الملك بن مروان - أو بعض بنيه - فقال له:

يا فرزدق، أتعرف أحدا أشعر منك؟ قال: لا، إلا غلاماً من بني عقيل، يركب أعجاز الإبل و ينعت الفلوات فيجيد، ثم جاءه جرير فسأله عن مثل ما سأله عنه الفرزدق فأجابه بجوابه، فلم يلبث أن جاءه ذو الرمة فقال له: أنت أشعر الناس؟ قال: لا، و لكن غلام من بني عقيل يقال له مزاحم يسكن الرّوضات؟ يقول و حشياً من الشعر لا يقدر على مثله، فقال: فأنددني بعض ما تحفظ من ذلك، فأندده قوله:

خليليّ عوجا بي على الدار نسأل *** متى عهدها بالطّاعن المترحل (2)

فعبجت و عاجوا فوق بيداء مؤرت (3) *** بها الريح جولان التراب المنخل

حتى أتى على آخرها ثم قال: ما أعرف أحدا يقول قولاً يواصل هذا.

صوت

أكذب طرفي عنك في كلّ ما أرى *** و أسمع أذني منك ما ليس تسمع

فلا كبدي تبلى ولا لك رحمة*** ولا عنك إقصار ولا فيك مطمع

لقتت أمورا فيك لم ألق مثلها*** وأعظم منها فيك ما أتوقع

فلا تسأليني في هواك زيادة*** فأيسره يجزي وأدناه يقنع

الشعر لبكر بن التّطّاح، والغناء لحسين بن محرز ثقيل أول بالوسطى عن الهشاميّ .

ص: 72

1- عج الرجل: صاح ورفع صوته، وفي ف: حججت لربي حجة.

2- في الخزانة 3:45: «بالظاعن المتحمل».

3- مي، مد: «صفقت»، وموّرت: أثارت.

6 - أخبار بكر بن النطاح و نسبه

اسمه و نسبه

بكر بن النطاح الحنفي (1). يكنى أبا وائل، هكذا أخبرنا وكيع عن عبد الله بن شبيب، و ذكر غيره أنه عجلي من بني سعد بن عجل، و احتج من ذكر أنه عجلي بقوله:

فإن يك جدّ القوم فهر بن مالك *** فجدّي عجل قرم بكر بن وائل

و أنكر ذلك من زعم أنه حنفيّ و قال: بل قال:

فجدّي لجيم قرم بكر بن وائل

و عجل بن لجيم و حنيفة بن لجيم أخوان.

و كان بكر بن النطاح صعلوكا يصيب الطريق، ثم أقصر عن ذلك، فجعله أبو دلف من الجند، و جعل له رزقا سلطانيًا، و كان شجاعا بطلا فارسا شاعرا حسن الشعر و التصرف فيه، كثير الوصف لنفسه بالشجاعة و الإقدام.

قصته مع أبي دلف

فأخبرني الحسن بن علي (2)، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني أبي، قال:

قال بكر بن النطاح الحنفيّ قصيدته التي يقول فيها:

هنيئا لإخواني ببغداد عيدهم *** و عيدي بحلوان قراع الكتائب

و أنشدها أبا دلف فقال له: إنك لتكثر الوصف لنفسك بالشجاعة، و ما رأيت لذلك عندك أثرا قطّ، و لا فيك، فقال له: أيّها الأمير و أيّ غناء يكون عند الرجل الحاسر الأعرل؟ فقال: أعطوه فرسا و سيفا و ترسا و درعا و رمحا، فأعطوه ذلك أجمع، فأخذه و ركب الفرس و خرج على وجهه، فلقبه مال لأبي دلف يحمل من بعض ضياعه، فأخذه / و خرج جماعة من غلمانهم فمانعوه عنه، فجرحهم جميعا و قطعهم و انهزموا. و سار بالمال، فلم ينزل إلا على عشرين فرسخا، فلما اتصل خبره بأبي دلف قال: نحن جنينا على أنفسنا، و قد كُتّا أغنياء عن إهاجة أبي وائل، ثم كتب إليه بالأمان، و سوّغه المال، و كتب إليه: صر إلينا فلا ذنب لك، لأننا نحن كنا سبب فعلك بتحريكنا إياك و تحريضنا؛ فرجع و لم يزل معه يمتدحه، حتى مات.

ص: 73

1- في تاريخ بغداد 7:90: بكر بن النطاح بن أبي حمار الحنفي.

2- ف: «عليّ بن الحسين».

قصته مع الرشيد و يزيد بن يزيد

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني محمد بن موسى، قال: حدّثني الحسن بن إسماعيل، عن ابن الحفصيّ، قال: قال يزيد بن يزيد:

وجّه إليّ الرشيد في وقت يرتاب فيه البريء، فلمّا مثلت بين يديه قال: يا يزيد، من الذي يقول:

و من يفتقر منّا يعيش بحسامه *** و من يفتقر من سائر الناس يسأل

فقلت له: و الذي شرفك و أكرمك بالخلافة ما أعرفه، قال: فمن الذي يقول:

و إن يك جدّ القوم فهر بن مالك *** فجديّ لجيم قرم بكر بن وائل

قلت: لا و الذي أكرمك و شرفك يا أمير المؤمنين ما أعرفه، قال: و الذي كرّمني و شرفني إنك لتعرفه، أتظن يا يزيد أني إذا أوطأتك بساطي و شرفتك بصنيعتي أني أحتملك على هذا؟ أو تظن أني لا أراعي أمورك و أتقصّأها، و تحسب أنه يخفي عليّ شيء منها؟ و الله إن عيوني لعليك في خلواتك و مشاهدك، هذا جلف من أجلاف ربيعة عدا طوره و ألحق قريشا بريعة فأتني به. فانصرفت و سألت عن قائل الشعر، فقيل لي: هو بكر بن النطاح، و كان أحد أصحابي، فدعوته و أعلمته ما كان من الرشيد، فأمرت له بألفي درهم، و أسقطت اسمه من الديوان، و أمرته ألا يظهر ما دام الرشيد حيّاً، فما ظهر حتى مات الرشيد، فلما مات ظهر، فألحقت اسمه و زدت في عطائه (1).

شعره في جارية تدعى رامشنة

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثني محمد بن حمزة العلويّ، قال: حدّثني أبو غسان دماذ، قال:

حضرت بكر بن النطّاح الحنفيّ في منزل بعض الحنفيّين، و كانت للحنفيّ جارية يقال لها رامشنة، فقال فيها بكر بن النطّاح:

حيّتك بالرامشن رامشنة *** أحسن من رامشنة الآس

جارية لم يقتسم بضعها *** و لم تبت (2) في بيت نحّاس

أفسدت إنسانا على أهله *** يا مفسد الناس على الناس

/و قال فيها:

أكذب طرفي عنك و الطّرف صادق *** و أسمع أذني منك ما ليس تسمع

و لم أسكن الأرض التي تسكنينها *** لكي لا يقولوا صابر ليس يجزع

فلا كبدي تبلى و لا لك رحمة *** و لا عنك إقصار و لا فيك مطمع

لقيت أمورا فيك لم ألق مثلها *** و أعظم منها منك ما أتوقّع

1- مي، مد، ف: «وزدت في إنزاله».

2- ف، مي، مد: «تقم»، بدل: «تبت».

المأمون يعجب بشعره و ينقد سلوكه

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، عن عليّ بن الصّباح - وأظنه مرسلًا و أن بينه وبينه ابن أبي سعد أو غيره، لأنه لم يسمع من عليّ بن الصّباح - قال: حدّثني أبو الحسين الراوية، قال لي المأمون:

أنشدني أشجع بيت وأعفّه و أكرمه من شعر المحدثين، فأنشدته:

و من يفتقر منّا يعيش بحسامه *** و من يفتقر من سائر النَّاس يسأل

و إنّا لنلهو بالسّيوف كما لهت *** عروس بعقد أو سخاب(1) قرنفل

/فقال: ويحك! من يقول هذا؟ فقلت: بكر بن النّطّاح، فقال: أحسن و الله، ولكنه قد كذب في قوله، فما باله يسأل أبا دلف و يمتدحه و ينتجعه! هلاًّ أكل خبزه بسيفه كما قال!.

مدح أبا دلف فأعطاه جائزة

إشارة

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني أبو الحسن الكسكريّ (2)، قال:

بلغني أن أبا دلف لحق أكرادا قطعوا الطّريق في عمله، و قد أردف منهم فارس رفيقا له خلفه، فطعنهما جميعا فأنفذهما، فتحدّث الناس بأنّه نظم(3) بطعنة واحدة فارسين على فرس، فلما قدم من وجهه دخل إليه بكر بن النّطّاح فأنشده:

صوت

قالوا: و ينظم فارسين بطعنة *** يوم اللّقاء و لا يراه جليلا

لا تعجبوا فلو أنّ طول قناته *** ميل إذا نظم الفوارس ميلا(4)

قال: فأمر له أبو دلف بعشرة آلاف درهم، فقال بكر فيه:

له راحة لو أنّ معشار جودها *** على البرّ كان البرّ أندى من البحر

و لو أنّ خلق الله في جسم فارس *** و بارزه كان الخليّ من العمر

أبا دلف بوركت في كل بلدة *** كما بوركت في شهرها ليلة القدر

عشق غلاما نصرانيا و قال فيه شعرا

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار، و عيسى بن الحسين، قالوا: حدّثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدّثني أبوزائدة، قال:

كان بكر بن النّطّاح الحنفيّ يتعشّق غلاما نصرانيّا ويجنّ به، وفيه يقول:

ص: 75

-
- 1- سخاب قرنفل: عقد قرنفل.
 - 2- ف: «العسكري». وفي مد: «الكسكوبي». و الكسكري نسبة إلى كسكر: كورة واسعة بالقرب من البصرة.
 - 3- ف: «أنه أنفذ بطعنة واحدة».
 - 4- في فوات الوفيات 1:79: «لا تعجبين لو كان مدقناته... ميلا...».

يا من إذا درس الإنجيل كان له *** قلب التقي عن القرآن منصرفا

إني رأيتك في نومي تعانقني *** كما تعانق لام الكاتب الألفا

رده أبو دلف فغضب عليه و انصرف عنه

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري ، قال: حدّثني الحسن بن عبد الرحمن/الرّبعي (1)، قال:

كان بكر بن النّطّاح يأتي أبا دلف في كل سنة، فيقول له: إلى جنب أرضي أرض تباع وليس يحضرني ثمنها، فيأمر له بخمسة آلاف درهم و يعطيه ألفا لنفقتة(2)، فجاءه في بعض السنين فقال له مثل ذلك، فقال له أبو دلف:

ما تفنى هذه الأرضون التي إليها جانب ضيعتك(3)! فغضب و انصرف عنه، وقال:

يا نفس لا تجزعي من التّلف *** فإن في الله أعظم الخلف

إن تقنعي باليسير تغتبطي *** و يغنك الله عن أبي دلف

رده قرّة بن محرز فغضب عليه و انصرف عنه كذلك

قال: و كان بكر بن النّطّاح يأتي قرّة بن محرز الحنفيّ بكرمان فيعطيه عشرة آلاف درهم، و يجري عليه في كل شهر يقيم عنده ألف درهم، فاجتاز به قرّة يوما و هو ملازم في السّوق و غرماؤه يطالبونه بدين، فقال له: ويحك! أما يكفيك ما أعطيك حتى تستدين و تلازم في السّوق! فغضب عليه و انصرف عنه و أنشأ يقول:

ألا يا قرّ لا تك سامريّا(4) *** فترك من يزورك في جهاد

أتعجب أن رأيت عليّ دينا *** و قد أودى الطّريف مع التّلاذ

ملأت يدي من الدّنيا مرارا *** فما طمع العواذل في اقتصادي

و لا وجبت عليّ زكاة مال *** و هل تجب الزّكاة على جواد!

مدح أبا دلف بيتين فأعطاه جائزة

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر، قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، قال:

كنت يوما عند عليّ بن هشام، و عنده جماعة فيهم عمارة بن عقيل، فحدّثته أنّ بكر بن النّطّاح دخل إلى أبي دلف و أنا عنده، فقال لي أبو دلف: يا أبا محمد أنشدني مديحا فاخرا تستطرفه، فبدر إليه بكر و قال: أنا أنشدك أيها الأمير بيتين قلتها فيك في طريقي هذا إليك و أحكّمك، فقال: هات، فإن شهد لك أبو محمد رضينا، فأنشده:

إذا كان السّتاء فأنت شمس *** و إن حضر المصيف(5) فأنت ظلّ

-
- 1- ف، ب: «الحسن بن عبد الله بن الربيعي».
 - 2- ف، مي: «لنفقتها».
 - 3- مي، مد: «أرضك».
 - 4- سامري، منسوب إلى السامري، من قوم موسى الذي جعل من الذهب عجلا يعبد.
 - 5- فوات الوفيات 1:79: «وإن كان المصيف...».

فقلت له: أحسن والله ما شاء ووجبت مكافأته، فقال: أما إذ رضيت فأعطوه عشرة آلاف درهم، فحملت إليه، و انصرفت إلى منزلي، فإذا أنا بعشرين ألفا قد سبقت إليّ، وجّه بها أبو دلف، قال: فقال عمارة لعلّي بن هشام: فقد قلت أنا في قريب من هذه القصة:

و لا عيب فيهم غير أنّ أكفهم *** لأموالهم مثل السنين الحواطم(1)

وأنهم لا يورثون بذيهم *** - وإن ورثوا خيرا - كنوز الدراهم

رثى معقل بن عيسى

أخبرني عمّي، قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني أبو توبة، قال:

كان معقل بن عيسى صديقا لبكر بن النطّاح، و كان بكر فاتكا صعلوكا، فكان لا يزال قد أحدث حادثة في عمل أبي دلف، أو جنى جناية، فيهمّ به فيقوم دونه معقل حتى يتخلّصه، فمات معقل فقال بكر بن النطّاح يرثيه بقوله:

أو حدّث عنه بعض من قال إنّّه *** رأته عينه فيما ترى عين حالم(2)

كأنّ الذي يبكي على قبر معقل(3) *** ولم يره يبكي على قبر حاتم

و لا قبر كعب إذ يجود بنفسه *** و لا قبر حلف الجود قيس بن عاصم

فأيقنت أنّ الله فضّل معقلا *** على كل مذكور بفضل المكارم

هجاه عباد بن الممّزق لبخله

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا الكرانيّ، قال: حدّثني العمريّ، قال:

كان بكر بن النطّاح الحنفيّ أبو وائل بخيلا، فدخل عليه عباد بن الممّزق يوما، فقدم إليه خبزا يابساً قليلاً بلا آدم، ورفع من بين يديه قبل أن يشبع، فقال عباد يهجوه:

من يشتري مني أبا وائل *** بكر بن نطّاح بفلسين؟

كأنما الأكل من خبزه *** يأكله من شحمة العين

قال: و كان عباد هذا هجاء ملعونا، و هو القائل:

أنا الممّزق أعراض اللّثام كما *** كان الممّزق أعراض اللّثام أبي

مدح مالك بن طوق ثم هجاه

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا أبو هفّان، قال:

كان بكر بن النّطّاح قصد مالك بن طوق فمدحه، فلم يرض ثوابه، فخرج من عنده وقال يهجوّه:

فليت جدا مالك كلّه *** و ما يرتجى منه من مطلب

أصبت بأضعاف أضعافه *** و لم أنتجعه و لم أرغب

ص: 77

1- حطمه: كسره، و السنون الحواطم: المهلكة.

2- ف، المختار: و حدثني عن بعض من قال إنه رأّت عينه فيما ترى عين نائم

3- المختار: «كأن الندى يبكي على قبر معقل».

أسأت اختياري منك الثَّواب(1) *** لي الذَّنْب جهلا ولم تذنّب

/او كتبها في رقعة وبعث بها إليه، فلما قرأها وجّه جماعة من أصحابه في طلبه، وقال لهم: الويل لكم إن فاتكم بكر بن النَّطّاح.

اعتذر إليه و أعطاه فمدحه

و لا بد أن تنكفئوا على أثره(2) و لو صار إلى الجبل، فلحقوه فردّوه إليه، فلما دخل داره و نظر إليه قام فتلّقه و قال: يا أخي، عجلت علينا و ما كنّا نقتصر بك على ما سلف و إنما بعثنا إليك بنفقة، و عوّلنا بك على ما يتلوها، و اعتذر كلّ واحد منهما إلى صاحبه، ثم أعطاه حتى أرضاه، فقال بكر بن النَّطّاح يمدحه:

أقول لمرتاب ندى غير مالك *** كفى بذل هذا الخلق بعض عذاته

فتى جاد بالأموال في كلّ جانب *** و أنهبها(3) في عوده و بداته

فلو خذلت أمواله بذل(4) كفّه *** لقاسم من يرجوه شطر حياته

و لو لم يجد في العمر قسمة ماله(5) *** و جاز له الإعطاء من حسناته

لجاد بها من غير كفر برّبّه *** و شاركهم في صومه و صلّاته

فوصله صلة ثانية لهذه الأبيات، و انصرف عنه راضيا.

هكذا ذكر أبو هفّان في خبره و أحسبه غلطا، لأن أكثر مدائح بكر بن النَّطّاح في مالك بن عليّ الخزاعيّ - و كان يتولّى طريق خراسان - و صار إليه بكر بن النَّطّاح بعد وفاة أبي دلف و مدحه، فأحسن تقبّله و جعله في جنده، و أسنى له الرّزق، فكان معه، إلى أن قتله الشّراة بحلوان، فرثاه بكر بعدّة قصائد هي من غرر شعره و عيونّه.

كان مع مالك الخزاعي يوم أن قتل فرثاه

فحدّثني عمّي، قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر، عن أبي وائلة السّدوسيّ، قال:

عاشت الشّراة بالجبل عيثا شديدا، و قتلوا الرجال و النساء و الصّبيان، /فخرج إليهم مالك بن عليّ الخزاعيّ و قد وردوا حلوان، فقاتلهم قتالا شديدا فهزمهم عنها، و ما زال يتبعهم حتى بلغ بهم قرية يقال لها: حدّان(6)، فقاتلوه عندها قتالا شديدا، و ثبت الفريقان إلى الليل حتى حجز بينهم، و أصابت مالكا ضربة على رأسه أثبتته(7)، و علم أنه ميّت، فأمر برّدّه إلى حلوان، فما بلغها حتى مات، فدفن على باب حلوان، و بنيت لقبره قبة على قارعة الطريق، و كان معه بكر بن النَّطّاح يومئذ، فأبلى بلاء حسنا، و قال بكر يرثيه:

ص: 78

1- ب: «أسأت اختياري فنلت النوى».

2- مي: «و لا بد أن تبلغوا في أثره».

- 3- فوات الوفيات 1:79: «و أوهبها».
- 4- فوات الوفيات: «جود كفه».
- 5- فوات الوفيات: «قسمة باذل».
- 6- حدّان - بالضم - : إحدى محالّ البصرة القديمة. وفي ف: «حيداد».
- 7- أثبتته: جعلته ثابتا في مكانه لا يفارقه.

يا عين جودي بالدموع السّجّام *** على الأمير اليمينيّ الهمام
على فتى الدنيا وصنديدها *** وفارس الدين وسيف الإمام
لا تدخري الدمع على هالك *** أيتّم إذ أودى جميع الأنام
طاب ثرى حلوان إذ ضمّنت *** عظامه، سقيا لها من عظام
أغلقت الخيرات أبوابها *** وامتنت بعدك يا بن الكرام
وأصبحت خيلك بعد الوجا *** والغزو تشكو منك طول الجمام
ارحل بنا تقرب إلى مالك *** كيما نحّي قبره بالسّلام
كان لأهل الأرض في كفه *** غنى عن البحر و صوب الغمام
و كان في الصّبح كشمس الصّحى *** و كان في الليل كبدر الظّلام (1)
وسائل يعجب من موته *** وقد رآه وهو صعب المرام
أقلت له عهدي به معلما *** يضربهم عند ارتفاع القتام
و الحرب من طاولها (2) لم يكد *** يفلت من وقع صقيل حسام
لم ينظر الدّهر لنا إذ عدا *** على ربيع النّاس في كل عام
لن يستقبلوا أبداً فقده *** ما هيّج الشّجو دعاء الحمام
قال: وقال أيضا يرثيه:

أيّ امرئ خضب الخوارج ثوبه (3) *** بدم عشية راح من حلوان
يا حفرة ضمّنت محاسن مالك *** ما فيك من كرم و من إحسان
لهفي على البطل المعرّض خده *** و جبينه لأسنة الفرسان
خرق الكتيبة معلما متكتّبا (9) *** و المرهفات عليه كالتيّران
ذهبت بشاشة كلّ شيء بعده *** فالأرض موحشة بلا عمران
هدم الشّراة غداة مصرع مالك *** شرف العلا و مكارم البنيان

قتلوا فتى العرب الذي كانت به *** تقوى على اللّزبات(4) في الأّزمان

حرموا معدّا ما لديه وأوقعوا *** عصبيّة في قلب كلّ يمانى

تركوه في رهج العجاج كأنه(5) *** أسد يصول بساعد و بنان

هوت الجدود عن السّعود لفقده *** وتمسّكت بالتّحس و الدّبران

لا يبعدنّ أخو خزاعة إذ ثوى *** مستشهدا في طاعة الرّحمن

اعزّ الغواة به و ذلّت أمة *** محبوبّة بحقائق الإيمان

ص: 79

1- في المختار: «وكان بالليل كبدر التمام».

2- مي: «حاولها».

3- ف: «تريه».

4- ف، المختار: «الأزمات». و اللزبات جمع: لزبة، وهي الشدة أو القحط.

5- المختار: «تركوه في رهج الغبار كأنه» و الرهج: الغبار أو ما أثير منه. و العجاج: الغبار.

و بكاه مصحفه و صدر قناته (1) *** و المسلمون و دولة السلطان

و غدت تعقر خيله و تقسمت *** أذراعه و سوابغ الأبدان

أفتحمد الدنيا و قد ذهبت *** بمن كان المجير لنا من الحدثان!

نشوقه بغداد و هو بالجبل

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: أشدني أبو غسان دماذ لبكر بن التّطّاح يتشوّق بغداد و هو بالجبل يومئذ:

نسيم المدام و برد السّحر *** هما هيّجا الشّوق حتى ظهر

تقول: اجتنب دارنا بالنّهار *** و زرنا إذا غاب ضوء القمر

فإنّ لنا حرسا إن رأوك *** ندمت و أعطوا عليك الظّفر

و كم صنع الله من مرّة *** عليهم و قد أمروا بالحدّر

سقى الله بغداد من بلدة *** و ساكن بغداد صوب المطر

و تبنت أنّ جوارى القصو *** ر صيرن ذكري حديث السّمر

الأربّ سائلة بالعرا *** ق عنيّ و أخرى تطيل الدّكر (2)

تقول: عهدنا أبا وائل *** كظبي الفلاة المليح الحور

ليالي كنت أزور القيان *** كأنّ ثيابي بهار الشّجر (3)

هوى جارية من القيان و قال فيها شعرا

إشارة

حدّثني جعفر بن قدامة، قال: حدّثني ميمون بن هارون، قال:

كان بكر بن التّطّاح يهوى جارية من جوارى القيان و تهواه، و كانت لبعض الهاشميين، يقال لها درّة، و هو يذكرها في شعره كثيرا، و كان يجتمع معها في منزل/رجل من الجند من أصحاب أبي دلف يقال له: الفرز، فسعى به إلى مولاها، و أعلمه أنه قد أفسدها و واطأها على أن تهرب معه إلى الجبل، فمنعه من لقائها و حجبه عنها، إلى أن خرج إلى الكرج مع أبي دلف، فقال بكر بن التّطّاح في ذلك:

أهل دار بين الرّصافة و الجس *** ر أطالوا غيظي بطول الصّدود

عذبوني ببعدهم وابتلوا قلب *** ي بحزنين(4): طارف و تليد

ما تهبّ الشمال إلا تنفّ *** ست وقال الفؤاد للعين: جودي

قلّ عنهم صبري ولم يرحموني *** فتحيّرت كالطريد الشريد

وكلتني الأيام فيك إلى نفس *** ي فأعييت و انتهى مجهود

وقال فيها أيضا وفيه غناء من الرمل الطنبوريّ :

ص: 80

1- مد، ب: «و صدر حسامه».

2- ف، مي: «الفكر».

3- البهار: نبت طيب الرائحة.

4- ب: «بحبين».

العين تبدي الحبّ و البغضا *** و تظهر الإبرام و التّقضا

درة ما أنصفتني في الهوى *** و لا رحمت الجسد المنضى (1)

مرت بنا في قرطق (2) أخضر *** يعشق منها بعضها بعضا

غضبي و لا و الله يا أهلها *** لا أشرب البارد أو ترضى

/كيف أطاعتكم بهجري و قد *** جعلت خديّ لها أرضا!

و قال فيها أيضا و فيه رمل طنبري:

صدّرت فأمسى لقاؤها حلما (3) *** و استبدل الطرف بالدموع دما

و سلّط حبّها على كبدي *** فأبدلتني بصحة سقما

/و صرت فردا أبكي لفرقتها *** و أقرع السنّ بعدها ندما

شقّ عليها قول الوشاة لها: *** أصبحت في أمر ذا الفتى علما

لو لا شقائي و ما بليت به *** من هجرها ما استثرت ما اكتتما (4)

كم حاجة في الكتاب بحث بها *** أبكيت منها القرطاس و القلما

و قال فيها أيضا، و فيه رمل لأبي الحسن أحمد بن جعفر جحظة:

بعدت عني فتغيّرت لي *** و ليس عندي لك تغيير

فجدّدي ما رثّ من وصلنا *** و كلّ ذنب لك مغفور

أطيبّ النفس بكتمان ما *** سارت به من غدرك العير

وعدك يا سيّدتني غرّني *** منك و من يعشق مغرور

يحزنني علمي بنفسي إذا *** قال خليلي أنت مهجور

يا ليت من زين هذا لها *** جارت لنا فيه المقادير

ساقى التّدامي سقّها صاحبي (5) *** فإنني ويحك معذور

أشرب الخمر على هجرها *** إنني إذا بالهجر مسرور!

وفيهما يقول وقد خرج مع أبي دلف إلى أصبهان:

يا ظبية السَّيب التي أحببتها *** و منحتها لظفي ولين جناحي

عيناى باكيتان بعدك للذي *** أودعت قلبي من ندوب جراح

سقى لأحمد من أخ و لقاسم *** فقد غدوي لاهيا ورواحي

ص: 81

1- المنضى: المهزول.

2- القرطق: قباء ذو طاق واحد «معرب».

3- مي: «حرما»، وفي ب: «حمما».

4- ب: «لولا سقامي ما بيت به من هجرها لاستترت فاكنتما»

5- ب: «ساقى المدام أسقها صاحبي».

او ترّددِي من بيت فرز آمنة *** من قرب كلّ مخالف و ملاحي

أيام تغبطني الملوک و لا أرى *** أحدا له كتدلّلي و مراحي

تصف القيان إذا خلون مجاتي *** و يصفن للشرب الكرام سماحي

و مما يغنيّ فيه من شعر بكر بن النّطّاح في هذه الجارية قوله:

صوت

هل يبتلى أحد بمثل بليّتي *** أم ليس لي في العالمين ضريب؟

قالت عنان و أبصرتني شاحبا: *** يا بكر مالك قد علاك شحوب؟

فأجبتها: يا أخت لم يلق الذي *** لاقيت إلا المبتلى أيوب

قد كنت أسمع بالهوى فأظنّه *** شيئا يلذّ لأهله و يطيب

حتى ابتليت بحلوه و بمرّه *** فالحلو منه للقلوب مديب

و المرّ يعجز منطقي عن وصفه *** للمرّ وصف يا عنان عجيب

/فأنا الشقيّ بحلوه و بمرّه *** و أنا المعنى الهائم المكروب

يا درّ حالّك الجمال فما له *** في وجه إنسان سواك نصيب

كلّ الوجوه تشابهت و بهرتها *** حسنا فوجهك في الوجوه غريب

و الشمس يغرب في الحجاب ضياؤها *** عتّا و يشرق وجهك المحجوب

و مما يغنيّ فيه من شعره فيها أيضا:

غضب الحبيب عليّ في حبّي له *** نفسي الفداء لمذنب غضبان

ما لي بما ذكر الرسول يدان بل *** إن تمّ رأيك ذا خلعت عناني

/يا من يتوق إلى حبيب مذنب *** طاوعته فجزاك بالعصيان

هلاّ انتحرت فكنت أول هالك *** إن لم يكن لك بالصّدود يدان

كنا وكنتم كالبنان وكفها *** فالكف مفردة بغير بنان

خلق السرور لمعشر خلقوا له *** و خلقت للعبيرات والأحزان

صوت

ليت شعري أول الهرج هذا *** أم زمان من فتنة غير هرج (1)

إن يعيش مصعب فنحن بخير *** قد أتانا من عيشنا ما نرجي (2)

ملك يطعم الطعام ويسقي *** لبن البخت في عساس الخلنج (3)

ص: 82

1- الهرج: الفتنة والاختلاط.

2- في الديوان - 180 ط. بيروت: «... فإننا بخير... قد أتانا من عيشه...».

3- في الديوان - 180:

جلب الخيل من تهامة حتّى *** بلغت خيله(1) قصور زرنج

حيث لم تأت قبله خيل ذي الأكتاف يوجفن(2) بين قفّ و مرج عروضه من الخفيف. الشعر لعبيد الله بن قيس الرقيّات، والغناء ليونس الكاتب ماخوري بالبصرة، وفيه لمالك ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق.

ص: 83

1- في الديوان - 180: «وردت خيله» وزرنج: مدينة بسجستان.

2- في الديوان - 180: «يرجعن». و ذو الأكتاف: سابور بن هرمز قاتل العرب ونزع أكتاف من قتلهم.

خرج لمحاربة عبد الملك بن مروان

و هذا الشعر يقوله عبيد الله بن قيس لمصعب بن الزبير لما حشد للخروج عن الكوفة لمحاربة عبد الملك بن مروان.

استشارة عبد الملك بن مروان في المسير إلى العراق

و كان السبب في ذلك، فيما أجاز لنا الحرمي بن أبي العلاء روايته عنه، عن الزبير بن بكار، عن المدائني، قال:

لما كانت سنة اثنتين وسبعين، استشار عبد الملك بن مروان عبد الرحمن بن الحكم في المسير إلى العراق و مناجزة مصعب، فقال: يا أمير المؤمنين، قد واليت بين عامين تغزو فيهما و قد خسرت خيلك و رجالك، و عامك هذا عام حارد فأرح نفسك و رجلك (1) ثم ترى رأيك. فقال: إني أبادر ثلاثة أشياء، و هي أن الشام أرض بها المال قليل فأخاف أن ينفد ما عندي، و أشرف أهل العراق قد كاتبوني يدعونني إلى أنفسهم، و ثلاثة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم قد كبروا و نفدت أعمارهم، و أنا أبادر بهم الموت أحب أن يحضروا معي.

ثم دعا يحيى بن الحكم - و كان يقول: من أراد أمرا فليشاور يحيى بن الحكم فإذا أشار عليه بأمر فليعمل بخلافه. فقال: ما ترى في المسير إلى العراق؟ قال: أرى أن ترضى بالشام و تقيم بها و تدع مصعبا/بالعراق، فلعن الله العراق! فضحك عبد الملك.

و دعا عبد الله بن خالد بن أسيد فشاوره، فقال: يا أمير المؤمنين قد غزوت مرة فنصرك الله، ثم غزوت ثانية فزادك الله بها عزًا، فأقام عامك هذا.

فقال لمحمد بن مروان: ما ترى؟ قال: أرجو أن ينصرك الله أقم أم غزوت، فشمر فإن الله ناصرك. فأمر الناس فاستعدوا للمسير، فلما أجمع عليه قالت عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجته: يا أمير المؤمنين، وجه الجنود و أقم، فليس الرأي أن يباشر/الخليفة الحرب بنفسه، فقال: لو وجهت أهل الشام كلهم فعلم مصعب أنني لست معهم لهلك الجيش كله، ثم تمثل:

و مستخبر عتًا يريد بنا الردى *** و مستخبرات و العيون سواك

ثم قدم محمد بن مروان و معه عبد الله بن خالد بن أسيد و بشر بن مروان، و نادى مناديه: إن أمير المؤمنين قد استعمل عليكم سيّد الناس محمد بن مروان. و بلغ مصعب بن الزبير مسير عبد الملك، فأراد الخروج فأبى عليه أهل

البصرة وقالوا: عدونا مطلق علينا - يعنون الخوارج - فأرسل إليهم بالمهلب وهو بالموصل، وكان عامله عليها، فولاه قتال الخوارج، وخرج مصعب فقال بعض الشعراء:

أكل عام لك باجميرا *** تغزونا ولا تقيد خيرا(1)

القتال بينه وبين عبد الملك

قال: وكان مصعب كثيرا ما يخرج إلى باجميرا يريد الشام ثم يرجع، فأقبل عبد الملك حتى نزل الأخنونية(2) ونزل مصعب بمسكن إلى جنب أوانا(3) وخذق خندقا ثم تحوّل ونزل دير الجاثليق وهو بمسكن، وبين العسكرين ثلاثة فراسخ - ويقال فرسخان - فقدّم عبد الملك محمدا وبشرا أخويه وكل واحد منهما على جيش والأمير محمد، وقدّم مصعب إبراهيم بن الأشتر، ثم كتب عبد الملك إلى أشرف أهل الكوفة والبصرة، يدعوهم إلى نفسه ويمينهم، فأجابوه وشرطوا عليه شروطا، وسألوه ولايات، وسأله ولاية أصبهان أربعون رجلا منهم، فقال عبد الملك لمن حضره: ويحكم! ما أصبهان هذه! تعجبا ممن يطلبها(4)، وكتب إلى إبراهيم بن الأشتر: لك ولاية ما سقى الفرات إن تبعته، فجاؤا إبراهيم بالكتاب إلى مصعب فقال: هذا كتاب عبد الملك، ولم يخصصني بهذا دون غيري من نظرائي، ثم قال: فأطعني فيهم، قال: أصنع ما ذا؟ قال: تدعوهم/فتضرب أعناقهم. قال: أقتلهم على ظن ظننته! قال: فأوقرهم حديدا وابعث بهم إلى أرض المدائن(5) حتى تنقضي الحرب، قال: إذا تفسد قلوب عشائرتهم، ويقول الناس: عبث مصعب بأصحابه. قال: فإن لم تفعل فلا تمدني بهم فإنهم كالنومسة تريد كل يوم خليلا، وهم يريدون كل يوم أميرا.

أرسل عبد الملك إلى مصعب رجلا يدعوّه إلى أن يجعل الأمر شورى في الخلافة، فأبى مصعب، فقدّم عبد الملك أخاه محمدا ثم قال: اللهم انصر محمدا - ثلاثا - ثم قال: اللهم انصر أصلحنا وخيرنا لهذه الأمة. قال:

وقدّم مصعب إبراهيم بن الأشتر، فالتقت المقدمتان وبين عسكر مصعب وعسكر ابن الأشتر فرسخ، ودنا عبد الملك حتى قرب من عسكر محمد، فتناوشوا، فقتل رجل على مقدمة محمد/يقال له فراس، وقتل صاحب لواء بشر وكان يقال له أسيد، فأرسل محمد إلى عبد الملك أن بشرا قد ضيّع لواءه. فصرف(6) عبد الملك الأمر كله إلى محمد، وكفّ الناس وتواقفوا، وجعل أصحاب ابن الأشتر يهيمون بالحرب و محمد بن مروان يكف أصحابه، فأرسل عبد الملك إلى محمد: ناجزهم، فأبى، فأوفد(7) إليه رسولا آخر و شتمه، فأمر محمد رجلا فقال له: قف خلفي في ناس من أصحابك فلا تدعنّ أحدا يأتيني من قبل عبد الملك، وكان قد دبّر تدييرا سديدا في تأخير المناجزة إلى وقت رآه، فكره أن يفسد عبد الملك تدييره عليه، فوجّه إليه عبد الملك عبد الله بن خالد بن أسيد، فلما رآه أرسلوه إلى محمد بن مروان: هذا عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال: ردّوه بأشدّ ممّا رددتم من جاء قبله، فلما قرب المساء أمر

ص: 85

1- باجميرا: موضع في أرض الموصل. ذكره ياقوت في 1: 454، وأورد البيت وعزاه لأبي جهم الكناني.

2- في معجم البلدان: الأخنونية: موضع من أعمال بغداد.

3- في معجم البلدان: أوانا: بليدة كثيرة البساتين والشجر نزهة، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ.

4- ف: «تعجبا من كثرة من يطلبها».

5- الطبري 7: 185: ط الحسينية: «أبيض كسرى». وفي ف: «أبيض المدائن».

6- ف: «فصير عبد الملك الأمر كله إلى محمد».

7- ف: «فرد عليه رسولا آخر».

محمد بن مروان أصحابه بالحرب، وقال: حرّكوهم قليلا، فتهايج الناس، ووجه مصعب عتاب(1) بن ورقاء الرياحي يعجز إبراهيم، فقال له: قد قلت له: لا تمدني بأحد من أهل العراق فلم يقبل، واقتلوا، وأرسل إبراهيم بن الأشتر إلى أصحابه - بحضرة الرسول ليرى خلاف أهل العراق عليه في رأيه - ألا- تنصرفوا عن الحرب حتى ينصرف أهل الشام عنكم، فقالوا: ولم لا ننصرف؟ فانصرفوا وانهزم الناس حتى أتوا مصعبا. وصبر إبراهيم بن الأشتر فقاتل حتى قتل، فلما أصبحوا أمر محمد بن مروان رجلا فقال: انطلق إلى عسكر مصعب فانظر كيف تراهم بعد قتل ابن الأشتر، قال: لا أعرف موضع عسكرهم، فقال له إبراهيم بن عدي الكناني: انطلق فإذا رأيت النخل فاجعله منك موضع سيفك، فمضى الرجل حتى أتى عسكر مصعب، ثم رجع إلى محمد فقال: رأيتهم منكسرين. وأصبح مصعب فدنا منه، ودنا محمد بن مروان حتى التقوا، فترك قوم من أصحاب مصعب مصعبا وأتوا محمد بن مروان، فدنا إلى مصعب ثم ناداه: فداك أبي وأمي، إن القوم خاذلوك و لك الأمان، فأبى قبول ذلك، فدعا محمد بن مروان ابنه عيسى بن مصعب، فقال له أبوه: انظر ما يريد محمد، فدنا منه فقال له: إنني لكم ناصح؛ إن القوم خاذلوكم و لك و لأبيك الأمان، و ناشده. فرجع إلى أبيه فأخبره، فقال: إنني أظن القوم سيفون، فإن أحببت أن تأتيهم فأتهم، فقال: و الله لا تتحدث نساء قريش أني خذلتك و رغبت بنفسي عنك، قال: فتقدم حتى احتسبك، فتقدم و تقدم ناس معه فقتل و قتلوا، و ترك أهل العراق مصعبا حتى بقي في سبعة. و جاء رجل من أهل الشام ليحترز رأس عيسى، فشد عليه مصعب فقتله، ثم شد على الناس فانفجروا، ثم رجع فقعد على مرفقة ديباج، ثم جعل يقوم عنها و يحمل على أهل الشام فيفرون عنه، ثم رجع فيقعد على المرفقة، حتى فعل ذلك مرارا، و أتاه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فدعاه إلى المبارزة، فقال له: اعزب يا كلب، و شد عليه مصعب فضربه على البيضة فهشمها و جرحه، فرجع عبيد الله فعصّب رأسه، و جاء ابن أبي فروة كاتب مصعب فقال له: جعلت فداك، قد تركك القوم و عندي خيل مضمرّة فاركبها و انج بنفسك، فدفع في صدره و قال: ليس أخوك بالعبد.

مقتل مصعب

و رجع ابن ظبيان إلى مصعب، فحمل عليه، و زرق(2) زائدة بن قدامة مصعبا و نادى: يا لثارات المختار! فصرعه، و قال عبيد الله لغلّام له(3): احتز رأسه، فنزل فاحتز رأسه، فحمله إلى عبد الملك، فيقال: إنه لما وضعه بين يديه سجد. قال ابن ظبيان: فهتمت و الله أن أقتله فأكون أفتك العرب، قتلت ملكين من قريش في يوم واحد، ثم وجدت نفس تنازعني إلى الحياة فأمسكت.

قال: و قال يزيد بن الرّقاع العامليّ أخو عديّ بن الرّقاع و كان شاعر أهل الشام:

نحن قتلنا ابن الحواريّ مصعبا *** أخوا أسد و المذحجيّ اليمانيا

يعني ابن الأشتر، قال:

و مرّت عقاب الموت منا بمسلم *** فأهوت له ظفرا(4) فأصبح ثاويا

ص: 86

1- ف: «ووجه مصعب إبراهيم بن عتاب بن ورقة».

2- زرقة: رماه بالمزراق. و في ف: «و زرق ابن زائدة بن قدامة مصعبا».

3- مم: «لغلّام له ديلمى».

4- ب، مد: «فأهوت له طير». و في الطبري 187:7 ط الحسينية: «فأهوت له نابا».

قال الزبير: و يروى هذا الشعر للبعيث اليشكريّ، و مسلم الذي عناه هو مسلم بن عمرو الباهلي.

مقتل مسلم بن عمرو الباهلي

حدثنا محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدثنا محمد بن الحكم، عن عوانة، قال:

كان مسلم بن عمرو الباهليّ على ميسرة إبراهيم بن الأشتر، فطعن و سقط فارتث (1)، فلما قتل مصعب أرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية أن يطلب له الأمان من عبد الملك، فأرسل إليه: ما تصنع بالأمان و أنت بالموت؟ قال:

ليسلم لي مالي و يأمن ولدي. قال: فحمل على سرير فأدخل على عبد الملك بن مروان، فقال عبد الملك لأهل الشام: هذا أكفر الناس لمعروف، ويحك أكفرت معروف يزيد بن معاوية عندك؟ فقال له خالد: توّمنه يا أمير المؤمنين، فأمنه، ثم حمل فلم يبرح الصّحن حتى مات، فقال الشاعر:

نحن قتلنا ابن الحواريّ مصعبا *** أخوا أسد و المذحجيّ اليمانيا

/حدثنا محمد بن العباس، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائنيّ، قال:

قال رجل لعبيد الله بن زياد بن ظبيان: بما ذا تحتجّ عند الله عز و جل من قتلك لمصعب؟ قال: إن تركت أحتجّ رجوت أن أكون أخطب من صعصعة بن صوحان.

مصعب و سكينه بنت الحسين

و قال مصعب الزبيريّ في خبره: قال الماجشون:

فلما كان يوم قتل مصعب دخل إلى سكينه بنت الحسين عليهما السلام فنزع عنه ثيابه، و لبس غلالة (2) و توشح بثوب، و أخذ سيفه، فعلمت سكينه أنه لا يريد أن يرجع فصاحت من خلفه: وا حزناه (3) عليك يا مصعب، فالتفت إليها و قد كانت تخفي ما في قلبها منه، أو كلّ هذا لي في قلبك! فقالت: إي و الله، و ما كنت أخفي أكثر، فقال:

لو كنت أعلم أن هذا كله لي عندك لكنت لي و لك حال، ثم خرج و لم يرجع.

قال مصعب: و حدثني مصعب بن عثمان: أن مصعب بن الزبير لما قدمت عليه سكينه أعطى أباها عليّ بن الحسين عليهم السلام - و هو كان حملها إليه - أربعين ألف دينار.

قال مصعب: و حدثني معاوية بن بكر الباهليّ قال:

قالت سكينه: دخلت على مصعب و أنا أحسن من النار الموقدة. قال: و كانت قد ولدت منه بنتا، فقال لها:

سميها زبراء، فقالت: بل أسميها باسم بعض أمهاتي، فسمتها الرباب.

قال: فحدثني محمد بن سلام، عن شعيب بن صخر، عن أمه سعدة بنت عبد الله بن سالم، قالت:

لقيت سكينه بنت الحسين بين مكة و منى فقالت: قفي يا بنت عبد الله، ثم كشفت عن ابنتها فإذا هي قد أثقلتها

ص: 87

1- ارتث: حمل من المعركة جريحا وفيه رمق.

2- الغلالة: شعار يلبس تحت الثوب و تحت الدرع أيضا.

3- ف: «وا حرباه عليك يا مصعب».

باللؤلؤ. فقالت: و الله ما ألبستها/إياه إلا لتفضحه، قال: فلما قتل مصعب ولي أمر ماله عروة بن الزبير، فزوّج(1) ابنه عثمان بن عروة ابنة أخيه من سكيّنة وهي صغيرة فماتت قبل أن تبلغ، فورث عثمان بن عروة منها عشرة آلاف دينار.

قال: و لما دخلت سكيّنة الكوفة بعد قتل مصعب خطبها عبد الملك فقالت: و الله لا يتزوجني بعده قاتله أبداً.

و تزوجت عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، و دخلت بينها و بينه رملة بنت الزبير أخت مصعب حتى تزوجها خوفاً من أن تصير إلى عبد الملك، فولدت منه ابناً فسمته عثمان - و هو الذي يلقّب بقرين - و رييحة ابني عبد الله بن عثمان، فتزوج رييحة العباس بن الوليد بن عبد الملك.

عبيد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعباً

إشارة

ثم مات عبد الله بن عثمان عنها فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان، فقال عبيد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعباً:

صوت

إن الرّزيّة يوم مس *** كن(2) و المصيبة و الفجيعة

يا ابن الحواريّ الذي *** لم يعده يوم الوقيعه

غدرت به مضر العرا *** ق و أمكنت منه ربيعة(3)

تالله(4) لو كانت له *** بالدير يوم الدير شيعة

لوجدتموه حين يد *** لج لا يعرّس(5) بالمضيعة

غدّاه يونس الكاتب من كتابه، و لحنه خفيف رمل بالوسطى، و فيه لموسى/شهوات خفيف رمل بالبنصر عن حبش، و قيل: بل هو هذا اللحن، و غلط من نسبه إلى موسى.

و قال عدّي بن الرّقاع العامليّ يذكر مقتله:

لعمري لقد أصحرت(6) خيلنا *** بأكناف دجلة للمصعب

يهزّون كلّ طويل القنا *** معتدل النّصل و الثّعلب(7)

فداؤك أمّي و أبناؤها *** و إن شئت زدت عليهم(8) أبي

- 1-ب: «فزوج ابنه عثمان بن عروة منها بعشرة آلاف دينار».
- 2- مسكن «بكسر الكاف»: موضع على نهر دجيل عند دير الجاثليق به قبر مصعب. «معجم البلدان».
- 3- في معجم البلدان بعد هذا البيت: وأصبت و ترك يا رب يع و كنت سامعا مطيعا
- 4- في معجم البلدان: يا لهف لو كانت لها... و جاء بعده: أو لم يخونوا عهدہ أهل العراق بنو اللكيعة
- 5- عرس المسافر: نزل آخر الليل للراحة.
- 6- أصحرت: برزت في الصحراء.
- 7- الثعلب هنا: طرف الرمح في أسفل السنان.
- 8- ف: «زدت عليها».

و ما قتلها رهبة إنما *** يحلّ العقاب على المذنب

إذا شئت دافعت مستقتلا(1) *** أراحم كالجمل الأجر

فمن يك منّا بيت آمننا *** و من يك من غيرنا يهرب

غناه معبد من رواية إسحاق ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى.

ابن قيس يرثي مصعبا

و قال ابن قيس يرثي مصعبا:

لقد أوث المصيرين خزيا و ذلة *** قتيل بدير الجاثليق مقيم

فما قاتلت في الله بكر بن وائل *** و لا صبرت عند اللقاء تميم

و لكنه رام القيام و لم يكن *** لها مضرّي يوم ذاك كريم

مصعب يسأل عن قتل الحسين

قال الزبير: و كان مصعب لما قدم الكوفة يسأل عن الحسين بن عليّ عليهما السلام و عن قتله، فجعل عروة بن المغيرة يحدثه عن ذلك، فقال متمثلاً بقول سليمان بن قتّة:

فإنّ الألى بالطفّ من آل هاشم *** تأسوا فسوّوا للكرام التأسيا

/قال عروة: فعلمت أن مصعبا لا يفترّ أبدا.

الحجاج يتأسى بموقف مصعب

قال الزبير: و قال أبو الحكم بن خلاد بن قرّة السدوسيّ: حدثني أبي، قال:

لما كان يوم السّبخة حين عسكر الحجاج بإزاء شبيب الشاريّ قال له الناس: لو تنحّيت أيها الأمير عن هذه السّبخة؟ فقال لهم: ما تنحّوني - و الله - إليه أنتن، و هل ترك مصعب لكريم مفرّا؟ ثم تمثّل قول الكلحبة:

إذا المرء لم يغش المكاره أو شكت *** حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا

خطبة عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب

قال الزبير: و حدّثني المدائنيّ، عن عوانة و الشّرقيّ بن القطاميّ، عن أبي جناب، قال: حدّثني شيخ من أهل مكة، قال:

لما أتى عبد الله بن الزبير قتل مصعب أضرب عن ذكره أياما حتى تحدثت به إماء مكة في الطريق، ثم صعد المنبر فجلس عليه مليّا لا

يتكلم، فنظرت إليه و الكآبة على وجهه، و جبينه يرشح عرقا، فقلت لآخر إلى جنبي: ما له لا- يتكلم؟ أ تراه يهاب المنطق؟ فوالله إنه لخطيب، فما تراه يهاب؟ قال: أراه يريد أن يذكر قتل مصعب سيّد العرب فهو يفضع لذكره، و غير ملوم(2) فقال: الحمد لله الذي له الخلق و الأمر و مالك الدنيا و الآخرة، يعزّ من يشاء و يذلّ

ص: 89

1- ف، المختار: «نازلت مستقبلا».

2- ب: «و هو بفضيح ما تذكره غير ملوم».

من يشاء، ألا إنه لم يذلّ والله من كان الحق معه وإن كان مفردا ضعيفا، ولم يعزّ من كان الباطل معه، وإن كان في العدة والعدد والكثرة، ثم قال: إنه قد أتانا خبر من العراق بلد الغدر والشقاق فساءنا وسرّنا، أتانا أن مصعبا قتل رحمة الله عليه و مغفرته، فأما الذي أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصيبة، ثم يرعوي من بعد ذو الرأي والدين إلى جميل الصبر. وأما الذي سرّنا منه فإننا قد علمنا أن قتله شهادة له وأن الله عز وجل جاعل لنا وله ذلك خيرة إن شاء الله تعالى. إن أهل العراق أسلموه و باعوه بأقل ثمن كانوا يأخذونه منه وأخسره، أسلموه إسلام/التعم المخطم(1) فقتل، ولئن قتل لقد قتل أبوه وعمّه وأخوه وكانوا الخيار الصالحين، إنا والله ما نموت حتف أنوفنا، ما نموت إلا قتلا، قعصا بين قصد(2) الرماح و تحت ظلال السيوف وليس كما يموت بنو مروان، والله ما قتل رجل منهم في جاهلية ولا إسلام قط، وإنما الدنيا عارية من الملك القهار، الذي لا يزول سلطانه، ولا يبدي ملكه، فإن تقبل الدنيا عليّ لا آخذها أخذ الأشر البطر، وإن تدبر عني لا أبك عليها بكاء الخرف المهتر. ثم نزل.

رجل من بني أسد يرثي مصعبا

وقال رجل من بني أسد بن عبد العزّي يرثي مصعبا:

لعمرك إن الموت منا لمولع *** بكلّ فتى رحب الذراع أريب

فإن يك أمسى مصعب نال حتفه *** لقد كان صلب العود غير هيوب(3)

جميل المحيّا يوهن القرن غربه *** وإن عضّه دهر فغير رهوب

أتاه حمام الموت وسط جنوده *** فطاروا شلالا(4) واستقى بذنوب

و لو صبروا نالوا حبا(5) و كرامة *** و لكنهم ولّوا بغير قلوب

كان مصعب أشجع الناس

قال: وقال عبد الملك يوما لجلسائه: من أشجع الناس؟ فأكثرنا في هذا المعنى، فقال: أشجع الناس مصعب بن الزبير، جمع بين عائشة بنت طلحة و سكينه بنت الحسين و أمة(6) الحميد بنت عبد الله بن عاصم، و ولي العراقين، ثم زحف إلى الحرب، فبذلت له الأمان/و الحباء و الولاية و العفو عمّا خلص في يده، فأبى قبول ذلك، و أطرح كل/ما كان مشغوف(7) به من ماله و أهله وراء ظهره، و أقبل بسيفه قرما(8) يقاتل و ما بقي معه إلا سبعة نفر حتى قتل كريما.

ص: 90

1- المخطم: الذي جعل الخطام على أنفه ليعتاد به.

2- قصد الرماح جمع قصدة؛ وهي القطعة منه بعد كسرها.

3- ف: جميل المحيّا يوهن القرن عزمه و إن عزه دهر فغير هيوب و إن يك أمسى مصعب نال حتفه لقد كان صلب العود غير رهوب

4- فطاروا شلالا: فروا متفرقين.

5- الحبا: جمع حبة، وهي العطية.

6- ف: «وأمة الحميد...».

7- ف: «ما كان مشغولاً به من ماله».

8- ف، مد: «وأقبل بسيفه قدماً».. وقرم: شديد الرغبة، من قرم اللحم وإليه: اشتدت شهوته إليه فهو قرم.

ابن قيس الرقيات يمدح مصعبا

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدّثنا عمر بن شبة، قال:

لَمَّا ولى مصعب بن الزبير العراق أقرّ عبد العزيز بن عبد الله بن عامر على سجستان و أمده بخيل، فقال ابن قيس الرقيات:

ليت شعري أوّل الهرج هذا *** أم زمان من فتنة غير هرج؟

إن يعيش مصعب فنحن بخير *** قد أتانا من عيشنا ما نرجي

أعطي التّصر و المهابة في *** الأعداء حتى أتوه من كل فجّ

حيث لم تأت قبله خيل ذي *** الأكتاف يوجفن بين قفّ و مرج

ملك يطعم الطّعام و يسقي *** لبن البخت في عساس الخلنج

قال الزبير: حدّثني عمّي مصعب: أن عبيد الله بن قيس كان عند عبد الملك، فأقبل غلمان له معهم عساس خلنج فيها لبن البخت، فقال عبد

الملك: يا بن قيس، أين هذا من عساس مصعب التي تقول فيها:

ملك يطعم الطّعام و يسقي *** لبن البخت في عساس الخلنج؟

فقال: لا أين يا أمير المؤمنين، لو طرحت عساسك هذه في عسّ من عساس مصعب لوسعها و تغلغلت في جوفه، فضحك عبد الملك ثم

قال: قاتلك الله يا بن قيس، فإنك تأبى إلا كرما و وفاء.

قصة يونس الكاتب و الوليد بن يزيد

إشارة

حدّثني عمّي، قال: حدّثني أحمد بن الطيب، قال: قال لي أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود:

خرج يونس الكاتب من المدينة يريد الشام بتجارة، فبلغ الوليد بن يزيد مكانه فأتته رسله و هو في الخان، و ذلك في خلافة هشام، و الوليد

يومئذ أمير، فقالوا له: أجب الأمير، قال: فذهبت معهم، فأدخلوني عليه و لا أدري من هو إلا أنه حسن الوجه نبيل، فسلمت عليه، فأمرني

بالجلوس فجلست، و دعا بالشراب و الجواري، فكنا يومنا و ليلتنا في أمر عجيب، و غنيته فأعجبه غنائي، و كان ممّا أعجبه:

ليت شعري أوّل الهرج هذا *** أم زمان من فتنة غير هرج؟

فلم يزل يستعيده إلى الصبح، ثم اصطحب عليه ثلاثة أيام، فقلت: أيها الأمير، أنا رجل تاجر قدمت هذا البلد في تجارة لي، و قد ضاعت،

فقال: تخرج غدا غدوة و قد ربحت أكثر من تجارتك. و تمّم شربه، فلما أردت الانصراف لحقني غلام من غلمانه بثلاثة آلاف دينار،

فأخذتها و مضيت، فلما أفضت الخلافة إليه أتيته، فلم أزل مقيما عنده حتى قتل.

قال أحمد بن الطيب - وذكر مصعب الزبيري - أن يونس قال:

كنت أشرب مع أصحاب لي فأردت أن أبول، فقممت و جلست أبول على كتيب رمل، فخطر ببالي قول ابن قيس:

ليت شعري أول الهرج هذا

ص: 91

فغنيت فيه لحنا استحسنته و جاء عجباً من العجب، فألقيته على جاريتي عاتكة، وردّته حتى أخذته، وشاع لي في الناس (1)، فكان أول صوت شاع لي و ارتفع به قدرتي وقرنت بالفحول من المغنّين، و عاشرت الخلفاء من أجله، وأكسبني مالا جليلا.

صوت

ألا ناد جيراننا (2) يقصدوا *** فنقضى اللبّانة أو نعهد

كأنّ على كبدي جمرة (3) *** حذارا من البين ما تبرد

الشعر لكثير، و الغناء لأشعب المعروف بالطمع (4)، ثاني ثقيل بالوسطى، وفي البيت الثاني لابن جامع لحن من الثقيل الأول بالبنصر عن حبش.

ص: 92

1- ف: «وشاع في الدنيا».

2- ب: «أنادي لجيراننا».

3- ب: «كأن على كبدي قرحة».

4- ف: «لأشعب الطامع».

هو أشعب بن جبير، واسمه شعيب، وكنيته أبو العلاء، كان يقال لأمه: أم الخلدج، وقيل: بل أم جميل، وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر و اسمها حميدة(1). وكان أبوه خرج مع المختار بن أبي عبيدة(2)، وأسرته مصعب فضرب عنقه صبوا، وقال: تخرج عليّ وأنت مولاي؟ و نشأ أشعب بالمدينة في دور(3) آل أبي طالب، وتولت تربيته وكفلته عائشة بنت عثمان بن عفان.

و حكى عنه أنه حكى عن أمه أنها كانت تغري بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وأنها زنت فحلقت و طيف بها، وكانت تنادي على نفسها: من رأني فلا يزني(4)، فقالت لها امرأة كانت تطلع عليها: يا فاعلة، نهانا الله عز وجل عنه فعصينا، أو نطيعك وأنت مجلودة محلوقة راكبة على جمل!

أمه كانت مستظرفة من زوجات النبي

و ذكر رضوان بن أحمد الصّيدلانيّ فيما أجاز لي روايته عنه، عن يوسف بن الداية، عن إبراهيم بن المهدي:

أن عبيدة بن أشعب أخبره - وقد سأله عن أولهم وأصلهم - أن أباه وجدّه كانا موليين عثمان، وأن أمه كانت مولاة لأبي سفيان بن حرب، و أن ميمونة أم المؤمنين أخذتها معها لما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم، فكانت تدخل إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فيستظرفنها، ثم إنها فارقت ذلك وصارت تنقل أحاديث بعضهن إلى بعض وتغري بينهن، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليها فماتت.

و ذكروا أنه كان مع عثمان - رضي الله عنه - في الدار، فلما حصر جرّد مماليكه السيوف ليقاتلوا، فقال لهم عثمان: من أغمد سيفه فهو حرّ، قال أشعب: فلما وقعت والله في أذني كنت أول من أغمد سيفه، فأعتقت.

سنّ أشعب

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدّثني إسحاق الموصليّ، قال:

حدّثني الفضل بن الربيع، قال:

ص: 93

1- ف، و التجريد: «أم الجلندج، وقيل: بل أم حميد». وفي تاريخ بغداد 7:37: أم حميدة بضم الحاء و بفتحها، وقيل: إن أمه جعدة مولاة اسماء بنت أبي بكر الصديق.

2- ف، مي: «عبيد».

3- ب: «في ديوان آل أبي طالب».

4- ف: «فلا يزني».

كان أشعب عند أبي سنة أربع وخمسين و مائة، ثم خرج إلى المدينة فلم يلبث أن جاء نعيه. و هو أشعب بن جبير، و كان أبوه مولى لآل الزبير، فخرج مع المختار، فقتله مصعب صبرا مع من قتل.

أخبرني الجوهرى، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا أحمد بن إسماعيل اليزيدي، قال: حدثني التوزي، عن الأصمعي، قال:

قال أشعب: نشأت أنا و أبو الزناد في حجر عائشة بنت عثمان، فلم يزل يعلو و أسفل حتى بلغنا هذه المنزلة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال:

حدثنا عبيد الله (1) بن الحسن والي المأمون على المدينة، قال:

حدثني محمد بن عثمان بن عفان قال: قلت لأشعب: لي إليك حاجة، فحلف بالطلاق لابنة وردان (2):

لا سألته حاجة إلا قضائها، فقلت له: أخبرني عن سنك، فاشتد ذلك عليه حتى ظننت أنه سيطلق، فقلت له: على رسلك، و حلفت له إنني لا أذكر سنه ما دام حيًا، فقال لي: أمّا إذ فعلت فقد هونت عليّ، أنا و الله حيث حصر جدك عثمان بن عفان، أسعى في الدار ألتقط السهام. قال الزبير: و أدركه أبي.

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني محمد بن عبد الله اليعقوبي، عن الهيثم بن عدي، قال:

قال أشعب: كنت ألتقط السهام من دار عثمان يوم حوصر، و كنت في شببيتي ألحق الحمر الوحشية عدوا.

أمه يطاف بها بعد أن بغت

أخبرني أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا عبد الرحمن بن الجهم أبو مسلم و أحمد بن إسماعيل، قالوا: أخبرنا المدائني، قال:

كان أشعب الطامع (3) - و اسمه شعيب - مولى لآل الزبير من قبل أبيه، و كانت أمه مولاة لعائشة بنت عثمان بن عفان؛ و كانت بغت (4) فضربت و حلفت و طيف بها و هي تنادي: من رأني فلا يزني، فأشرفت عليها امرأة فقالت:

يا فاعلة، نهانا الله عز و جل عن الزنا فعصيناها، و لسنا ندعه لقولك و أنت محلوفة مضروبة يطاف بك.

أخبرني أحمد، قال: حدثنا أحمد بن مهرويه، قال: كتب إليّ ابن أبي خيثمة يخبرني أن مصعب بن عبد الله أخبره، قال:

اسم أشعب شعيب، و يكنى أبا العلاء، و لكنّ الناس قالوا أشعب فبقيت عليه، و هو شعيب بن جبير مولى آل الزبير، و هم يزعمون اليوم أنهم من العرب، فزعم أشعب أن أمه كانت تغري بين أزواج النبي صلّى الله عليه و سلّم و رحمهم، و امرأة أشعب بنت وردان، و وردان الذي بني قبر النبي صلّى الله عليه و سلّم حين بني عمر بن العزيز المسجد.

- 1- ف: «عبد الله بن الحسن».
- 2- ف: «فحلف بطلاق بنت وردان».
- 3- ب: «الطمع». وفي مد: «كثير الطمع».
- 4- ف: «وكانت تعيث فحلفت وضربت و حملت على جمل و طيف بها».

إشارة

أخبرني أحمد قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال: وكتب إليّ ابن أبي خيثمة يخبرني أنّ مصعب بن عبد الله أخبره، قال:

كان أشعب من القراء للقرآن، وكان قد نسك وغزا، وكان حسن الصوت بالقرآن، وربما صلّى بهم القيام.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال: حدّثني أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، قال:

/كان أشعب مع ملاحته و نوادره يغني أصواتا فيجيدها، وفيه يقول عبد الله بن مصعب الزبيريّ :

صوت

إذا تمزّزت صراحية (1) *** كمثل ريح المسك أو أطيب

ثم تغنى لي بأهزاجه *** زيد أخو الأنصار أو أشعب

حسبت أنّي ملك جالس *** حفّت به الأملاك و الموكب

و ما أبالي وإله الورى *** أشرقّ العالم أم غربوا

غنى في هذه الأبيات زيد الأنصاريّ خفيف رمل بالبنصر.

وقد روى أشعب الحديث عن جماعة من الصحابة:

أخبرني عمي، قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد أن الربيع بن ثعلب حدّثهم، قال: حدّثني أبو البحري:

حدّثني أشعب، عن عبد الله بن جعفر، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لو دعيت إلى ذراع لأجبت، ولو أهدي إليّ كراع لقبلت».

أشعب و سالم بن عبد الله

قال ابن أبي سعد، و روي عن محمد بن عباد بن موسى، عن عتاب بن إبراهيم (2)، عن أشعب الطامع - قال عتاب: وإنما حملت هذا الحديث عنه لأنه عليه - قال: دخلت إلى سالم بن عبد الله بستانا له (3) فأشرف عليّ و قال:

يا أشعب، و يلك لا- تسأل، فإني سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «ليأتين أقوام يوم القيامة ما في وجوههم/مزعة لحم (4)، قد أخلقوها بالمسألة».

و يروى عن يزيد بن موهب الرمليّ (5)، عن عثمان بن محمد، عن أشعب، عن عبد الله بن جعفر: أن النبي صلّى الله عليه وسلّم تختم في

-
- 1- تمزج الشراب: تمصصه. و الصراحية: آنية الخمر و المراد الخمر.
 - 2- ف: «عباد بن إبراهيم».
 - 3- ف: «بيتا له».
 - 4- المزعة: القطعة من اللحم وغيرها.
 - 5- ب: «يزيد بن وهب المؤملي».

أخبرني أحمد، قال: حدّثني عمر بن شبة، قال: حدّثني الأصمعيّ، عن أشعب، قال: استشهدني ابن لسالم بن عبد الله بن عمر غناء الرّكبان بحضرة أبيه سالم فأشدته، ورأس أبيه سالم في بتّ (1) فلم ينكر ذلك.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني أبو مسلم، عن عبد الرحمن بن الحكم (2)، عن المدائني، قال: دفعت عائشة بنت عثمان أشعب في البرّازين فقالت له بعد حول:

أتوجّهت لشيء؟ قال: نعم، تعلمت نصف العمل وبقي نصفه، قالت: وما تعلمت؟ قال: تعلمت النشر وبقي الطيّ.

أشعب يدعو الله أن يذهب عنه الحرص ثم يستقبل ربه

قال المدائنيّ: وقال أشعب: تعلقت بأستار الكعبة فقلت: اللهم أذهب عني الحرص و الطلب إلى الناس، فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحد شيئاً، فجنّت إلى أمي فقالت: ما لك قد جنّت خائباً؟ فأخبرتها، فقالت:

لا- والله لا- تدخل حتى ترجع فتستقبل ربّك، فرجعت فقلت: يا رب أقلني، ثم رجعت، فلم أمر بمجلس لقريش وغيرهم إلا أعطوني و هب لي غلام، فجنّت إلى أمي بحمار موقر من كل شيء، فقالت: ما هذا الغلام؟ فخفت أن أخبرها بالقصة فتموت فرحاً، فقلت: وهبوا لي، قالت: أي شيء؟ قلت: غين، قالت: أي شيء غين؟ قلت: لام، قالت: وأي شيء لام؟ قلت: ألف، قالت: وأي شيء ألف؟ قلت: ميم، قال: وأي شيء ميم؟ قلت: غلام. فغشي عليها. ولو لم أقطع الحروف لماتت الفاسقة فرحاً.

أخبرني أحمد، قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال: حدّثني العباس بن ميمون، قال: سمعت الأصمعيّ، يقول:

سمعت أشعب يقول: سمعت الناس يموجون في أمر عثمان. قال الأصمعيّ: ثم أدرك المهديّ.

صفته

أخبرني أحمد، قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال: حدّثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق بن سعيد الرّبيعيّ (3)، قال: حدّثني هند بن حمدان (4) الأرقميّ المخزوميّ، قال: أخبرني أبي، قال: كان أشعب أزرق أحول أكشف أقرع (5).

قال: و سمعت الأرقميّ يقول: كان أشعب يقول: كنت أسقي الماء في فتنة عثمان بن عفان. والله أعلم.

أشعب و الدينار

أخبرني أحمد، قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال: حدّثنا عيسى بن موسى، قال: حدّثنا الأصمعيّ، قال:

أصاب أشعب دينارا بالمدينة، فاشترى به قطيفة، ثم خرج إلى قباء يعرّفها، ثم أقبل عليّ فيما أحسب - شك أبو يحيى - فقال: أتراها تعرّف.

ص: 96

1- البت: الطيلسان من خز ونحوه.

2- ف، مم: «أبو مسلم عبد الرحمن بن الجهم».

3-ب: «عبد الخالق بن سعيد الزيني».

4-ف: «هند بن حمران الأرقمي».

5-ف: «أفدع» و الأكشف: الذي انحسر مقدم شعر رأسه.

قال أحمد: وحدثناه أبو محمد بن سعد، قال: حدّثني أحمد بن معاوية بن بكر، قال: حدّثني الواقديّ، قال:

كنت مع أشعب نريد المصلّى، فوجد ديناراً، فقال لي: يا بن واقد، قلت: ما تشاء؟ قال: وجدت ديناراً فما أصنع به؟ قال: قلت: عرّفه، قال: أم العلاء إذا طالق، قال: قلت: فما تصنع به إذا؟ قال: أشتري به قطيفة أعرفها.

قال: وحدّثني محمد بن القاسم، قال: وحدّثني محمد بن عثمان (1) الكريزيّ، عن الأصمعيّ: أن أشعب وجد ديناراً فتخرّج من أخذه دون أن يعرّفه، فاشترى به قطيفة، ثم قام على باب المسجد الجامع فقال: من يتعرف الوبدة (2)؟.

أخبرني أحمد الجوهريّ، قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال: سألت العنزيّ، فقال: الوبد/من كل شيء:

الخلق؛ وبد الثوب وومد إذا أخلق.

أشعب يطرب الناس بغناؤه

أخبرنا أحمد، قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا عيسى بن موسى، قال: حدثنا الأصمعيّ، قال:

رأيت أشعب يعنّي و كأن صوته صوت بلبل.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن عبد الله في رفقة فيها ألف محمل، و كان ثمّ قاصّ يقصّ عليهم، فجنّت فأخذت في أغنية من الرقيق، فتركوه وأقبلوا إليّ، فجاء يشكوني إلى سالم فقال: إن هذا صرف وجوه الناس عني، قال: وأتيت سالماً - و أحسبه قال - و القاسم، فسألتهما بوجه الله العظيم، فأعطيني، و كانا يبغضانني أو أجدهما يبغضني في الله، قال: قلنا: لا تجعل هذا في الحديث، قال: بلى.

حدّثنا أحمد، قال: حدّثنا محمد بن القاسم، قال: و حدثناه قعنب بن محرز الباهليّ، قال: أخبرنا الأصمعيّ، عن أشعب، قال:

قدم علينا قاصّ كوفيّ يقصّ في رفقته، و فيها ألف بعير، فخرجنا و أحرمننا من الشّجرة بالتّليّة، فأقبل الناس إليّ و تركوه. قال: ابن أمّ حميد، فجاء إليّ عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، فقال: إنّ مولاك هذا قد ضيّق عليّ معيشتي.

أشعب و زياد بن عبد الله الحارثي

أخبرنا أحمد، قال: حدّثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجهم، عن المدائنيّ، قال:

تغدى أشعب مع زياد بن عبد الله الحارثيّ، فجاءوا بمضيرة (3)، فقال أشعب لخبّاز: ضعها بين يديّ، فوضعها بين يديه، فقال زياد: من يصلّي بأهل السّجن؟ قال: ليس لهم إمام، قال: أدخلوا أشعب يصلّي بهم، قال أشعب:

أو غير ذلك أصلح الله الأمير؟ قال: و ما هو؟ قال: أحلف ألاّ آكل مضيرة أبداً.

أخبرنا أحمد، قال: حدّثنا محمد بن القاسم، قال: حدّثني قعنب بن المحرز، قال: حدّثنا الأصمعيّ، قال:

- 1- ف: «محمد بن عمران الكريزي».
- 2- ف: «من يتعرف الومدة».
- 3- المضيرة عند العرب: طبخ اللحم باللبن البحت الصريح الذي قد حذى اللسان حتى ينضج اللحم و تخثر المضيرة.

اولى المنصور زياد بن عبد الله الحارثي مكة و المدينة، قال أشعب: فلقيته بالجحفة (1) فسلمت عليه، قال:

فحضر الغداء، و أهدي إليه جدّي فطبخه مضيرة، و حشيت القبة (2) قال: فأكلت أكلا- أتملّح به، و أنا أعرف صاحبي، ثم أتى بالقبة، فشققها، فصاح الطباخ: إنا لله! شقّ القبة، قال: فانقطعت، فلما فرغت قال: يا أشعب! هذا رمضان قد حضر، و لا بدّ أن تصلي بأهل السجن، قلت: و الله ما أحفظ من كتاب الله إلا ما أقيم به صلاتي، قال: لا بدّ منه، قال: قلت: أو لا آكل جديا مضيرة؟ قال: و ما أصنع به و هو في بطنك؟ قال: قلت: الطّريق بعيد أريد أن أرجع إلى المدينة، قال: يا غلام، هات ريشة ذنب ديك - قال أشعب: و الجحفة أطول بلاد الله ريشة ذنب ديك - قال:

فأدخلت في حلقي فتقيأت ما أكلت، ثم قال لي: ما رأيك؟ قال: قلت: لا أقيم ببلدة يصاح فيها: شقّ القبة، قال:

لك وظيفة على السلطان و أكره أن أكسرهما عليك، فقل و لا تشطط قال: قلت: نصف درهم كراء حمار يبلّغني المدينة، قال: أنصفت و أعطانيه.

من طرائف أشعب

أخبرنا أحمد، قال: حدّثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرني أبو مسلم، عن المدائني، قال:

أتى أشعب بفالوذجة عند بعض الولادة، فأكل منها، فقيل له: كيف تراها يا أشعب؟ قال: امرأته طالق إن لم تكن عملت قبل أن يوحى الله عز و جل إلى النحل.

أخبرنا أحمد، قال: حدّثنا محمد بن القاسم، قال: حدّثنا عبد الله بن شعيب الزبيري (3)، عن عمّه. قال أبو بكر: و حدّثني ابن أبي سعد، قال: حدّثني عبد الله بن شعيب (3) و هو أتمّ من هذا و أكثر كلاما، قال:

/جاء/ أشعب إلى أبي بكر بن يحيى من آل الزبير، فشكا إليه، فأمر له بصاع من تمر، و كانت حال أشعب ردّة، فقال له أبو بكر بن يحيى: ويحك يا أشعب! أنت في سنّك و شهرتك تجيء في هذه الحال فتضع نفسك فتعطي مثل هذا؟ اذهب فادخل الحمام فاخضب لحيتك، قال أشعب: ففعلت، ثم جئته فألبسني ثياب صوف له و قال: اذهب الآن فاطلب، قال: فذهبت إلى هشام بن الوليد صاحب البغلة من آل أبي ربيعة، و كان رجلا شريفا موسرا، فشكا إليه فأمر له بعشرين دينارا، فقبضها أشعب و خرج إلى المسجد، و طفق كلما جلس في حلقة يقول:

أبو بكر بن يحيى، جزاه الله عني خيرا، أعرف الناس بمسألة، فعل بي و فعل، فيقص قصته، فبلغ ذلك أبا بكر فقال: يا عدوّ نفسه! فضحتني في الناس، أفكان هذا جزائي!.

أخبرنا أحمد، قال: قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال: أخبرني محمد بن الحسين بن عبد الحميد، قال:

حدّثني شيخ أنه نظر إلى أشعب بموضع يقال له الفرع (4) يبكي و قد خضب بالحناء، فقالوا: يا شيخ ما يبكيك؟ قال: لغربة هذا الجناح، و كان على دار واحدة ليس بالفرع غيره.

أخبرنا أحمد، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: أخبرني محمد بن الحسين، قال: حدّثني أبي، قال:

-
- 1- الجحفة: قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل. وفي ب: «بالمحفة» تحريف.
 - 2- القبة: هنة ذات أطباق متصلة بالكرش.
 - 3- ف: «عبد الله بن مصعب الزبيري».
 - 4- الفرع: قرية من نواحي الربذة بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة.

نظرت إلى أشعب يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وهو يدعو ويتضرع، قال: فأدمت نظري إليه، فكلما أدمت النظر إليه كَلَّح وبتَّ أصابعه في يده بحدائي حتى هربت فسألت عنه فقالوا: هذا أشعب.

أخبرني أحمد، قال: حدَّثني محمد بن القاسم، قال: حدَّثني محمد بن الحسين، قال: حدَّثني إسحاق بن إبراهيم بن عجلان الفهري، قال:

/إن أشعب مرَّ برشٍّ قد رشَّ من الليل في بعض نواحي المدينة فقال: كأن هذا الرش كساء برنكاني (1) فلما توسطه قال: أظنني والله قد صدقت، وجلس يلمس الأرض.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدَّثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا بعض المدنيين، قال:

كان لأشعب خرق في بابه، فينام ويخرج يده من الخرق ويطمع أن يجيء إنسان فيطرح في يده شيئاً؛ من الطمع.

أخبرني أحمد، قال: حدَّثني محمد بن القاسم، قال: حدَّثنا الزبير، قال: حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري، قال:

صلى أشعب يوماً إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان، وكان مروان عظيم الخلق والعجيزة، فأفلتت منه ريح عند نهوضه، لها صوت، فانصرف أشعب من الصلاة، فوهم الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح، فلما انصرف مروان إلى منزله جاءه أشعب فقال له: الدية، فقال: دية ما ذا؟ فقال: دية الضرطة التي تحمّلتها عنك، والله وإلا شهّرتك، فلم يدعه حتى أخذ منه شيئاً صالحاً.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدَّثني إبراهيم بن الجنيد، قال: حدَّثني سوار بن عبد الله (2)، قال: حدَّثني مهدي (3) بن سليمان المنقري مولى لهم، عن أشعب، قال:

دخلت على القاسم بن محمد وكان يبغضني في الله وأحبّه فيه، فقال: ما أدخلك عليّ؟ أخرج عني، فقلت:

أسألك بالله لما جدت (4) عدقا، قال: يا غلام، جدّ له عدقا، فإنه سأل بمسألة لا يفلح من ردّها أبداً.

/أخبرنا أحمد، قال: حدَّثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا الرياشي، قال: حدَّثني أبو سلمة أيوب بن عمر، عن المحرزي، وهو أيوب بن عباية أبو سليمان، قال:

كان لأشعب عليّ في كل سنة دينار، قال: فأتاني يوماً ببطحان (5) فقال: عجّل لي ذلك الدينار، ثم قال: لقد رأيتني أخرج من بيتي فلا أرجع شهراً مما أخذ من هذا وهذا وهذا.

ص: 99

1- البرنكانيّ: كساء من صوف.

2- ب: «سوار بن عبد».

3- ب: «معدّي بن سليمان».

4- جدت: قطعت.

5- بطحان: واد بالمدينة وهو أحد أوديتها الثلاثة، وهي العقيق وبطحان وقناة.

أخبرنا أحمد، قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال: حدّثني عليّ بن محمد النوفليّ، قال: سمعت أبي يحكي عن بعض المدنيين، قال:

كبر أشعب فملّه الناس وبرد عندهم، ونشأ ابنه فتغنى وبكى وأندر(1)، فاشتهدى الناس ذلك، فأخصب وأجدب أبوه، فدعاه يوماً وجلس هو وعجوزه، وجاء ابنه وامرأته فقال له: بلغني أنك قد تغنيت وأندرت و حظيت(2)، وأن الناس قد مالوا إليك فهلهم حتى أخايرك(3)، قال: نعم، فتغنى أشعب فإذا هو قد انقطع وأرعد، وتغنى ابنه فإذا هو حسن الصوت مطرب، وانكسر أشعب ثم أندر فكان الأمر كذلك، ثم خطبا فكان الأمر كذلك، فاحترق أشعب فقام فألقى ثيابه، ثم قال: نعم، فمن أين لك مثل خلقي؟ من لك بمثل حديثي؟ قال: وانكسر الفتى، فنعرت(4) العجوز و من معها عليه.

حديثه عن وفاة بنت الحسين بن علي

أخبرني أحمد، قال: حدّثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد، قال: حدّثني عليّ بن الحسين(5) بن هارون، قال: حدّثني محمد بن عباد بن موسى، قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن جعفر بن سليمان وكان جارنا هنا، قال:

حدّثني محمد بن حرب الهلاليّ - وكان على شرطة محمد بن سليمان - قال:

دخلت على جعفر بن سليمان وعنده أشعب يحدثه قال:

كانت بنت حسين بن عليّ عند عائشة بنت عثمان تربيها حتى صارت امرأة، وحج الخليفة فلم يبق في المدينة خلق من قريش إلا وافى الخليفة إلا من لا يصلح لشيء، فماتت بنت حسين بن عليّ، فأرسلت عائشة إلى محمد بن عمرو بن حزم وهو والي المدينة، وكان عفيفاً حديداً(6) عظيم اللحية، له جارية موكّلة بلحيته إذا اتزر لا ياتزر عليها، وكان إذا جلس للناس جمعها ثم أدخلها تحت فخذة. فأرسلت عائشة: يا أخي قد ترى ما دخل عليّ من المصيبة بابنتي، وغيبة(7) أهلي وأهلها، وأنت الوالي، فأما ما يكفي النساء من النساء فأنا أكفيك بيدي وعيني، وأما ما يكفي الرجال من الرجال فأكفني، مر بالأسواق أن ترفع، وأمر بتجويد عمل نعشها، ولا يحملها إلا الفقهاء الألباء من قريش بالوقار والسكينة، وقم على قبرها ولا يدخله إلا قرابتها من ذوي الحج والفضل، فأتى ابن حزم رسولها حين تغدّى ودخل ليقيل، فدخل عليه فأبلغه رسالتها، فقال ابن حزم لرسولها: أقرئ ابنة المظلوم السلام وأخبرها أنني قد سمعت الواعية(8) وأردت الركوب إليها فأمسكت عن الركوب حتى أبرد، ثم أصليّ، ثم أنفذ كل ما أمرت به. وأمر حاجبه وصاحب شرطته برفع الأسواق، ودعا الحرس وقال: خذوا السبايط حتى تحولوا بين

ص: 100

1- أندر: أتى بنادر من قول أو فعل.

2- ب: «و خطبت».

3- خايره في كذا: غالبه فغلبه وكان خيراً منه.

4- نعرت العجوز: صاحت وصحبت.

5- ب: «علي بن الحسن».

6- رجل حديد: فيه بأس وشدّة.

7- ف: (و نجيبة أهلي وأهلها).

8- الواعية: الصراخ على الميت.

الناس وبين النعش إلا ذوي قرابتها بالسكينة والوقار، ثم نام وانتبه وأسرج له، واجتمع كل من كان بالمدينة، وأتى باب عائشة حين أخرج النعش، فلما رأى الناس النعش التقفوه، فلم يملك ابن حزم ولا الحرس منه شيئا، وجعل ابن حزم يركض خلف النعش ويصيح بالناس من السّفلة والغوغاء: اربعوا أي ارفقوا فلم يسمعوا، حتى بلغ بالنعش القبر، فصلى عليها، ثم وقف على القبر فنادى: من هاهنا من قريش؟ فلم يحضره إلا مروان بن أبان بن عثمان، /وكان رجلا عظيم البطن بادنا(1) لا يستطيع أن ينثني من بطنه، سخيّف(2) العقل، فطلع و عليه سبعة قمص، /كانها درج، بعضها أقصر من بعض و رداء عدنيّ يثمن ألفي درهم، فسلمّ وقال له ابن حزم: أنت لعمرى قريها، و لكنّ القبر ضيق لا يسعك، فقال: أصلح الله الأمير إنما تضيق الأخلاق. قال ابن حزم: إنا لله، ما ظننت أن هذا هكذا كما أرى، فأمر أربعة فأخذوا بضبعه(3) حتى أدخلوه في القبر، ثم أتى خراء الزنج، وهو عثمان بن عمرو بن عثمان فقال: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله، ثم قال: وا سيدتاه و بنت أختاه! فقال ابن حزم: تالله لقد كان يبلغني عن هذا أنه مخنث، فلم أكن أرى أنه بلغ هذا كله، دلّوه فإنه عورة هو و الله أحق بالدفن منها، فلما أدخلوا قال مروان لخراء الزنج: تتخّ إليك شيئا فقال له خراء الزنج: الحمد لله رب العالمين، جاء الكلب الإنسيّ يطرد الكلب الوحشيّ، فقال لهما ابن حزم: اسكتا قبحكما الله و عليكم لعنته، أيكما الإنسيّ من الوحشيّ، و الله لئن لم تسكتا لأمرنّ بكما تدفنان، ثم جاء خال للجارية من الحاطبيّين و هو ناقة من مرض لو أخذ بعوضة لم يضبطها فقال: (4) أنا خالها و أمي سودة و أمها حفصة، ثم رمى بنفسه في القبر، فأصاب ترقوة خراء الزنج فصاح: أوه(4) ألح الله الأمير دقّ و الله عرقوبي، فقال ابن حزم: دق الله عرقوبك، و ترقتك اسكت و يلك، ثم أقبل على أصحابه فقال: و يحكم إني خبّرت أن الجارية بادن، و مروان لا يقدر أن ينثني من بطنه، و خراء الزنج مخنث لا يعقل سنّة و لا دفنا، و هذا الحاطبيّ لو أخذ عصفورا لم يضبطه لضعفه، فمن يدفن هذه الجارية؟ و الله ما أمرتني بهذا بنت المظلوم، فقال له جلساؤه: لا و الله ما بالمدينة خلق من قريش، و لو كان في هؤلاء خير لما بقوا، فقال: من هاهنا من مواليهم؟ فإذا أبو هانئ الأعمى و هو ظئر(4) لها، فقال ابن حزم: من أنت رحمك الله؟ قال: أنا أبو هانئ ظئر عبد الله بن عمرو بن عثمان و أنا أدفن أحياءهم و أمواتهم، فقال: أنا في طلبك، ادخل رحمك الله، فادفن/هؤلاء الأحياء، حتى يدلى عليك(5) الموتى(7) ثم أقبل على أصحابه فقال: إنا لله - و هذا أيضا أعمى لا يبصر، فنادوا: من هاهنا من مواليهم(7) فإذا برجل يزيدّي يقال له أبو موسى قد جاء، فقال له ابن حزم: من أنت أيضا؟ قال: أنا أبو موسى سالمين، و أنا ابن السميط سميّطين(6) و السعيد سعيدين، و الحمد لله رب العالمين، فقال ابن حزم: و الله العظيم لتكونن لهم خامسا، رحمك الله يا بنت رسول الله، فما اجتمع على جيفة خنزير و لا كلب ما اجتمع على جثتك، إنا لله و إنا إليه راجعون،(9) و أظنه سقط رجل آخر(9).

ص: 101

1- ف: «عظيم البطن فأفاء».

2- رجل سخيّف العقل: ناقصه.

3- الضبع: ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاها و هما ضبعان. (4-4) . تكملة من ف.

4- الظئر: الناقة تعطف على ولد غيرها، و منه قيل للمرأة الأجنبية تحضن ولد غيرها: ظئر و للرجل الحاضن: ظئر أيضا.

5- ف: «حتى يدلي إليك الموتى». (7-7) . التكملة من ف.

6- ف: «و أنا ابن أبي السميط سميّطين». (9-9) . التكملة من ف.

أخبرني أحمد، قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال: حدّثني يعقوب بن محمد بن عبد الله، قال: حدّثني أبو بكر الزلال الزبيري، قال: (1) حدّثني من رأى أشعب وقد علّق رأس كلبه و هو يضربه ويقول له: تنبح الهدية و تبصص للضيف.

أرضع أشعب جديا لبن زوجته

أخبرنا أحمد، قال: حدّثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن محمد الزبيري أبو الطاهر، قال: (1) حدّثني يحيى بن محمد بن أبي قتيلة، قال:

غذا أشعب جديا بلبن زوجته وغيرها حتى بلغ الغاية قال: و من مبالغته في ذلك أن قال لزوجته: أي ابنة وردان، إني أحب أن ترضعيه بلبنك. قال: ففعلت، قال: ثم جاء به إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد فقال: بالله إنه لابني، قد رضع بلبن زوجتي و قد حبوتك به، و لم أر أحدا يستأهله سواك، قال: فنظر إسماعيل إلى فتنة من الفتن فأمر به فذبح و سمط، فأقبل عليه أشعب، فقال: المكافأة، فقال: ما عندي و الله اليوم شيء، و نحن من تعرف، و ذلك غير فائت لك، فلما يس منه قام من عنده فدخل على أبيه جعفر بن محمد، ثم اندفع يشهق/حتى التقت أضلاعه، ثم قال: أخلني، قال: ما معنا أحد يسمع و لا- عين عليك، قال: وثب ابنك إسماعيل على ابني فذبحه و أنا انظر إليه، قال: فارتاع/جعفر و صاح: ويلك! و فيم؟ و تريد ما ذا؟ قال: أمّا ما أريد فو الله ما لي في إسماعيل حيلة و لا يسمع هذا سامع أبدا بعدك. فجزاه خيرا و أدخله منزله، و أخرج إليه مائتي دينار و قال له: خذ هذه و لك عندنا ما تحبّ، قال: و خرج إلى إسماعيل لا يبصر ما يطأ عليه، فإذا به مترسّد في مجلسه، فلما رأى وجه أبيه نكره، و قام إليه، فقال: يا إسماعيل أو فعلتها بأشعب؟ قتلت ولده، قال: فاستضحك و قال: جاءني بجدي من صفته كذا، و خبّره الخبر، فأخبره أبوه ما كان منه و صار إليه. قال: فكان جعفر يقول لأشعب: رعبتني رعبك الله (1) فيقول:

روعة ابنك و الله إيّاي في الجدي أكبر من روعتك أنت في المائتي الدّينار.

حزن أشعب لوفاة خالد بن عبد الله

أخبرنا أحمد، قال: حدّثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن إسحاق المسيبي (2)، قال:

حدّثني عمير بن عبد الله بن أبي بكر بن سليمان بن أبي خيثمة - قال: و عمير لقب و اسمه عبد الرحمن - عن أشعب، قال:

أتيت خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ليلة أسأله، فقال لي: أنت على طريقة لا أعطي على مثلها، قلت: بلى جعلت فداءك، فقال: قم فإن قدر شيء فسيكون، قال: فقممت، فإني لفي بعض سكك المدينة، إذ لقيني رجل فقال: يا أشعب إن كان الله قد ساق إليك رزقا فما أنت صانع؟ قلت: أشكر الله و أشكر من فعله، قال: كم عيالك؟ فأخبرته قال: قد أمرت أن أجري عليك و على عيالك ما كنت (3) حيّا، قال: من أمرك؟ قال:

ص: 102

1- ف: «رعبتني راعك الله».

2- ب: «السيبي»، و في مد، مم: «السيبي».

3- ف: «ما دمت حيا».

لا- أخبرك ما كانت هذه فوق هذه، يريد السماء، وأشار إليها قال: قلت: إن هذا معروف يشكر، قال: الذي أمرني لم يرد شكرك، وهو يتمنى (1) ألا يصل مثلك. قال: فمكثت آخذ ذلك إلى أن توفي خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، قال: فشهدته قريش و حفل له الناس قال: فشهدته فلقيني ذلك الرجل فقال: يا أشعب/انتف رأسك و لحيتك، هذا و الله صاحبك الذي كان يجري عليك ما كنت أعطيك، و كان و الله يتمنى مباحة مثلك، قال: فحمله و الله الكرم إذ سألته أن فعل بك ما فعل، قال عمير: قال أشعب: فعملت بنفسي و الله حينئذ ما حل و حرم.

أشعب في المسجد

أخبرني أحمد، قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثنا الزبير بن بكّار، قال:

كان أشعب يوما في المسجد يدعو و قد قبض وجهه فصيرّه كالصبرة (2) المجموعة، فرآه عامر بن عبد الله بن الزبير فحصبه (3) و ناداه: يا أشعب، إذا تناجى ربك فناجه بوجهه طلق، قال: فأرخى لحيه (4) حتى وقع على زوره، قال: فأعرض عنه عامر و قال: و لا كلّ هذا.

جز أشعب لحيته

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال: حدّثني الزبير، قال: حدّثني مصعب، قال:

جزّ أشعب لحيته فبعث إليه نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير: ألم أقل لك إن البطال (5) أملح ما يكون إذا طالت لحيته فلا تجرز لحيته.

طرائف من طمعه و بخله

أخبرني أحمد، قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال: حدّثنا أبو الحسن أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا أبو الحسن المدائني، قال:

وقف أشعب على امرأة تعمل طبق خوص فقال: لتكبريه فقالت: لم؟ أ تريد أن تشتريه؟ قال: لا، و لكن عسى أن يشتريه إنسان فيهدي إليّ فيه، فيكون كبيرا خيرا من أن يكون صغيرا.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا المدائني، قال: قالت صديقة أشعب لأشعب: هب لي خاتمك أذكرك به، قال: اذكريني أنّي منعتك إياه؛ فهو أحبّ إليّ.

أخبرني أحمد، قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال:

ص: 103

1- ف: «و هو يتمرى».

2- الصبرة: الكومة من الطعام. و في ف: «كالسفرة».

3- ب: «فحبسه».

4- اللحي: عظم الحنك و هو الذي عليه الأسنان. و في ف: «إنما تناجى ربك فناجه...».

5- البطال: المتعلل.

قال أشعب مرة للصبيان: هذا عمرو بن عثمان يقسم مالا، فمضوا، فلما أبطنوا عنه اتبعهم؛ يحسب أن الأمر قد صار حقاً كما قال.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا المدائني، قال:

دعا زياد بن عبد الله أشعب فتغدى معه، فضرب بيده إلى جدي بين يديه، و كان زياد أحد (1) البخلاء بالطعام، فغاضه ذلك، فقال لخدمته: أخبروني عن أهل السجن ألهم إمام يصلي بهم؟ و كان أشعب من القراء لكتاب الله تعالى، قالوا: لا، قال: فأدخلوا أشعب فصبروه إماما لهم، قال أشعب: أو غير ذلك؟ قال: و ما هو؟ قال:

أحلف لك - أصلحك الله - ألا أذوق جديا أبدا، فخلاه.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال:

رأيت أشعب بالمدينة يقلب مالا كثيرا فقلت له: ويحك ما هذا الحرص! ولعلك أن تكون أيسر ممن تطلب منه (2)، قال: إني قد مهرت في هذه (3) المسألة، فأنا أكره أن أدعها فتتفلت مني.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال:

قيل لأشعب: ما بلغ من طمعك؟ قال: ما رأيت اثنين يتسازان قط إلا كنت أراهما يأمران لي بشيء.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال:

قال أشعب لأمه: رأيتك في النوم مطليّة بعسل و أنا مطليّ بعذرة، فقالت: يا فاسق هذا عملك الخبيث كساكه (4) الله عز و جل، قال: إن في الرؤيا شيئا آخر، قالت: ما هو؟ قال: رأيتني ألتعك و أنت تلطعيني (5)، قالت:

لعنك الله يا فاسق.

أخبرنا أحمد، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال:

كان أشعب يتحدث إلى امرأة بالمدينة حتى عرف ذلك، فقالت لها جاراتها يوما: لو سألته شيئا فإنه موسر، فلما جاء قالت: إن جاراتي ليقلن لي: ما يصلك بشيء، فخرج نافرا من منزلها، فلم يقربها شهرين، ثم إنه جاء ذات يوم فجلس على الباب، فأخرجت إليه قدحا ملآن ماء، فقالت: اشرب هذا من الفزع، فقال: اشربيه أنت من الطمع.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم و أحمد بن يحيى - و اللفظ لأحمد - قال: أخبرنا المدائني عن جهم بن خلف، قال:

حدثني رجل قال: قلت لأشعب: لو تحدثت عندي العشيّة؟ فقال: أكره أن يجيء ثقيل، قال: قلت: ليس غيرك و غيري، قال: فإذا صلّيت الظهر فأنا عندك، /فصلّي و جاء، فلما وضعت الجارية الطعام إذا بصديق لي يدق الباب، فقال: ألا ترى قد صرت إلى ما أكره؟ قال: قلت: إن عندي فيه عشر خصال، قال: فما هي؟ قال: أولها أنه

- 1- ب: «أخا البخلاء».
- 2- ب: «... و لعلك أن تكون أسيرا ممن تطلب منه».
- 3- ب: «إني قد مهدت المسألة».
- 4- ف: «أبسكه الله».
- 5- لطمع الشيء: لحسه.

لا يأكل ولا يشرب، قال: التَّسَعُ الخصال لك، أدخله. قال أبو مسلم: إن كرهت واحدة منها لم أدخله.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال:

دخل أشعب يوماً على الحسين بن عليّ وعنده أعرابيّ قبيح المنظر مختلف الخلقة، فسبح أشعب حين رآه، وقال للحسين عليه السلام: بأبي أنت وأمي، أتأذن لي أن أسلح عليه؟ فقال الأعرابيّ: ما شئت، ومع الأعرابيّ قوس وكنانة، ففوق له سهمًا وقال: والله لئن فعلت لتكوننَّ آخر سلحة سلحتها، قال أشعب للحسين: جعلت فداك، قد أخذني القولنج (1).

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز، قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال:

ذكر أشعب بالمدينة رجلاً قبيح الاسم، فقيل له: يا أبا العلاء، أتعرف فلانا؟ قال: ليس هذا من الأسماء التي عرضت على آدم.

وجدت في بعض الكتب، عن أحمد بن الحارث الخراز (2)، عن المدائني، قال:

توضّأ أشعب فغسل رجله اليسرى وترك اليمنى فقيل له: لم تركت غسل اليمنى؟ قال: لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال:

«أمّتي غرّ محجّلون من آثار الوضوء، وأنا أحبّ أن أكون غرّاً محلاً مطلق اليمنى» (3).

/وأخبرت بهذا الإسناد قال:

سمع أشعب حبّبيّ المدينة تقول: اللهم لا تمتني حتى تغفر لي ذنوبي، فقال لها: يا فاسقة أنت لم تسألي الله المغفرة إنما سألته عمر الأبد، يريد أنه لا يغفر لها أبداً.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا المدائني، عن فليح بن سليمان، قال:

ساوم أشعب رجلاً بقوس عربيّة فقال الرجل: لا أنقصها عن دينار، قال أشعب: أعتق ما أملك لو أنها إذا رمي بها طائر في جو السماء وقع مشويّاً بين رغيفين ما أخذتها بدينار.

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال:

أهدى رجل من بني عامر بن لؤيّ إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر بن محمد فالوذجة، وأشعب حاضر، قال:

كل يا أشعب، فلما أكل منها قال: كيف تجدها يا أشعب؟ قال: أنا بريء من الله ورسوله إن لم تكن عملت قبل أن يوحى الله عزّ وجلّ إلى التّحل، أي ليس فيها من الحلوة شيء.

أخبرنا أحمد قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائني، قال:

سأل سالم بن عبد الله أشعب عن طمعه، قال: قلت لصبياني مرّة: هذا سالم قد فتح باب صدقة عمر (4).

1- القولنج: مرض معوي مؤلم يصعب معه خروج البراز والريح.

2- ب: «الحزاز».

3- ب: «أغر محجل ثلاث مطلق اليمين».

4- مد: «صدقاته».

فانطلقوا يعطكم تمرا، فمضوا، فلما أبطئوا ظننت أن الأمر كما قلت فاتبعتمهم.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرني المدائني، قال:

/بيننا أشعب يوما يتغدى إذ دخلت جارة(1) له، ومع أشهب امرأته تأكل، فدعاها لتغدى، فجاءت الجارة(1) فأخذت العرقوب بما عليه - قال: وأهل المدينة يسمونه عرقوب ربّ البيت - قال: فقام أشعب فخرج ثم عاد فدقّ الباب، فقالت له امرأته: يا سخين العين ما لك! قال: أدخل؟ قالت: أتستأذن أنت، وأنت ربّ البيت؟ قال: لو كنت ربّ البيت ما كانت العرقوب بين يدي هذه.

أشعب يبكي نفسه

أخبرني بعض أصحابنا، قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي، قال: حدثنا الزبير، قال: حدّثني مصعب، قال: قال لي ابن كليب:

حدّثت مرّة أشعب بملحة فبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: أنا بمنزلة شجرة/الموز إذا نشأت ابنتها قطعت، وقد نشأت أنت في موالي وأنا الآن أموت، فإنما أبكي على نفسي.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال:

كان أشعب الطمع يغني و له أصوات قد حكيت عنه، و كان ابنه عبيدة يغنيها، فمن أصواته هذه:

أروني من يقوم لكم مقامي *** إذا ما الأمر جلّ عن الخطاب

إلى من تفزعون إذا حثوتم *** بأيديكم علي من التراب

أشعب و سكينه بنت الحسين

إشارة

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف، قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال:

حدثنا شعيب بن عبيدة بن أشعب، عن أبيه، عن جدّه، قال:

كانت سكينه بنت الحسين بن عليّ عليهم السّلام عند زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان/قال: وقد كانت أحلفته ألاّ يمنعها سفرا ولا مدخلا ولا- مخرجا فقالت: اخرج بنا إلى حمران(2) من ناحية عسفان، فخرج بها فأقامت، ثم قالت له: اذهب بنا نعتمر، فدخل بها مكة، فأتاني آت، فقال: تقول لك ديباجة الحرم - وهي امرأة من ولد عتاب بن أسيد - : لك عشرون ديناراً إن جئتني يزيد بن عمرو الليلة في الأبطح،(3) قال أشعب: وأنا أعرف سكينه وأعلم ما هي، ثم غلب عليّ طباع السوء والشهرة، فقلت لزيد فيما بيني وبينه: إن ديباجة الحرم أرسلت إليّ بكيت و كيت، فقال: عدها الليلة بالأبطح(3)، فأرسلت إليها فواعدتها الأبطح وإذا الديباجة قد افترشت بساطا في الأبطح و طرحت النمارق، و وضعت حشايا و عليها أنماط، فجلست عليها، فلما طلع زيد قامت إليه، فتلّفته و سلّمت

1-ب: «جارية».

2- حمران: ماء في ديار الرباب (معجم البلدان). وفي ب، مد: «حمدان»، تحريف. (3-3) التكملة من ف.

عليه، ثم رجعت إلى مجلسها، فلم ننشأ أن سمعنا شحيج بغلة سكيئة، فلما استبانها زيد قام فأخذ بركابها، واختبأت ناحية، فقامت الديباجة إلى سكيئة فتلقّتها وقبّلت بين عينيها، وأجلستها على الفراش، وجلست هي على بعض النمارق، فقالت سكيئة: أشعب والله صاحب هذا الأمر، ولست لأبي إن لم يأت يصيح صياح الهرة (1) لن يقوم لي بشيء أبداً، فطلعت على أربع أصيح صياح الهرة (1)، ثم دعت جارية معه مجمر كبير فحفنت منه وأكثر، وصبّت في حجر الديباجة، (2) وحفنت لمن معها فصبّته في حجورهن (2) وركبت وركب زيد وأنا معهم، فلما صارت إلى منزلها قالت لي: يا أشعب أفعلتها؟ قلت: جعلت فداءك، إنما جعلت لي عشرين ديناراً، وقد عرفت طمعي وشرهي، والله لو جعلت لي العشرين ديناراً على قتل أبويّ لقتلتهم، قال: فأمرت بالرحيل إلى الطائف، فأقامت بالطائف وحوّطت (1) من ورائها بحيطان ومنعت زيدا أن يدخل عليها. قال: ثم قالت لي يوماً: قد أئمتنا في زيد وفعلنا (2) ما لا يحل لنا، ثم أمرت بالرحيل إلى المدينة، وأذنت لزيد فجاءها.

قال الزبير: وحدثني عبد الله بن محمد بن أبي سلمة قال:

جاء أشعب إلى مجلس أصحابنا فجلس فيه، فمرّت جارية لأحدهم بحزمة عراجين من صدقة عمر، فقال له أشعب: فديتك، أنا محتاج إلى حطب فمر لي بهذه الحزمة، قال: لا، ولكن أعطيك نصفها على أن تحدّثني بديث ديباجة الحرم، فكشف أشعب ثوبه عن استوفز و جعل يخنس (3) ويقول: إن لهذا زماناً (4)، و جعلت خصيتاه تخطّان الأرض، ثم قال: أعطاني والله فلان في حديث ديباجة الحرم عشرين ديناراً، وأعطاني فلان كذا، وأعطاني فلان كذا، حتى عدّ أموالاً، وأنت الآن تطلبها مني بنصف حزمة عراجين! ثم قام فانصرف.

وفي ديباجة الحرم يقول عمر بن أبي ربيعة:

صوت

ذهبت ولم تلمم بديباجة الحرم *** وقد كنت منها في عناء وفي سقم

جننت بها لمّا سمعت بذكرها *** وقد كنت مجنوناً بجاراتها القدم

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما لهوي *** فكن حجراً بالحزن من حرّة أصم (5)

غناه مالك بن أبي السّمح من رواية يونس عن حبش (6).

قال الزبير: وحدثني شعيب بن عبيدة، عن أبيه، قال:

دخل رجل من قريش على سكيئة بنت الحسين عليهما السلام، قال: فإذا أنا بأشعب متفحّج (7) جالس تحت

ص: 107

1- ف: «وأحاطت».

2- ف: «وعملنا ما لا يحل لنا».

3- استوفز في قعدته: قعد منتصبا غير مطمئن. وخنس: تأخر.

4- ف: «أف لهذا زمنا، أف لهذا زمنا»، بدل: «إن لهذا زمنا».

5- ف: «من صخرة أصم».

6- ب، مد، مم: «غير مجنس» بدل: «عن حبيش».

7- المتفحج: المفرج بين رجليه.

السريير، فلما رأني جعل يقرقر مثل الدجاجة فجعلت انظر إليه وأعجب، فقالت: ما لك تنظر إلى هذا؟ قلت: إنه لعجب، قالت: إنه لخبيث، قد أفسد علينا أمورنا بغباوته، فحضنته بيض دجاج، ثم أقسمت أنه لا يقوم عنه حتى ينفق(1). / وهذا الخبر عندنا غير مشروح، ولكن هذا ما سمعناه، ونسخته على الشرح من أخبار إبراهيم بن المهدي التي رواها عنه يوسف بن إبراهيم، وقد ذكر في أخبار سكيئة.

وروى عن أحمد بن الحسن البرّاز: وجدت بخط ابن الوشاء، عن أبي الوشاء، عن الكديمي، عن أبي عاصم قال: قيل لأشعب الطامع: أرايت أحدا قط أطمع منك، قال: نعم كلبا يتبعني أربعة أميال على مضغ العلك(2).

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، وعمي عبد العزيز بن أحمد(3)، وحبیب بن نصر المهلبی، قالوا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني مصعب، عن عثمان بن المنذر، عن عبد الله بن أبي بشر بن عثمان بن المغيرة، قال:

سمعت جلبة شديدة مقبلة من البلاط، وأسرت فإذا جماعة مقبلة، وإذا امرأة قد فرعتهم طولاً، وإذا أشعب بين أيديهم بكفه دفّ وهو يغني به ويرقص ويحرف استه ويحركها ويقول:

ألا حيّ التي خرجت *** قبيل الصّبح فاختمرت

يقال بعينها رمد *** ولا والله ما رمدت

فإذا تجاوز في الرقص الجماعة رجع إليهم حتى يخالطهم ويستقبل المرأة فيغني في وجهها وهي تبسم وتقول:

حسبك الآن، فسألت عنها، فقالوا: هذه جارية صريم المغنية استلحقها صريم عند موته، واعترف بأنها بنته، فحاكمت ورثته(4) إلى السلطان، فقامت لها البينة فألحقها به وأعطاه الميراث منه، وكانت أحسن خلق الله غناء، كان يضرب بها المثل في الحجاز فيقال: أحسن من غناء الصّريمية.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا الدمشقيّ، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: وحدثني أبي، قال:

/اجتازت جنازة الصّريمية بأشعب وهو جالس في قوم من قريش فبكى عليها ثم قال: ذهب اليوم الغناء كله، وعلى أنها الزانية كانت - لا رحمها الله - شرّ خلق الله، فقيل: يا أشعب ليس بين بكائك عليها ولعنك إيّاها فصل في كلامك، قال: نعم، كنّا نجيتها الفاجرة بكبش، فيطبخ لنا في دارها ثم لا تعشينا - يشهد الله - إلا بسلق.

أشعب و الغاضي

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا مصعب:

بلغ أشعب أن الغاضي(5) قد أخذ في مثل مذهبه ونوادره، وأن جماعة قد استطابوه، فركبه حتى علم أنه في مجلس/من مجالس قريش يحادثهم ويضحكهم فصار إليه، ثم قال له: قد بلغني أنك قد نحوت نحوي وشغلت عني من كان يألّفني فإن كنت مثلي فافعل كما أفعل، ثم غصن(6) وجهه وعرضه وشنّجه حتى صار عرضه أكثر من طوله،

1- ف: «ينقب».

2- العلك: اللبان.

3- كذا في جميع النسخ و نرجح أن يكون أحمد بن عبد العزيز.

4- ف: «فخاصمت ورثته».

5- ب: «الناصرى».

6- غضن وجهه: ثناه. وفي ب: «غضن».

وصار في هيئة لم يعرفه أحد بها، ثم أرسل وجهه وقال له: افعل هكذا و طول وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدره، و صار كأنه وجه الناظر في سيفه، ثم نزع ثيابه و تحادب فصار في ظهره حذبة كسنام البعير، و صار طوله مقدار شبر أو أكثر، ثم نزع سراويله و جعل يمد جلد خصييه حتى حكّ بهما الأرض، ثم خلاهما من يده و مشى و جعل يخنس(1) و هما يخطّان الأرض، ثم قام فتطاول و تمدّد و تمطّى حتى صار أطول ما يكون من الرجال، فضحك و الله القوم حتى أغمي عليهم و قطع الغاضريّ فما تكلم بنادرة، و لا زاد على أن يقول: يا أبا العلاء لا أعاود ما تكره، إنما أنا تلميذك و خرّيجك، ثم انصرف أشعب و تركه.

من أخلاق أمه

أخبرني رضوان بن أحمد الصّيدلانيّ، قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم، عن إبراهيم بن المهديّ، عن عبيدة بن أشعب، عن أبيه: أنه كان مولده في سنة تسع من الهجرة، و أن أباه كان من مماليك عثمان، و أنّ أمّه كانت تنقل كلام أزواج النبي صلّى الله عليه و سلّم بعضهن إلى بعض، فتلقني بينهن الشّرّ، فتأدّي رسول الله صلّى الله عليه و سلّم بذلك، فدعا الله عز و جل عليها فأماتها، و عمّر ابنها أشعب حتى هلك في أيام المهديّ.

كان من المعتزلة

و كان في أشعب خلال، منها أنه كان أطيّب أهل زمانه عشرة و أكثرهم نادرة، و منها: أنه كان أحسن الناس أداء لغناء سمعه، و منها: أنه أقوم أهل دهره بحجج المعتزلة و كان امراً منهم.

أشعب و عبد الله بن عمر

قال إبراهيم بن المهديّ فحدّثني عبيدة بن أشعب، عن أبيه، قال: بلغني أن عبد الله بن عمر كان في مال له(2) يتصدق بثمرته، فركبت ناضحاً(3) و وافيته في ماله، فقلت: يا بن أمير المؤمنين و يا بن الفاروق أوقر لي بعيري هذا تمرا، فقال لي: أ من المهاجرين أنت؟ قلت: اللهم لا قال: فمن الأنصار أنت؟ فقلت: اللهم لا قال: أفمن التابعين بإحسان؟ فقلت: أرجو، فقال: إلى أن يحقّق رجأوك، قال: أفمن أبناء السبيل أنت؟ قلت: لا، قال: فعلام أوقر لك بعيرك تمرا؟ قلت: لأنني سائل، و قد قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم: «إن أتك سائل على فرس فلا تردّه»، فقال: لو شئنا أن نقول لك: إنه قال: لو أتك على فرس، و لم يقل أتك على ناضح بعير(4) لقلنا، و لكنني أمسك عن ذلك لاستغنائي عنه؛ لأنني قلت لأبي عمر بن الخطاب: إذا أتاني سائل على فرس يسألني أعطيته؟ فقال: إني سألت رسول الله صلّى الله عليه و سلّم عما سألتني عنه، فقال لي: نعم إذا لم تصب راجلا و نحن أيها الرّجل نصيب رجالة فعلام أعطيك و أنت على بعير؟ فقلت له: بحق أبيك الفاروق، و بحق الله عز و جل، و بحق رسول الله صلّى الله عليه و سلّم لما أوقرته لي تمرا، فقال لي عبد الله: أنا موقر لك تمرا، و بحق الله و و حق رسوله لئن عاودت استحلافي لا أبررت لك قسمك، و لو أنك اقتصرت على استحلافي بحق أبي عليّ في تمرة أعطيكها لما أنفدت قسمك، لأنني سمعت أبي يقول: إن

ص: 109

1- خنس: تخلف و توارى.

2- ف: «بلغني مكان عبد الله بن عمر في مال له».

3- ف: «أتك على بعير».

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تشد الرحال إلى مسجد لرجاء الثواب إلا إلى المسجد الحرام ومسجدي/بيثرب، /ولا يبر امرؤ قسم مستحلفه إلا أن يستحلفه بحق الله وحق رسوله، ثم قال للسودان في تلك الحال(1): أوقروا له بعيره تمرا، قال: ولما أخذ السودان في حشو الغرائر قلت: إن السودان أهل طرب، وإن أطربتهم أجادوا حشو غرائري، فقلت:

يا بن الفاروق، أتأذن لي في الغناء فأغنيك؟ فقال لي: أنت وذلك(2)، فاندفعت في النصب(3)، فقال لي: هذا الغناء الذي لم نزل نعرفه. ثم غنيته صوتا آخر لطويس المغنّي وهو:

خليلي ما أخفي من الحب ناطق *** ودمعي بما قلت الغداة شهيد(4)

فقال لي عبد الله: يا هناه، لقد حدث في هذا المعنى ما لم نكن نعرفه، قال: ثم غنيته لابن سريج:

يا عين جودي بالدموع السّفاح *** وابكي على قتلى قريش البطاح

فقال: يا أشعب، ويحك، هذا يحيق الفؤاد - أراد: يحرق الفؤاد، لأنه كان ألثغ لا يبين بالراء ولا باللام. قال أشعب: وكان بعد ذلك لا يراني إلا استعادي هذا الصوت.

من نواذره

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدّثنا الزبير بن بكار، قال: حدّثني عمي، قال:

لقي أشعب صديق لأبيه فقال له: ويحك يا أشعب، كان أبوك ألقى وأنت أنط(5) فإلى من خرجت؟ قال: إلى أمي.

من حيله

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: أخبرنا أحمد بن أبي خيثمة، قال: حدّثنا مصعب بن عبد الله، عن مصعب بن عثمان، قال:

لقي أشعب سالم بن عبد الله بن عمر فقال: يا أشعب، هل لك في هريس قد أعدّ لنا؟ قال: نعم، بأبي أنت وأمّي. قال: فصر إليّ، فمضى إلى منزله، فقالت له امرأته: قد وجّه إليك عبد الله بن عمرو بن عثمان يدعوك.

قال: ويحك، إن لسالم بن عبد الله هريسة قد دعاني إليها، و عبد الله بن عمرو في يدي متى شئت، وسالم إنما دعوته للناس فلتة، وليس لي بدّ من المضى إليه. قالت: إذا يغضب عبد الله، قال: آكل عنده، ثم أصير إلى عبد الله. فجاء إلى سالم وجعل يأكل أكل متعالل فقال له: كل يا أشعب وابعث ما فضل عنك إلى منزلك، قال: ذاك أردت بأبي أنت وأمّي، فقال: يا غلام، احمل هذا إلى منزله، فحملة و مضى معه فجاء به امرأته فقالت له: ثكلتك أمك، قد حلف عبد الله أن لا يكلمك شهرا، قال: دعيني وإياه، هاتي شيئا من زعفران، فأعطته ودخل الحمام يمسح على وجهه ويديه(6) و جلس في الحمام حتى صفّره، ثم خرج متكئا على عصا يرعد، حتى أتى دار عبد الله بن عمرو،

2- ف: «أنت ورأيك».

3- النصب: نوع من الغناء.

4- ب: «باطل» بدل «ناطق». و «شهير» بدل «شهيد».

5- الأنط: الخفيف شعر اللحية أو الحاجبين.

6- ف: «و بدنه».

فلما رآه حاجبه قال: ويحك، بلغت بك العدة ما أرى؟ ودخل وأعلم صاحبه فأذن له، فلما دخل عليه إذا سالم بن عبد الله عنده، فجعل يزيد في الرعدة ويقارب الخطو، فجلس وما يقدر أن يستقل، فقال عبد الله: ظلمناك يا أشعب في غضبنا عليك، فقال له سالم: ما لك ويحك! ألم تكن عندي آنفاً وأكلت هريسة؟ فقال له: وأي أكل ترى بي؟ قال: ويحك! ألم أقل لك كيت وكيت وتقل لي كيت وكيت؟ قال له: شبّه لك، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، والله إني لأظنّ الشيطان يتشبّه بك. ويحك! أجاد أنت؟ قال: عليّ وعليّ إن كنت خرجت منذ شهر(1). فقال له عبد الله:

اعزب ويحك أتبته، لا أم لك! قال: ما قلت إلا حقاً، قال: بحياتي اصدقني وأنت آمن من غضبي، قال:

لا وحياتك لقد صدق. ثم حدّثه بالقصة فضحك حتى استلقى على قفاه.

ابنه يذكر بعض طرائف أبيه

ابنه يذكر بعض طرائف أبيه(2)

أخبرني رضوان بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم، عن إبراهيم بن المهديّ:

أنّ الرشيد لمّا ولّاه دمشق بعث إليه عبد الله بن أشعب، وكان يقدم عليه من الحجاز إذا أراد أن يطرب.

قال إبراهيم: وكان يحدثني من حديث أبيه بالطرائف:

عادته(3) يوماً وأنا خارج من دمشق في قبة على بغل لألهو بحديثه، فأصابنا في الطريق برد شديد فدعوت بدوّاج سمّور(4) لألبسه، فأتيت به فلما لبسته أقبلت على ابن أشعب فقلت: حدّثني بشيء من طمع أبيك. فقال لي:

ما لك ولأبي، ها أنا إذا دعوت بالدوّاج فما شككت والله في أنك إنما جئت به لي، فضحكت من قوله، ودعوت بغيره فلبسته وأعطيته إياه، ثم قلت له:

ألبيك ولد غيرك؟ فقال: كثير، فقلت: عشرة؟ قال: أكثر، قلت: فخمسون؟ قال: أكثر كثير، قلت: مائة؟ قال: دع المئين وخذ الألوف، فقلت: ويحك! أي شيء تقوله؟ أشعب أبوك ليس بينك وبينه أب، فكيف يكون له ألوف من الولد؟ فضحك ثم قال: لي في هذا خبر ظريف، فقلت له: حدّثني به، فقال:

كان أبي منقطعاً إلى سكيّنة بنت الحسين، وكانت متزوجة بزيد بن عمرو بن عثمان بن عفان وكانت محبّة له، فكان لا يستقر معها، تقول له: أريد الحج فيخرج معها، فإذا أفصوا إلى مكة تقول: أريد الرجوع إلى المدينة، فإذا عاد إلى المدينة، قالت: أريد العمرة، فهو معها في سفر لا ينقضي. قال عبد الله: فحدّثني أبي قال:

كانت قد حلّفته بما لا كفّارة له ألا يتزوج عليها ولا يتسرّى ولا يلمّ بنسائه وجواريه إلا بإذنها، وحجّ الخليفة في سنة من السنين فقال لها: قد حجّ الخليفة ولا بدّ لي من لقائه، قالت: فاحلف بأنك لا تدخل الطائف، ولا تلمّ بجواريك على وجه ولا سبب، فحلف لها بما رضيت به من الأيمان على ذلك، ثم قالت له: احلف بالطلاق، فقال: لا أفعل، ولكن ابعثي معي بثقتك، فدعنتني وأعطتني ثلاثين ديناراً وقالت لي: اخرج معه، وحلّفتني/بطلاق بنت وردان زوجتي ألا أطلق له الخروج إلى الطائف بوجه ولا سبب، فحلفت لها بما أثلج صدرها، فأذنت له

فخرج و خرجت معه. فلما حاذينا الطائف قال لي: يا أشعب، أنت تعرفني و تعرف صنائعي عندك، و هذه ثلاثمائة دينار،

ص: 111

-
- 1- ف: «إن كنت رأيتك منذ شهر».
 - 2- سقط هذا الخبر من ب، و أثبتناه من ف، ما، مد.
 - 3- عادله: ركب معه.
 - 4- الدواج: اللحاف الذي يلبس. و السمور: حيوان بري يتخذ من جلده فراء ثمينة للينها و خفتها و إدفائها.

خذاها بآرك اللّٰه لك ففها واذن لى ألم بآوارى؁ فلما سمعها ذهب عقلى ثم قلت: يا سىدى؁ هى سكىنة؁ فالله اللّٰه فى . فقال: أو تعلم سكىنة الغىب! فلم ىزل بى حتى أخذتها واذنت له؁ فمضى وبات عند آوارىه. فلما أصبحنا رأىآ آىات قوم من العرب قرىبة منا؁ فلبست حلّة وشى كانت لزىد قىمتها ألف دىنار؁ وركبت فرسه و آئت إلى النساء فسلّمت فرددن؁ و نسنبنى فانتسبت نسب زىد؁ فآادثننى و أنسن بى. و آقبل رجال الحى؁ و كلما آاء رجل سأل عن نسبى فآبر به هابنى و سلّم علىّ و عظّمنى و انصرف؁ إلى أن آقبل شىخ كبرى منكر مبطون؁ فلما آبر بى و بنسبى شال آابىبه عن عىنه؁ ثم نظر إلىّ و قال: و أبى ما هذه آلقة قرشىّ و لا شمائله؁ و ما هو إلا عبد لهم ناذ؁ و علمت أنه ىرىد شرّآ؁ فركبت الفرس ثم مضى؁ و لآقنى فرمانى بسهم فما أآطأ قربوس السرج؁ و ما شككت أنه ىلآقنى بآخر ىقتلنى فسلحت - ىعلم الله - فى ثىابى فلوّثها و نفذ إلى الآلّة فصىرها شهرة(1)؁ و آتى رحل زىد بن عمرو فآلست أآسل الآلّة و أآفها؁ و آقبل زىد بن عمرو؁ فرأى ما لآق الآلّة و السرج؁ فقال لى: ما القصة؟ و ىلك! فقلت: يا سىدى الصآق أنآى؁ و آادثه الآآىث فآآاظ ثم قال لى: ألم ىفك أن تلبس آلنى و تصنع بها ما صنعت؁ و تركب فرسى و آآلس إلى النساء حتى انتسبت بنسبى و فضآتنى؁ و آعلتنى عند العرب و لا آآآ آماشاً(2)؁ و آرى علىك ذلّ نسب إلىّ؁ أنا نفىّ من أبى و منسوب إلى أبىك إن لم أسوك و أبلغ فى ذلك.

ثم لقى الآلىفة و عاد و آآلنا إلى سكىنة؁ فسألته عن آبره كله فآبرها حتى انتهى إلى ذكر/آوارىه؁ فقالت:

ىه و ما كان من آبرك فى طرىقك؟ هل مضىآ إلى آوارىك بالطائف؟ فقال لها: لا أدرى؁ سلى ثقك. فآعتنى فسألتنى؁ و بدأت فآلقت لها بكل ىمىن مآرآة أنه ما مرّ بالطائف و لا آآلها و لا فارقنى؁ فقال لها: الىمىن الّى آلف بها لازمة لى إن لم أكن آآلت الطائف و بآّ عند آوارىّ و آسلتنى(3) آمىعا؁ و آآذ منى ثلاثمائة دىنار؁ و فعل كذا و كذا؁ و آآآها الآآىث كله و آراها الآلّة و السرج؁ فقالت لى: أ فعلتها يا أشعب! أنا نفىّة من أبى إن أنفقتها إلا فىما ىسووك؁ ثم أمرت بكبس(4) منزلى و إآضارها الدنانىر فأآضرت؁ فآشترت بها آشبا و بىضا و سرجىنا؁ و عملت من الآشب بىتا فآبستنى فىه و آلقت إلا أآرآ منه و لا أفارقه حتى أآضن البىض كله إلى أن ىنقب؁ فمآآت أربعىن ىوما أآضن لها البىض حتى نقب؁ و آرآ منه فرارىآ كآىرة فرآآهن و تناسلن فكنّ بالمآىنة ىسمىن بنات أشعب و نسل أشعب؁ فهؤلآ إلى الآن بالمآىنة نسل ىزىد على الأوف؁ كلهن أهلى و آقارىى.

قال إبراهىم: فضآكت و اللّٰه من قوله ضآكا ما أذكر آنى ضآكت مثله قط و وصلته؁ و لم ىزل عندى زمانا حتى آرآ إلى المآىنة و بلغنى أنه مات هناك(5).

ىتسور البستان طلبا للطعام

أآبرنى آآمد؁ قال: آآآنا مصعب بن عبد اللّٰه بن عثمان؁ قال:

قال رجل/الأشعب: إنّ سالم بن عبد اللّٰه قد مضى إلى بستان فلان و معه طعام كآىر؁ فبادر حتى لآقه فأآلق

ص: 112

1- الشهرة: ظهور الشىء فى شنة.

2- الولاآ: الكآىر الآآول. و الآماش: المآعرض للنساء.

3- آسلتنى: آامآتنى.

4- كبس دار فلان: هآآ علىها فآآة و أآاط بها.

5- انتهى الخبر المشار إلى أوله في الحاشية رقم 3 ص 162.

الغلام الباب دونه، فتسوّر عليه، فصاح به سالم: بناتي ويلك بناتي، فناداه أشعب: لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (1)، فأمر بالطعام فأخرج إليه منه ما كفاه.

يقوقى مثل الدجاجة

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن سعيد، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني عمّي، قال:

/بعثت سكينه إلى أبي الزناد فجاءها تستفتيه في شيء، فأطلع أشعب عليه من بيت و جعل يقوقى مثل ما تقوقى الدجاجة، قال: فسبح أبو الزناد وقال: ما هذا؟ فضحكت وقالت: إن هذا الخبيث أفسد علينا بعض أمرنا، فحلفت أن يحضن بيضا في هذا البيت ولا يفارقه حتى ينقب، فجعل أبو الزناد يعجب من فعلها.

وقد أخبرني محمد بن جعفر النحويّ بخبر سكينه الطويل على غير هذه الرواية، وهو قريب منها، وقد ذكرته في أخبار سكينه بنت الحسين مفردا عن أخبار أشعب هذه في أخبارها مع زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان.

عبد يسلم في يده

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة، قال: حدثنا مصعب، قال: حدثني بعض المدنيين، قال:

كان لأشعب حرق في بابه، فكان ينام ثم يخرج يده من الخرق يطمع في أن يجيء إنسان يطرح في يده شيئا من شدة الطمع، فبعث إليه بعض من كان يعبث به من مجّان آل الزبير بعبد له فسلح في يده، فلم يعد بعدها إلى أن يخرج يده.

و أخبرني به الجوهريّ، عن ابن مهرويه، عن محمد بن الحسن، عن مصعب، عن بعض المدنيين فذكر نحوه و لم يذكر ما فعل به الماجن.

أشعب و سالم بن عبد الله بن عمر

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن محمد الزبيريّ أبو طاهر، قال: حدثنا يحيى بن محمد بن أبي قتيلة، قال: حدثني إسماعيل بن جعفر بن محمد الأعرج أنّ أشعب حدّثه، قال:

جاءني فتية من قريش فقالوا: إنا نحب أن نسمع سالم بن عبد الله بن عمر صوتا من الغناء و تعلمنا ما يقول لك، و جعلوا لي على ذلك جعلاً فتنتني (2)، فدخلت على سالم فقلت: /يا أبا عمر، إن لي مجالسة و حرمة و مودة و سنًا، و أنا مولع بالترنم، قال: و ما الترنم؟ قلت: الغناء، قال: في أي وقت؟ قلت: في الخلوة و مع الإخوان في المنزه، فأحب أن أسمعك، فإن كرهته أمسكت عنه، و غنّيته فقال: ما أرى بأساً، فخرجت فأعلمتهم، قالوا: و أي شيء غنّيته؟ قلت: غنّيته:

قرباً مربوط النعامه منّي *** لقحت حرب وائل عن حيالي (3)

ص: 113

2- ف: «جعلاً قيديني». و الجعل: الأجر الذي يأخذه الإنسان على فعل شيء.

3- البيت للحارث بن عباد، وانظر الأمالي 2:131 ط دار الكتب.

فقالوا: هذا بارد ولا حركة فيه، ولسنا نرضى، فلما رأيت دفعهم إياي وخفت ذهاب ما جعلوه لي رجعت فقلت: يا أبا عمر، آخر، فقال: ما لي ولك؟ فلم أملكه كلامه حتى غنيت، فقال: ما أرى بأسا، فخرجت إليهم فأعلمتهم فقالوا: وأي شيء غنيت؟ فقلت: غنيت قوله:

لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا *** وأخو الحرب من أطاق التزلا

فقالوا: ليس هذا بشيء، فرجعت إليه فقال: مه، قلت: وأخر، فلم أملكه أمره حتى غنيت:

غَيْضَنَ مِنْ عِبْرَاتِهِمْ وَقَلْنَ لِي: *** مَا ذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَىٰ وَلَقِينَا (1)

/فقال: نهلا نهلا(2)، فقلت: لا والله إلا بذلك السّدك، وفيه تمر عجوة من صدقة عمر فقال: هو لك، فخرجت به عليهم وأنا أخطر فقالوا: مه، فقلت: غنيت الشيخ:

غَيْضَنَ مِنْ عِبْرَاتِهِمْ وَقَلْنَ لِي ***

فطرب وفرض لي فأعطاني هذا، وكذبتهم، والله ما أعطانيه إلا استكفافا حتى صمت.

/قال ابن أبي سعد: السّدك: الزّيبيل الكبير. وفرض لي أي تقطني، يعني ما يهبه الناس للمغنين ويسمونه التّقط.

كانت له ألحان مطربة وشهد له معبد

حدّثني الجوهريّ، قال: حدّثنا محمد بن القاسم، قال: حدّثني قنعب بن المحرز، عن الأصمعيّ، قال:

حدّثني جعفر بن سليمان، قال:

قدم أشعب أيام أبي جعفر، فأطاف به فتيان بني هاشم وسألوه أن يغنيهم فغنى فإذا ألحانه مطربة(3) وحلقه على حاله، فقال له جعفر بن المنصور: لمن هذا الشعر والغناء:

لمن طلل بذات الجي *** ش أمسى دارسا خلقا؟

فقال له: أخذت الغناء عن معبد، وهو للدّلال، ولقد كنت آخذ اللحن عن معبد فإذا سئل عنه قال: عليكم بأشعب فإنه أحسن تأدية له مني.

أشعب يلزم جريرا ويغنيه في شعره

إشارة

أخبرني محمد بن يزيد، قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، عن عبد الله بن مصعب، قال:

قدم جرير المدينة، فاجتمع إليه الناس يستشدونه ويسألونه عن شعره، فينشدهم ويأخذون عنه وينصرفون، ولزمه أشعب من بينهم فلم يفارقه، فقال له جرير: أراك أطولهم جلوسا وأكثرهم سؤالا، وإنني لأظنك الأهمم حسبا، فقال له: يا أبا حذرة، أنا والله أنفعهم لك، قال: و

كيف ذلك؟ قال: أنا أخذ شعرك فأحسّنه وأجودّه، قال:

ص: 114

-
- 1- البيت لجرير في شرح ديوان جرير 578 ط الصاوي، وقبله: إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك ما يزال معينا
 - 2- ف، مد: «مهلا مهلا». والنهل: ما أكل من الطعام.
 - 3- ف: «ألحانه طرية».

كيف تحسّنه و تجوّده؟ قال: فاندفع فغناه في شعره و الغناء لابن سريج:

صوت

يا أخت ناجية السّلام عليكم *** قبل الرّحيل و قبل لوم العذّل(1)

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم *** يوم الرّحيل فعلت ما لم أفعل

/قال: فطرب جرير حتى بكى و جعل يزحف إليه حتى لصقت ركبته بركبته و قال: أشهد أنك تحسّنه و تجوّده، فأعطاه من شعره ما أراد، و وصله بدنانير و كسوة.

حدّثني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدّثني أبي، قال: قال الهيثم بن عديّ :

لقيت أشعب فقلت له: كيف ترى أهل زمانك هذا؟ قال: يسألون عن أحاديث الملوّك و يعطون إعطاء العبيد.

أشعب و أم عمر بنت مروان

حدّثني أحمد، قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا مصعب، قال:

حجّت أم عمر بنت مروان فاستحجبت(2) أشعب و قالت له: أنت أعرف الناس بأهل المدينة، فأذن لهم على مراتبهم، و جلست لهم مليّاً، ثم قامت فدخلت القائلة، فجاء طويس فقال لأشعب: استأذن لي على أم عمر، فقال:

ما زالت جالسة و قد دخلت، فقال له: يا أشعب ملكت يومين فلم تفتّ بعرتين و لم تقطع شعرتين، فدقّ أشعب الباب و دخل إليها، فقال لها: أنشدك الله يا ابنة مروان، هذا طويس بالباب فلا تتعرّضي للسانه و لا تعرّضيني، فأذنت له، فلما دخل إليها قال لها: و الله لئن كان بابك غلقا لقد كان باب/أبيك فلما(3)، ثم أخرج دقّه و تقر به و غنّى:

ما تمنعي يقظي فقد توتّينه *** في النوم غير مصرّد محسوب

كان المنى بلقائها فلقيتها *** فلهوت من لهو امرئ مكذوب

قالت: أيهما أحبّ إليك العاجل أم الآجل؟ فقال: عاجل و آجل، فأمرت له بكسوة.

/أخبرني الجوهريّ، قال: حدّثني ابن مهرويه، عن أبي مسلم، عن المدائنيّ، قال:

حدّث رجل من أهل المدينة أشعب بحديث أعجبه فقال له: في حديثك هذا شيء، قال: و ما هو؟ قال: نقلبيه على الرّأس.

أشعب و الوليد بن يزيد

أخبرني الجوهريّ، قال: حدّثني ابن مهرويه، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: حدثنا المدائنيّ، قال:

بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعد ما طلق امرأته سعدة فقال له: يا أشعب، لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلي رسالتي سعدة، فقال له: أحضر المال حتى انظر إليه، فأحضر الوليد بكرة فوضعها أشعب على عنقه، ثم قال: هات رسالتك يا أمير المؤمنين، قال: قل لها: يقول لك:

ص: 115

-
- 1- ف: «قبل الفراق وقبل عدل العذل».
 - 2- استحجبت أشعب: ولته الحجابة.
 - 3- باب غلق: معلق، فعل بمعنى مفعول. و فلق: مفتوح. وفي مد: «دلقا».

أسعدة هل إليك لنا سبيل *** وهل حتى القيامة من تلاقى؟!

بلى، ولعلّ دهرًا أن يواتي *** بموت من حليلك أو طلاق

فأصبح شامتا و تقرّ عيني *** و يجمع شملنا بعد افتراق

قال: فأتى أشعب الباب، فأخبرت بمكانه، فأمرت ففرشت لها فرش و جلست فأذنت له، فدخل فأنشدها ما أمره، فقالت لخدمها: خذوا الفاسق، فقال: يا سيدتي إنها بعشرة آلاف درهم، قالت: و الله لأقتلتك أو تبّلغه كما بلغتنى، قال: و ما تهبين لي؟ قالت: بساطي الذي تحتي، قال: قومي عنه، فقالت فطواه ثم قال: هاتي رسالتك جعلت فداءك، قالت: قل له:

أ تبكي على لبي و أنت تركتها *** فقد ذهبت لبي فما أنت صانع؟!

فأقبل أشعب فدخل على الوليد فأنشده البيت، فقال: أوّه! قتلتني و الله، ما تراني صانعا بك يا بن الزانية؟ اختر إمّا أن أدليك منكسا في بئر، أو أرمي بك من فوق القصر/منكسا، أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربة، فقال:

ما كنت فاعلا بي شيئا من ذلك، قال: و لم؟ قال: لأنك لم تكن لتعذب رأسا فيه عينان قد نظرتا إلى سعدة فقال:

صدقك يا بن الزانية، اخرج عني.

و قد أخبرني بهذا الخبر محمد بن يزيد، عن حمّاد، عن أبيه، عن الهيثم بن عديّ، أنّ سعدة لمّا أنشدها أشعب قوله:

أسعدة هل إليك لنا سبيل *** وهل حتى القيامة من تلاقى؟!

قالت: لا و الله لا يكون ذلك أبدا، فلما أنشدها:

بلى و لعلّ دهرًا أن يواتي *** بموت من حليلك أو طلاق

قالت: كلاً إن شاء الله، بل يفعل الله ذلك به، فلما أنشدها:

فأصبح شامتا و تقرّ عيني *** و يجمع شملنا بعد افتراق

قالت: بل تكون الشّماتة به، و ذكر باقي الخبر مثل حديث الجوهريّ، عن ابن مهرويه.

/أخبرني عمّي، قال: حدّثنا محمد بن سعد الكرانيّ، قال: حدّثنا العمريّ، عن الهيثم بن عديّ، قال:

كتب الوليد بن يزيد في إشخاص أشعب من الحجاز إليه و جملة على البريد، فحمل إليه، فلما دخل أمر بأن يلبس تّبانا(1) و يجعل فيه ذنب قرد، و يشدّ في رجله أجراس، و في عنقه جلاجل، ففعل به ذلك، فدخل و هو عجب من العجب، فلما رآه ضحك منه و كشف عن أيره، قال أشعب: فنظرت إليه كأنه ناي مدهون، فقال لي: /اسجد للأصمّ و يلك، يعني أيره، فسجدت، ثم رفعت رأسي و سجدت أخرى، فقال: ما هذا؟ فقلت: الأولى للأصمّ، و الثانية لخصيتك، فضحك و أمر بنزع ما كان ألبسنيه و وصلني، و لم أزل من ندمائه حتى قتل.

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، قال:

قال رجل لأشعب إنه أهدي إلى زياد بن عبد الله الحارثي قبة آدم قيمتها عشرة آلاف درهم فقال: امرأته الطلاق

ص: 116

1- التبان: سراويل قصيرة إلى الركبة أو ما فوقها تستر العورة. وفي مد: «ثيابا».

لو أنّها قبة الإسلام ما ساوت ألف درهم. فقيل له: إن معها جبة وشي حشوها قرّ قيمتها عشرون ألف دينار، فقال:

أمّه زانية لو أنّ حشوها زغب أجنحة الملائكة ما ساوت عشرين دينارا.

أشعب و رجل من ولد عامر بن لؤي

أخبرني عمّي، قال: حدّثني أبو أيوب المدائنيّ، قال: حدّثني مصعب بن عبد الله الزبيري، عن أبيه، قال:

حدّثني أشعب، قال:

ولي المدينة رجل من ولد عامر بن لؤي، و كان أبخل الناس و أنكدهم(1)، و أغراه الله بي يطلبني في ليله و نهاره، فإن هربت منه هجم على منزلي بالشرط، و إن كنت في موضع بعث إلى من أكون معه أو عنده يطلبني منه، فيطالبني بأن أحدثه و أضحكه، ثم لا أسكت و لا ينام(2)، و لا يطعمني و لا يعطيني شيئا، فلقيت منه جهدا عظيما و بلاء شديدا. و حضر الحجّ، فقال لي: يا أشعب، كن معي، فقلت: بأبي أنت و أمي، أنا عليل، و ليست لي نية في الحج. فقال: عليه و عليه، و قال: إن الكعبة بيت النار، لئن لم تخرج معي لأودعك الحبس حتى أقدم، فخرجت معه مكرها، فلما نزلنا المنزل أظهر أنّه صائم و نام حتى تشاغل، ثم أكل ما في سفرته، و أمر غلامه أن يطعمني رغيفين بملح، فجنّت و عندي أنّه صائم، و لم أزل أنتظر المغرب/أتوقّع إفطاره، فلما صلّيت المغرب قلت لغلامه:

ما ينتظر بالأكل؟ قال: قد أكل منذ زمان، قلت: أو لم يكن صائما؟ قال: لا، قلت: فأطوي أنا؟ قال: قد أعدّ لك ما تأكله فكل، و أخرج إليّ الرغيفين و الملح فأكلتهما و بتّ ميّتا جوعا، و أصبحت فسرنا حتى نزلنا المنزل، فقال لغلامه: ابع لنا لحما بدرهم، فابتاعه، فقال: كّب لي قطعا، ففعل، فأكله و نصب القدر، فلما اغبرّت قال: اغرف لي منها قطعا، ففعل، فأكلها، ثم قال: اطرح فيها دقة و أطعمني منها، ففعل، ثم قال: ألق توابلها و أطعمني منها، ففعل؛ و أنا جالس انظر إليه لا يدعوني، فلما استوفى اللحم كلّ قال: يا غلام، أطعم أشعب، و رمى إليّ برغيفين، فجنّت إلى القدر و إذا ليس فيها إلا مرق و عظام، فأكلت الرغيفين، و أخرج له جرابا فيه فاكهة يابسة، فأخذ منها حفنة فأكلها، و بقي في كفّه كفّ لوز بقشره، و لم يكن له فيه حيلة، فرمى به إليّ و قال: كل هذا يا أشعب، فذهبت أكسر واحدة منها فإذا بضرسي قد انكسرت منه قطعة فسقطت/بين يديّ، و تباعدت أطلب حجرا أكسره به، فوجدته، فضربت له لوزة فظفرت - يعلم الله - مقدار رمية حجر، و عدوت في طلبها، فبينما أنا في ذلك إذ أقبل بنو مصعب - يعني ابن ثابت و إخوته - يلبّون بتلك الحلوق الجمهوريّة، فصحت بهم: الغوث الغوث العياذ بالله و بكم يا آل الزبير، الحقوني أدركوني، فركضوا إليّ، فلما رأوني قالوا: أشعب، ما لك و يلك! قلت: خذوني معكم تخلّصوني من الموت، فحملوني معهم، فجعلت أرفرف بيدي كما يفعل الفرخ إذا طلب الرزق من أبويه، فقالوا: ما لك و يلك! قلت: ليس هذا وقت الحديث، رزقوني مما معكم، فقد متّ ضرّا و جوعا منذ ثلاث، قال: فأطعموني حتى تراجع نفسي، و حملوني معهم في محمل، ثم قالوا: أخبرنا بقصّةك، فحدّثتهم و أريتهم ضرسي المكسورة، فجعلوا يضحكون/و يصفقون و قالوا: و يلك! من أين وقعت على هذا؟ هذا من أبخل خلق الله و أدنتهم نفسا، فحلفت بالطلاق أنني لا أدخل المدينة ما دام له بها سلطان، فلم أدخلها حتى عزل.

ص: 117

1- مد: «و أنكرهم».

2- ف: «و لا أنام».

أخبرني رضوان بن أحمد الصّيدلانيّ، قال: حدّثنا يوسف بن إبراهيم، قال: حدّثنا إبراهيم بن المهديّ، قال:

حدّثني عبدة بن أشعب، قال:

كان الغاضريّ مندر(1) أهل المدينة و مضحكهم قبل أبي، فأسقطه أبي و أطرح، و كان الغاضريّ حسن الوجه مادّ القامة عبلا فخما، و كان أبي قصيرا دميما قليل اللحم؛ إلاّ أنّه كان يتصرّم و يتوقّد ذكاء و حدّة و خفّة روح، و كان الغاضريّ يحسده إلاّ أنهما متساويان، و كان الغاضريّ لقيطا منبوذا لا يعرف له أب، فمرّ يوما - و معه فتية من قريش - بأبي في المسجد و قد تأذّي بشيابه فنزعها، و تجرّد و جلس عريانا، فقال لهم الغاضريّ: أنشدتكم الله هل رأيتم أعجب من هذه الخلقة! يريد خلقة أبي، فقال له أبي: إنّ خلقتي لعجيبة، و أعجب منها أنّه زقني(2) اثنان فصرت نضوا(3)، و زقك واحد فصرت بخيتا(4)، قال: و أهل المدينة يسمون المهلوس(5) من الفراه التّضو و المسرول(6) البختيّ، فغضب الغاضريّ عند ذلك و شتمه، فسقط و استبرد، و ترك النوادر بعد ذلك، و غلب أبي على أهل المدينة و استطابوه، و كان هذا سببه.

أشعب و زياد بن عبد الله الحارثي

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال:

كان زياد بن عبد الله الحارثيّ أبخل خلق الله، فأولم وليمة لطهر بعض أولاده، و كان التّاس يحضرون و يقدم الطّعام فلا يأكلون منه إلاّ تعلّلا و تشعّثا(7) لعلمهم به، فقدّم فيما قدّم جدي مشويّ فلم يعرض له أحد، و جعل يردّده على المائدة ثلاثة أيّام و الناس يجتنّبونه إلى أن انقضت الوليمة، فأصغى أشعب إلى بعض من كان هناك فقال: امرأته الطّلاق إن لم يكن هذا الجدّي بعد أن ذبح و شوي أطول عمرا و أمّد حياة منه قبل أن يذبح، فضحك الرّجل، و سمعها زياد فتغافل.

غضبت سكينه عليه فأمرت بحلق لحيته

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك، عن إسحاق، قال: حدّثني إبراهيم بن المهديّ، عن عبدة بن أشعب، قال:

غضبت سكينه على أبي في شيء خالفها فيه فحلفت لتحلقنّ لحيته، و دعت بالحجّام فقالت له: احلق لحيته، فقال له الحجّام: انفخ شديك حتى أتمكّن منك، فقال له: يا بن البظراء، أمرتك أن تحلق لحيّتي أو تعلّمني الرّمز! خبرني عن امرأتك إذا أردت أن تحلق/حرها تنفخ أشداقه! فغضب الحجّام و حلف ألاّ يحلق لحيته و انصرف، و بلغ سكينه الخبر و ما جرى بينهما فضحكت و عفت عنه.

ص: 118

1- أندر: أتى بالنوادر من قول أو فعل فهو مندر.

2- زق الطائر فرخه: أطعمه بفيه.

3- النضو: المهزول.

- 4- البختي: الواحد من الإبل الخراسانية.
- 5- هلسه المرض: هزله فهو مهلوس.
- 6- حمامة مسرولة: في رجليها ريش كأنه سراويل.
- 7- تشعث من الطعام: أكل منه قليلا.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدّثني أبو العيّناء، عن الأصمعيّ، قال:

أهدى كاتب لزياد بن عبد الله الحارثي إليه طعاما، فأتي به وقد تغدّى فغضب وقال: ما أصنع به وقد أكلت؟ ادعوا أهل الصّفة (1) يأكلونه، فبعث إليهم وسأل/كاتبه: فيم دعا أهل الصّفة؟ فعرف، فقال الكاتب: عرفوه أنّ في السّلال أخبصة (2) و حلواء و دجاجا و فراخا، فأخبر بذلك، فأمر بكشفها، فلما رآها أمر برفعها فرفعت، و جاء أهل الصّفة فأعلم، فقال: اضربوهم عشرين عشرين درّة، و احبسوهم فإنهم يفسون في مسجد رسول الله صلّى الله عليه و سلّم و يؤذون المصلّين، فكلّم فيهم، فقال: حلّفوهم ألاّ يعاودوا و أطلقوهم.

أشعب و أبان بن عثمان و الأعرابي

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا ابن زباله، قال: حدّثنا ابن زبنج راوية ابن هرمة، عن أبيه، قال:

كان أبان بن عثمان من أهزل النّاس و أحبّهم (3)، و بلغ من عبثه أنه كان يجيء بالليل إلى منزل رجل في أعلى المدينة له لقب يغضب منه فيقول له: أنا فلان بن فلان، ثم يهتف بلقبه، فيشتمه أقبح شتم و أبان يضحك. فبينما نحن ذات يوم عنده و عنده أشعب إذ أقبل أعرابيّ و معه جمل له، و الأعرابيّ أشقر أزرق أزعر (4) غضوب يتلظى كأنه أفعى، و يتبيّن الشّرّ في وجهه ما يدنو منه أحد إلا شتمه و نهره، فقال أشعب لأبان: هذا و الله من البادية (5) ادعوه، فدعي و قيل له: إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك، فأتاه فسلمّ عليه، فسأله أبان عن نسبه فانتسب له، فقال: حيّاك الله يا خالي، حبيب ازداد حبّا، فجلس، فقال له: إنّي في طلب جمل مثل جملك هذا منذ زمان فلم أجده كما أشتهي بهذه الصّفة، و هذه القامة، و اللون، و الصدر، و الورك، و الأخفاف، /فالحمد لله الذي جعل ظفري به من عند من أحبّه، أتبيعه؟ فقال: نعم أيها الأمير، فقال: فيأتي قد بذلت لك به مائة دينار - و كان الجمل يساوي عشرة دنانير - فطمع الأعرابيّ و سرّ و انتفخ، و بان السرور و الطمع في وجهه، فأقبل أبان على أشعب ثم قال له: ويلك يا أشعب! إن خالي هذا من أهلك و أقاربك - يعني في الطمع - فأوسع له ممّا عندك. فقال له: نعم بأبي أنت و زيادة، فقال له أبان: يا خالي، إنما زدتك في الثمن على بصيرة و إنما الجمل يساوي ستين دينارا، و لكن بذلت لك مائة لقلة التّفد عندنا، و إنني أعطيك به عروضاً (6) تساوي مائة، فزاد طمع الأعرابيّ و قال: قد قبلت ذلك أيها الأمير، فأسرّ إلى أشعب، فأخرج شيئاً مغطّى فقال له: أخرج ما جنت به، فأخرج جرد عمامة خزّ خلق تساوي أربعة دراهم، فقال له:

قَوْمها يا أشعب، فقال له: عمامة الأمير تعرف به، و يشهد فيها الأعياد و الجمع و يلقي فيها الخلفاء؛ خمسون دينارا.

ص: 119

1- أهل الصّفة: فقراء المهاجرين و من لم يكن له منزل يسكنه فكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه.

2- الأخبصة جمع خبيص؛ و هي الحلواء المخلوطة من التمر و السمن.

3- مد، و نهاية الأرب 4:34: «و أولعهم».

4- الأزعر: السبيّ الخلق.

5- ف: «الهابة»، أي الصنف. يقال: هذا بابته: من الصنف الذي يصلح للسخرية. و في معجم البلدان 1:452: بابته: من قرى بخارى.

6- العروض جمع عرض، و هو كل شيء سوى الدراهم و الدنانير.

فقال: ضعها بين يديه. وقال لابن زبنج، أثبت قيمتها. فكتب ذلك، ووضعت العمامة بين يدي الأعرابي، فكاد يدخل بعضه في بعض غيظا، ولم يقدر على الكلام، ثم قال: هات قلنسوتي، فأخرج قلنسوة طويلة خلقة قد علاها الوسخ والدهن وتخزقت، تساوي نصف درهم، فقال: قَوْم، فقال: قلنسوة الأمر تعلقها منته/و يصلّي فيها الصلوات الخمس، ويجلس للحكم؛ ثلاثون دينارا. قال: أثبت، فأثبت ذلك، ووضعت القلنسوة بين يدي الأعرابي، فتربّد وجهه وحفظت عيناه وهمّ بالوثوب، ثم تماسك وهو متقلقل.

ثم قال لأشعب: هات ما عندك، فأخرج خفين خلقين قد نقبا(1) ونقشّرا وتفتّقا، فقال له: قَوْم، فقال: خفا الأمير يطأ بهما الروضة، ويعلو بهما منبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ أربعون دينارا. فقال: ضعهما بين يديه فوضعهما. ثم قال للأعرابي: اضمم إليك متاعك، وقال لبعض الأعوان: اذهب فخذ الجمل، وقال لآخر: امض مع الأعرابي فاقبض منه ما بقي لنا عليه من ثمن المتاع وهو عشرون دينارا، فوثب الأعرابي فأخذ القماش فضرب به وجوه القوم لا يألوفي شدة الرمي به، ثم قال له: أتدري أصلحك الله من أي شيء أموت؟ قال: لا، قال: لم أدرك أباك عثمان فأشترك والله في دمه إذ ولد مثلك، ثم نهض مثل المجنون حتى أخذ برأس بعيره، وضحك أبان حتى سقط وضحك كل من كان معه. وكان الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له: هلم إلي يا بن الخبيثة حتى أكافئك على تقويمك المتاع يوم قَوْم، فيهرب أشعب منه.

يخشى أن تحسده العجوز على خفة موته

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني، قال: حدّثني شيخ من أهل المدينة، قال:

كانت بالمدينة عجوز شديدة العين، لا تنظر إلى شيء تستحسنه إلا عانتها(2)، فدخلت على أشعب وهو في الموت، وهو يقول لبنته: يا بنتي، إذا متّ فلا تنديني، والناس يسمعونك، فتقولين: وا أبتاه أندبك للصوم والصلوات، وا أبتاه أندبك للفقه والقراءة، فيكذبك الناس ويلعنوني. والثفت أشعب فرأى المرأة، فغطى وجهه بكفّه وقال لها: يا فلانة بالله إن كنت استحسنيت شيئا ممّا أنا فيه فصلّي على النبي صلى الله عليه وسلم لا تهلكيني. فغضبت المرأة وقالت: سخنت عينك(3)، في أي شيء أنت مما يستحسن! أنت في آخر رمق! قال: قد علمت ولكن قلت لئلا تكوني/قد استحسنيت خفة الموت عليّ وسهولة التّرع، فيشتدّ ما أنا فيه. وخرجت من عنده وهي تشتمه، وضحك كل من كان حوله من كلامه، ثم مات.

أمثلة من طرائفه وطمعه

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا أحمد بن أبي طاهر، قال: حدّثنا أبو أيوب المدني، عن مصعب، قال:

لاعب أشعب رجلا بالنرد، فأشرف على أن يقرمه إلا بضرب دويكين، ووقع الفصان في يد ملاعبه، فأصابه

ص: 120

1- نقبا: تخرقا.

2- عانتها: حسدته.

3- سخنت عينك، نقيض قرّت.

زمع (1) و جزع، فضرِب يَكِين و ضرط مع الضَّرْبَة فقال له أشعب: امرأته طالق إن لم أحسب لك الضَّرْطَة بنقطة حتى يصير لك اليكَّان دو و يك و تقمر (2). و سلّم له القمر بسبب الضَّرْطَة.

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا أحمد، قال: حدّثني أبو أيّوب، عن حمّاد، عن ابن إسحاق، عن أبيه، قال:

قال رجل لأشعب: كان أبوك ألحى و أنت أنط (3) فإلى من خرجت؟ قال: إلى أمي، فمَرَّ الرجل و هو يعجب من جوابه، و كان رجلاً صالحاً.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدّثني الرّياشي، قال:

سمعت أبا عاصم النبيل يقول: رأيت أشعب و سأله رجل: ما بلغ من طمعك؟ قال: ما زفّت عروس بالمدينة إلى زوجها قطّ إلا فتحت بابي، رجاء أن تهدي إليّ.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي، قال: حدّثنا الزّبير بن بكار، عن عمّه، قال:

تظلمت/ امرأة أشعب منه إلى أبي بكر محمد (4) بن عمرو بن حزم و قالت: /لا يدعني أهدأ من كثرة الجماع، فقال له أشعب: أتراني أعلف و لا أركب، لتكفّ ضرسها لأكفّ أيري.

قال: و شكّا خال لأشعب إليه امرأته و أنها تخونه في ماله، فقال له: فديتك لا تأمن قحبة، و لو أنّها أمك، فانصرف عنه و هو يشتمه.

أخبرني عمّي، قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني قعنب بن المحرز، عن الأصمعيّ، عن جعفر بن سليمان، قال:

قدم علينا أشعب أيّام أبي جعفر، فأطاف به فتیان بني هاشم، و سألوه أن يغنيّ فغنّاهم فإذا ألحانه مطربة (5) و حلّقه على حاله، فسألوه: لمن هذا اللّحن:

لمن طلل بذات الج *** يش أمسى دارسا خلقاً؟

فقال: للدلال، و أخذته عن معبد، و لقد كنت آخذ عنه الصوت، فإذا سئل عنه قال: عليكم بأشعب فإنه أحسن أداء له مني.

الحسن بن الحسن بن علي يعث به

إشارة

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: ذكر الزّبير بن بكار، عن شعيب بن عبيدة بن أشعب، عن أبيه، قال:

كان الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السّلام يعث بلبي أشدّ عبث، و ربما أراه في عبثه أنه قد ثمل و أنه يعربد عليه، ثم يخرج إليه بسيف مسلول و يريه أنه يريد قتله، فيجري بينهما في ذلك كلّ مستمع، فهجره أبي مدّة طويلة، ثم لقيه يوماً، فقال له: يا أشعب، هجرتني و قطعنتني و نسيت عهدي، فقال له: بأبي أنت و أمي، لو كنت تعربد بغير السّيف ما هجرتك، و لكن ليس مع السّيف لعب، فقال له: فأنا أعفيك من هذا فلا تراه منّي أبداً،

- 1- الزمع: الدهش و الخوف.
- 2- قمره قمرا: غلبه في لعب القمار.
- 3- الأثط: الذي لا لحية له.
- 4- ب، س: «إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم».
- 5- ف: «فاذا ألعانه طرية».

وهذه عشرة دنانير، و لك حماري الذي/تحتي أحملك عليه، و صر إليّ و لك الشرط ألاّ ترى في داري سيفاً، قال:

لا و الله أو تخرج كلّ سيف في دارك قبل أن نأكل قال: ذلك لك، قال: فجاءه أبي، و وقى له بما قال من الهبة و إخراج السيوف، و خلفّ عنده سيفاً في الدار، فلما توسّط الأمر قام إلى البيت فأخرج السيف مشهوراً، ثم قال:

يا أشعب إنما أخرجت هذا السيف لخير أريده بك، قال: بأبي أنت و أمي، و أيّ خير يكون مع السيّف؟ أ لست تذكر الشرط بيننا؟ قال له: فاسمع ما أقول لك، لست أضربك به، و لا يلحقك منه شيء تكرهه، و إنما أريد أن أضجعك و أجلس على صدرك، ثم أخذ جلدة حلقك بإصبعي من غير أن أقبض على عصب و لا ودج و لا مقتل، فأحزّها بالسيف، ثم أقوم عن صدرك و أعطيك عشرين ديناراً، فقال: نشدتك الله يا بن رسول الله ألاّ تفعل بي هذا! و جعل يصرخ و يبكي و يستغيث، و الحسن لا يزيده على الحلف له أنه لا يقتله، و لا يتجاوز به أن يحزّ جلده فقط، و يتوعّده مع ذلك بأنّه إن لم يفعل طائعا فعله كارها، حتى إذا طال الخطب بينهما، و اكتفى الحسن من المزح معه، أراه أنّه يتغافل عنه، و قال له: أنت لا تفعل هذا طائعا، و لكن أجىء بحبل فأكتفك به، و مضى كأنه يجيء بحبل، فهرب أشعب و تسوّر حائطاً بينه و بين عبد الله بن حسن أخيه فسقط إلى داره، فانفكّت رجله و أغمي عليه، فخرج عبد الله فرعاً، فسأله عن قصته، فأخبره، فضحك منه و أمر له بعشرين ديناراً، و أقام في منزله/يعالجه و يعوله إلى أن صلحت حاله. قال: و ما رآه الحسن بن الحسن بعدها.

و أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدّثنا الزبير بن بكار، قال: حدّثني عمّي، قال:

دعا حسن بن حسن بن عليّ عليهم السّلام أشعب، فأقام عنده، فقال لأشعب يوماً: أنا أشتهي كبد هذه الشّاة - لشاة عنده عزيزة عليه فارهة - فقال له أشعب: /بأبي أنت و أمي اعطنيها و أنا أذبح لك أسمن شاة بالمدينة، فقال:

أخبرك أني أشتهي كبد هذه و تقول لي: أسمن شاة بالمدينة، اذبح يا غلام، فذبحها و شوى له من كبدها و أطايبها، فأكل. ثم قال لأشعب من الغد: يا أشعب أنا أشتهي من كبد نجيبى هذا - لنجيب كان عنده ثمّنه ألوف دراهم - فقال له أشعب: يا سيدي في ثمن هذا و الله غناي، فأعطني و أنا و الله أطعمك من كبد كلّ جزور بالمدينة، فقال: أخبرك أنّي أشتهي من كبد هذا و تطعمني من غيره! يا غلام انحر، فنحر التّجيب و شوى كبده فأكلا، فلما كان اليوم الثالث قال له: يا أشعب، أنا و الله أشتهي أن أكل من كبديك، فقال له: سبحان الله أ تأكل من أكباد النّاس! قال: قد أخبرتك، فوثب أشعب فرمى بنفسه من درجة عالية فانكسرت رجله، فقيل له: و يلك أظننت أنّه يذبحك؟ فقال: و الله لو أنّ كبدي و جميع أكباد العالمين جميعاً اشتهاها لأكلها. و إنّما فعل حسن بالشّاة و التّجيب ما فعل توطئة للعبث بأشعب.

تمت أخباره.

صوت

ألّمت خناس و إمامها *** أحاديث نفس و أحلامها

يمانية من بني مالك *** تطاول في المجد أعمامها

الشعر لعويّف القوافي الفزاريّ و الغناء للهلديّ رمل بالوسطى، عن عمرو، و ذكر حمّاد(1) بن إسحاق، عن أبيه أن فيه لحنا لجميلة و لم يذكر طريقته، و فيه لأبي العبيس بن حمدون خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى.

1- مد: «أحمد بن إسحاق».

هو عوفيف بن معاوية بن عقبة بن حصن، وقيل: ابن عقبة بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جؤيية بن لوزان بن ثعلبة بن عدوي بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار.

وعوفيف القوافي شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية من ساكني الكوفة، وبيته أحد البيوت المقدّمة الفاخرة في العرب.

بيوتات العرب المشهورة بالشرف ثلاثة

قال أبو عبيدة: حدّثني أبو عمرو بن العلاء أنّ العرب كانت تعدّ البيوتات المشهورة بالكبر والشرف من القبائل بعد بيت هاشم بن عبد مناف في قريش ثلاثة بيوت، ومنهم من يقول أربعة، أولها بيت آل حذيفة بن بدر الفزاريّ بيت قيس، وبيت آل زرارة بن عدس الدارميّين بيت تميم، وبيت آل ذي الجديّين بن عبد الله بن همّام بيت شيبان، وبيت بني الديان من بني الحارث بن كعب بيت اليمن.

و أما كندة فلا يعدّون/من أهل البيوتات، إنما كانوا ملوكا.

كسرى يسأل النعمان عن شرف القبيلة

وقال ابن الكلبيّ: قال كسرى للنعمان: هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة؟ قال: نعم. قال: بأيّ شيء؟ قال: من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء، ثم اتّصل ذلك بكمال الرّابع، والبيت من قبيلته فيه، قال: فاطلب لي ذلك، فطلبه فلم يصبه إلا في آل حذيفة بن بدر بيت قيس بن عيلان، و آل حاجب بن زرارة بيت تميم، و آل ذي الجديّين بيت شيبان، و آل الأشعث بن قيس بيت كندة. قال: فجمع هؤلاء/الرّهط و من تبعهم من عشائريهم، فأقعد لهم الحكّام العدول، فأقبل من كلّ قوم منهم شاعرهم، و قال لهم: ليتكلّم كلّ رجل منكم بماثر قومه و فعالهم، و ليقل شاعرهم فيصدق، فقام حذيفة بن بدر - و كان أسنّ القوم و أجراهم مقدما - فقال: لقد علمت معدّ أنّ منا الشرف الأقدم، و العزّ الأعظم، و مآثرة الصّنيع الأكرم، فقال من حوله: و لم ذاك يا أخا فزارة؟ فقال: ألسنا الدّعائم التي لا ترام، و العزّ الذي لا يضام! قيل له: صدقت، ثم قام شاعرهم فقال:

فزارة بيت العزّ و العزّ فيهم *** فزارة قيس حسب قيس نضالها

لها العزّة القعساء و الحسب الذي *** بناه لقيس في القديم رجالها

فمن ذا إذا مدّ الأكتف إلى العلا *** يمدّ بأخرى مثلها فينالها

فهيها قد أعيا القرون مضت *** مآثر قيس مجدها و فعالها

و هل أحد إن مدّ يوماً بكفّه *** إلى الشمس في مجرى النجوم ينالها!

و إن يصلحوا يصلح لذلك جميعنا *** و إن يفسدوا يفسد على الناس حالها(1)

ثم قام الأشعث بن قيس - و إنما أذن له أن يقوم قبل ربيعة و تميم لقربته بالتعمان - فقال: لقد علمت العرب أننا نقاتل عديدها الأكثر، و قديم زحفها الأكبر، و أنا غياث اللّزبات(2). فقالوا: لم يا أخا كندة؟ قال: لأنّا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفئائه، و تقلدنا منكبه الأعظم، و توسّطنا بحبوحه الأكرم، ثم قام شاعرهم فقال:

/إذا قست أبيات الرّجال بيبتنا *** وجدت له فضلاً على من يفاخر

فمن قال: كلاً أو أتانا بخطة *** ينافرنا يوماً فنحن نخاطر

تعالوا فعدّوا يعلم الناس أيننا *** له الفضل فيما أورثته الأكابر

ثم قام بسطام بن قيس فقال: لقد علمت ربيعة أننا بناه بيتها الذي لا يزول، و مغرس عزّها الذي لا ينقل، قالوا: و لم يا أخا شيبان؟ قال: لأنّا أدركهم للثأر، و أقتلهم للملك الجبار، و أقولهم للحقّ، و ألدهم للنخصم، ثم قام شاعرهم فقال:

لعمري لبسطام أحقّ بفضلها *** و أولى بيت العزّ عزّ القبائل

فسائل - أبيت اللّعن - عن عزّ قومنا *** إذا جدّ يوم الفخر كلّ مناضل

ألسنا أعزّ الناس قوماً و أسرة *** و أضربهم للكباش(3) بين القبائل

فيخبرك الأقوام عنها فإنها(4) *** وقائع ليست نهزة للقبائل

/وقائع عزّ كلّها ربعية *** تدلّ لهم فيها رقاب المحافل

إذا ذكرت لم ينكر الناس فضلها *** و عاذ بها من شرّها كلّ قائل

و إنّ ملوك الناس في كل بلدة *** إذا نزلت بالناس إحدى الزّلازل

ثم قام حاجب بن زرارة فقال: لقد علمت معدّ أننا فرع دعامتها، و قادة زحفها، فقالوا له: بم ذلك يا أخا بني تميم؟ قال: لأنّا أكثر الناس إذا نسبنا عددا(5)، و أنجبهم ولداً، و أنّا أعطاهم للجزيل، و أحملهم للتّثليل، ثم قام شاعرهم فقال:

لقد علمت أبناء(6) خندف أنّنا *** لنا العزّ قدما في الخطوب الأوائل

و أنّا هجان(7) أهل مجد و ثروة *** و عزّ قديم ليس بالمتضائل

/فكم فيهم من سيّد و ابن سيّد *** أغرّ نجيب ذي فعال و نائل

- 1- ف، المختار: فإن تصالحو نصلح كذاك جميعنا وإن تفسدوا يفسد على الناس حلها
- 2- اللزبات جمع لزبة، وهي الشدة أو القحط.
- 3- الكيش هنا: سيد القوم وقائدهم، وقيل: المنظور إليهم فيهم.
- 4- ف: «فيخبرك الأقسام عنا بأنها».
- 5- مي، مد: «إذا شئنا عديدا».
- 6- مد: «آباء».
- 7- الهجان: أخيار و الخالص من كل شيء، يستوي فيه المذكر و المؤنث و المفرد و المثنى و الجمع.

فسائل - أبيت اللعن - عَنَّا فَإِنَّا *** دعائم هذا النَّاس عند الجلائل

ثم قام قيس بن عاصم فقال: لقد علم هؤلاء أَنَّا أرفعهم في المكرمات دعائم، وأثبتهم في النَّائبات مقاوم، قالوا: ولم ذاك يا أخا بني سعد؟ قال: لأنَّ أمتهم للجار، وأدركهم للثَّار، و أَنَّا لا ننكل (1) إذا حملنا، ولا نرام إذا حللنا، ثم قام شاعرهم فقال:

لقد علمت قيس و خندف كلَّها *** و جلّ تميم و الجموع التي ترى (2)

بأنَّا عماد في الأمور و أَنَّا *** لنا الشرف الضنخ المركب في التدى

و أَنَّا ليوث النَّاس في كل مأزق *** إذا اجتزَّ بالبيض الجماجم و الطلى (3)

و أَنَّا إذا دعانا لنجدة *** أجبنا سراعاً في العلا ثم من دعا

فمن ذا ليوم الفخر يعدل عاصماً *** و قيساً إذا مدَّ الأكتف إلى العلا

فهيهات قد أعياء الجميع فعالهم *** و فاتوا بيوم الفخر مسعاة من سعى

فلما سمع كسرى ذلك منهم قال (4): ليس منهم إلا سيّد يصلح لموضعه، فأثنى حباؤهم.

سبب تسميته عوف القوافي

و إنّما قيل لعوف: عوف القوافي لبيت قاله، نسخت خبره في ذلك من كتاب محمد بن الحسن بن دريد و لم أسمع منه. قال: أخبرنا السّكن بن سعيد، عن محمد بن عبّاد، عن ابن الكلبيّ، قال:

أقبل عوف القوافي - و هو عوف بن معاوية بن عقبة بن حصن بن حذيفة/الفزاريّ، و إنّما قيل له عوف القوافي، كما حدّثني عمّار بن أبان بن سعيد بن عيينة، ببيت قاله:

سأ كذب من قد كان يزعم أنّي *** إذا قلت قولاً لا أجد القوافيا

قال: فوقف على جرير بن عبد الله البجليّ و هو في مجلسه (5) فقال:

أصبّ على بجيلة من شقاها *** هجائي حين أدركني المشيب

فقال له جرير: أ لا أشترى منك أعراض بجيلة؟ قال: بلى، قال: بكم؟ قال: بألف درهم و برزون، فأمر له بما طلب فقال:

لولا جرير هلكت بجيله *** نعم الفتى و بسّ القبيله

فقال جرير: ما أراهم نجوا منك بعد.

نسخت من كتاب أبي سعيد السكريّ في كتاب/ «من قال بيتاً فلّقّب به» قال: أخبرني محمد بن حبيب قال:

وإنّما قيل لعويّف: عويّف القوافي لقوله، وقد كان بعض الشعراء عيّره بأنّه لا يجيد الشعر، فقال أبياتا منها:

ص: 125

1- ف: «نتكل».

2- ف، مي، مد: «والجموع الذي ترى».

3- الطلى: الرقاب. وفي ف: «إذا اختل بالبيض الجماجم والطفى».

4- في مد: «قال لقيس: ما منهم إلا سيد... الخ».

5- ب: «في مسجده».

سأكذب من قد كان يزعم أنني *** إذا قلت شعرا(1) لا أجيد القوافيا

فسمي عويف القوافي.

قصته مع عبد الملك بن مروان

أخبرنا محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثني أحمد(2) بن إسحاق، عن أبيه، قال: حدّثني عزيز بن طلحة بن عبد الله بن عثمان بن الأرقم المخزومي، قال: حدّثني غير واحد من مشيخة قريش، قالوا:

لم يكن رجل من ولادة أولاد عبد الملك بن مروان كان أنفَس على قومه، ولا أحسد/لهم من الوليد بن عبد الملك. فأذن يوما للنّاس فدخلوا عليه؛ وأذن للشّعراء، فكان أوّل من بدر بين يديه عويف القوافي الفزاريّ، فاستأذنه في الإنشاد فقال: ما بقيت لي بعد ما قلت لأخي بني زهرة! قال: و ما قلت له مع ما قلت لأمير المؤمنين؟ قال: أ لست الذي تقول:

يا طلح أنت أخو النّدى و حليفه *** إنّ النّدى من بعد طلحة ماتا

إنّ الفعّال إليك أطلق رحله *** فبحيث بتّ من المنازل باتا

أ و لست الذي تقول:

إذا ما جاء يومك يا بن عوف *** فلا مطرت على الأرض السّماء

و لا سار البشير(3) بغنم جيش *** و لا حملت على الطّهر النّساء

تساقى الناس بعدك يا بن عوف *** ذريع الموت ليس له شفاء

أ لم تقم علينا السّاعة يوم قامت عليه؟ لا و الله لا أسمع منك شيئا، و لا أنفكع بِنافعة أبدا، أخرجوه عني.

قصته مع طلحة أخي بني زهرة

فلما أخرج قال له القرشيون و الشاميون: و ما الذي أعطاك طلحة حين استخرج هذا منك؟ قال: أما و الله لقد أعطاني غيره أكثر من عطيتي، و لكن لا و الله ما أعطاني أحد قطّ أحلى في قلبي و لا أبقي شكرا و لا أجدر ألاّ أنساها ما عرفت الصّلات من عطيتي، قالوا: و ما أعطاك؟ قال: قدمت المدينة و معي بضیعة(4) لي لا تبلغ عشرة دنانير، أريد أن أبتاع قعودا من قعدان الصّدقة، فإذا برجل في صحن السّوق على طنفسة(5) قد طرحته، و إذا النّاس حوله، و إذا بين يديه إبل معلوفة(6) له، فظننت/أنه عامل السّوق، فسلمت عليه، فأثبتني و جهلته، فقلت: أي رحمك الله، هل أنت معيني ببصرك على قعود من هذه القعدان تبتاعه لي؟ فقال: نعم، أو معك ثمنه؟ فقلت: نعم، فأهوى بيده إليّ فأعطيتني بضیعتي، فرفع طنفسته و ألقاها تحتها، و مكث طويلا، ثم قمت إليه فقلت: أي رحمك الله، انظر في حاجتي فقال: ما منعني منك إلا التّسيان، أم معك حبل؟ قلت: نعم، قال: هكذا أفرجوا، فأفرجوا عنه حتى استقبل

- 1- ف: «إذا قلت قولاً».
- 2- ف: «حماد بن إسحاق».
- 3- ف، التجريد، مد: «العزير».
- 4- بضیعة: تصغیر بضاعة، و هي مقدار من المال، يعد للتجارة.
- 5- الطنفسة: البساط.
- 6- مي، المختار: «معقولة».

الإبل التي بين يديه، فقال: اقرن(1) هذه وهذه وهذه، فما برحت حتى أمر لي بثلاثين بكرة أدنى بكرة منها - ولا دنية فيها - خير من بضاعتي. ثم رفع طنفسه فقال: و شأنك ببضاعتك فاستعن بها على من ترجع إليه، فقلت: أي رحمتك الله، أتدري ما تقول! فما بقي عنده إلا من نهري و شتمني، ثم بعث معي نفرا فأطردوها حتى أطلعوها من رأس/الثنية، فوالله لا أنساه ما دمت حيا أبدا.

و هذا الصوت المذكور تمثّل به إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن علي بن علي يوم مقتله.

حدّثني ابن عبيد الله(2) بن عمّار، قال: حدّثني ميسرة بن سيّار(3) أبو محمد، قال: حدّثني إبراهيم بن علي الرافقي، عن المفضّل الصّبيّ، و حدّثنا يحيى بن علي بن يحيى المنجّم، و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا:

حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثني عبد الملك بن سليمان، عن علي بن الحسن، عن المفضّل الصّبيّ؛ و رواية ابن عمّار أتمّ من هذه الرّواية(4).

و نسخت هذا الخبر أيضا من بعض الكتب عن أبي حاتم السّجستانيّ، عن أبي عثمان اليقطريّ(5)، عن أبيه، عن المفضّل، و هو أتمّ الرّوايات، و أكثر اللفظ له قال:

قال المفضّل: خرجت مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن، فلما صار بالمربد، وقف على رأس سليمان بن عليّ فأخرج إليه صبيان من ولده، فضمّهم(6) إليه و قال: هؤلاء و الله منّا و نحن منهم، إلا أنّ آباهم فعلوا بنا و صنعوا، و ذكر كلاما يعتدّ عليهم فيه بالإساءة، ثم توجه لوجهه و تمثّل:

مهلا بني عمّنا ظلامتنا *** إنّ بنا سورة من القلق

لمثلكم نحمل السيوف و لا *** تغمز أحسابنا من الدّفق(7)

إنّي لأنمي إذا انتميت إلى *** عزّ عزيز و معشر صدق

بيض سباط كأنّ أعينهم *** تكحل يوم الهياج بالعلق(8)

فقلت: ما أفحل هذه الأبيات، فلمن هي؟ قال: لضرار بن الخطّاب الفهريّ، قالها يوم الخندق، و تمثّل بها عليّ بن أبي طالب عليه السّلام يوم صفّين، و الحسين بن عليّ يوم قتل، و زيد بن عليّ عليهم السّلام، و لحق القوم، ثم مضى إلى باخمرى(9)، فلما قرب منها أتاه نعي أخيه محمد، فتمثّل:

نبت أنّ بني ربيعة أجمعوا *** أمرا خلالهم لتقتل خالدا

إن يقتلونني لا تصب أرماعهم *** ثأري و يسعى القوم سعيا جاهدا

- 2- ف: «أحمد بن عبيد الله بن عمار».
- 3- ف، مي: «ميسرة بن حسان».
- 4- مي: «أتم الروايات».
- 5- ف: «القطيني».
- 6- ف: «صبيان من ولده فضمهما إليه».
- 7- الدَّقق: جمع ذاق وهم المظهرون عيوب الناس. وفي ب: «من الرفق».
- 8- العلق جمع علوق، وهي المنية. وفي ف، مي، مد: «بالزرق».
- 9- باخمري: موضع بين الكوفة وواسط، وهو إلى الكوفة أقرب؛ «معجم البلدان».

أرمني الطريق وإن صددت بضيقه *** و أنازل البطل الكميّ الجاحدا

/فقلت: لمن هذه الأبيات؟ فقال: للأحوص بن جعفر بن كلاب، تمثّل بها يوم شعب جبلة، وهو اليوم الذي لقيت فيه قيس تميمًا، قال: و أقبلت عساكر أبي جعفر، فقتل من أصحابه و قتل من القوم، و كاد أن يكون الظفر له (1).

قال ابن عمّار في حديثه: قال المفضّل: فقال لي: حرّكتني بشيء، فأنشدته هذه الأبيات:

ألا أيّها التّاهي فزارة بعد ما *** أجدت بسير إنما أنت حالم

أبي كلّ حرّ أن يبيت بوتره *** و يمنع منه النوم إذا أنت نائم

أقول لفتيان العشيّ: ترّوحوا *** على الجرد في أفواههنّ الشّكائم

قفوا وقفة من يحيي لا يخز بعدها *** و من يخترم لا تتّبعه اللّوائم

و هل أنت إن باعدت نفسك منهم *** لتسلم فيما بعد ذلك سالم

فقال لي: أعد، فتنبّهت، و ندمت، فقلت: أو غير ذلك؟ فقال: لا، أعدها، فأعدتها، فتمطّى في ركابه حتى خلته قد قطعهما، ثم حمل فكان آخر العهد به.

هذه رواية ابن عمّار، و في الرواية الأخرى: / فحمل فطعن رجلا، و طعنه آخر، فقلت: أتباشر الحرب بنفسك و العسكر منوط بك؟ فقال: إليك يا أخا بني ضبّة، كأنّ عويفا أخا بني فزارة نظر في يومنا هذا حيث يقول:

ألّمّت خناس و إمامها *** أحاديث نفس و أحلامها (2)

يمانّيّة من بني مالك *** تطاول في المجد أعمامها

/وإنّ لنا أصل جرثومة *** تردّ الحوادث أيّامها

تردّ الكتيبة مغلولة *** بها أفنها و بها أمها (3)

قال: و جاءه السّهم العائر (4) فشغله عني.

اعترض عمر بن عبد العزيز و أسمعه شعرا

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ، قال: حدّثنا الحسن بن عليل العنزّي، قال: حدّثني محمد بن معاوية الأسديّ، قال: حدّثني أصحابنا الأسديّون، عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعريّ، قال:

حضرت مع عمر بن عبد العزيز جنازة، فلما انصرف انصرفت معه، و عليه عمامة قد سدّلها من خلفه، فما علمت به حتى اعتراضه رجل على بعير فصاح به:

-
- 1- مي: «الغزوله».
 - 2- ب: «وأسقامها».
 - 3- ب: «وبها ذامها». والأفن: ضعف الرأي، والآم: العيب والنقص.
 - 4- العائر من السهام: ما لا يدري راميه. وفي ف: «العابر».
 - 5- ف: «على حوضه يحظيك منه دراكا». وفي المختار: «على حوضه يسقى به ويراكا». وفي الخزانة 3:88: «على حوضه مستبشرا و أراكا».

فقال له عمر: لبيك، ووقف ووقف النَّاس معه، ثم قال له: فمه، فقال:

فأنت امرؤ كلتا يديك مفيدة *** شمالك خير من يمين سواكا

قال: ثم مه، فقال:

بلغت مدى المجربين قبلك إذ جروا *** ولم يبلغ المجرون بعد مداكا(1)

فجداك لا جدّين أكرم منهما *** هناك تناهي المجد ثم هناكا

فقال له عمر: ألا أراك شاعرا! ما لك عندي من حقّ، قال: لا، ولكني سائل/و ابن سبيل و ذو سهمه(2).

فالتفت عمر إلى قهرمانه فقال: أعطه فضل نفقتي، قال: وإذا هو عويف القوافي الفزاريّ .

هجا بني مرة

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدّثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبدة، قال:

لما كان يوم ابن جرح، وافتلت(3) بنو مرة و بنو حنّ بن عذرة، قال عويف القوافي لبني مرة يهجوهم و يوبّخهم بتركهم نصرهم:

كنّا لكم يا مرّ أمّا حفيّة *** و كنتم لنا يا مرّ بوّا(4) مجلّدا

و كنتم لنا سيفا و كنّا وعاءه *** إذا نحن خفنا أن يكلّ فيغمدا

عقيل بن علفة يجيبه بقصيدة

فأجابه عقيل بن علفة بقصيدته التي أولها:

أ ماويّ إنّ الركب مرتحل غدا *** و حقّ ثويّ نازل أن يزودا

يقول فيها يخاطب عويفا:

إذا قلت: قد سامحت سهما و مازنا(5) *** أبايّ النسب الداني و كفرهم اليدا

و قد أسلموا أستاذهم لقبيلة *** قضاعيّة يدعون حنّا(6) و أصيدا

فما كنت أمّا بل جعلت لك لي أخوا *** و قد كنت في النَّاس الطّريد المشردا

عويف استها قد رمت ويلك مجدنا *** قديما فلم تعد الحمار المقيدا

أو لو أنّني يوم ابن جرح لقيتهم *** لجرّدت في الأعداء عضبا مهندا

وأيّات عويف هذه يقولها يوم مرج راهط؛ وهي الحرب التي كانت بين قيس و كلب.

ص: 129

-
- 1- ف، المختار: «ولن يدرك المجرون بعد مداكا».
 - 2- السّهمة: القرابة، والنصيب، والقسمة، وفي المختار: «وذو نهمة».
 - 3- ف: «وأقبلت بنو مرة».
 - 4- البو: جلد ولد الناقة يحشى تبنا بعد موته ويقرب من أمه لتدرّ عليه.
 - 5- ف: «أيا قلب قد سامحت شمخا و مازنا».
 - 6- حن: أبو حي من عذرة.

أخبرني بالسَّبب فيه أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: أخبرني سليمان بن أيّوب بن أعيّن أبو أيّوب المدنيّ (1)، قال: حدّثنا المدائنيّ، قال:

كان بدء حرب قيس و كلب في فتنة ابن الزبير ما كان من وقعة مرج راهط، و كان من قصّة المرح أن مروان بن الحكم بن أبي العاص قدم بعد هلاك يزيد بن معاوية و الثّاس يموجون، و كان سعيد بن بحدل الكلبيّ على قَتَسرين، فوثب عليه زفر بن الحارث فأخرجه منها و بايع لابن الزبير، فلما قعد زفر على المنبر قال: الحمد لله الذي أقعدني مقعد الغادر الفاجر، و حصر، فضحك الناس من قوله، و كان التّعمان بن بشير على حمص، فبايع لابن الزبير. و كان حسان (2) بن بحدل على فلسطين و الأردنّ، فاستعمل على فلسطين روح بن زنباع الجذاميّ، و نزل هو الأردنّ فوثب نابل بن قيس الجذاميّ على روح بن زنباع، فأخرجه من فلسطين و بايع لابن الزبير.

موقف الضحاك بن قيس الفهري

و كان الضّحّاك بن قيس الفهريّ عاملاً ليزيد بن معاوية على دمشق حتى هلك، فجعل يقدّم رجلاً و يؤخّر أخرى، إذا جاءته اليمانية و شيعة بني أميّة أخبرهم أنه أمويّ، و إذا جاءته القيسية أخبرهم أنه يدعو إلى ابن الزبير، فلما قدم مروان قال له الضّحّاك: هل لك أن تقدم على ابن الزبير ببينة أهل الشام؟ قال: نعم، و خرج من عنده، فلقاه عمرو بن سعيد بن العاص، و مالك بن هبيرة، و حصين بن نمير الكنديّان، و عبيد الله بن زياد، فسألوه عمّا أخبره به الضّحّاك، فأخبرهم، فقالوا له: أنت شيخ بني أميّة، و أنت عمّ الخليفة، هلمّ نبايعك. فلما فشا ذلك أرسل الضّحّاك إلى بني أميّة/يعتذر إليهم، و يذكر حسن بلائهم عنده، و أنّه لم يرد شيئاً يكرهونه، فاجتمع مروان بن الحكم، و عمرو بن سعيد بن العاص، و خالد و عبد الله ابنا يزيد بن معاوية و قال لهم: اكتبوا إلى حسان بن بحدل فليسر من الأردنّ حتى ينزل الجابية، و نسير من هاهنا حتى نلقاه، فيستخلف رجلاً-ترضونه، فكتبوا إلى حسان، فأقبل في أهل الأردنّ، و سار الضّحّاك بن قيس و بنو أميّة في أهل دمشق، فلما استقلّت الزايات من جهة دمشق، قالت القيسية للضّحّاك: دعوتنا لبينة ابن الزبير، و هو رجل هذه الأمة، فلما تابعتك خرجت تابعا لهذا الأعرابيّ من كلب تبايع لابن أخته تابعا له، قال: فتقولون ما ذا؟ قالوا: نقول: أن تنصرف و تظهر بيعة ابن الزبير و نظهرها معك، فأجابهم إلى ذلك، و سار حتى نزل مرج راهط، و أقبل حسان حتى لقي مروان بن الحكم، فسار حتى دخل دمشق، فأتته اليمانية تشكر بلاء بني أميّة، فساروا مع مروان حتى نزلوا المرح على الضّحّاك، و هم نحو سبعة آلاف، و الضّحّاك في نحو من ثلاثين ألفاً، فلحقوا الضّحّاك، فقتل الضّحّاك، و قتل معه أشرف من قيس، فأقبل زفر هاربا من وجهه ذاك حتى دخل قرقيسيا، و أقام عمير بن الحباب شيئا على طاعة بني مروان، ثم أقبل حتى دخل قرقيسيا على زفر فأقام معه، و ذلك بعد يوم خازر (3) حين قتل عبيد الله/بن زياد.

ص: 130

1- ب: «المدائنيّ».

2- ف: «جساس».

3- خازر: نهر بين إربل و الموصل، يصب في دجلة عن (معجم البلدان).

ما قيل في يوم المرح

وأقبل زفر يبكي قتلى المرح ويقول:

لعمري لقد أبت وقية راهط *** لمروان صدعا بيننا متنائيا

أ تذهب كلب لم تنلها رماحنا *** ويترك قتلى راهط هي ماهيا!

لقد ينبت المرعى على دمن الثرى *** وتبقى حزازات النفوس كما هيا

أبعد ابن صقر و ابن عمرو تتابعا *** ومصرع همّام أمني الأمانيا(1)!

فقال ابن المخلاة الكلبي يجيبه:

لعمري لقد أبت وقية راهط *** على زفر داء من الداء باقيا

تبكي على قتلى سليم و عامر *** و ذبيان مغرورا(2) و تبكى البواكيا

وقال ابن المخلاة في يوم المرح:

و يوم ترى الرّيات فيه كأنها *** حوائم طير مستدير و واقع

مضى أربع بعد اللقاء و أربع *** و بالمرج باق من دم القوم(3) نافع

طعنا زيادا في استه و هو مدبر *** و ثور أصابته السيوف القواطع

و نجى حبيشا ملهب(4) ذو علالة *** و قد جدّ من يميني يديه الأصابع

و قد شهد الصّفين عمرو بن محرز *** فضاق عليه المرح و المرح واسع

وقال رجل من بني عذرة:

سائل بني مروان أهل العجّ (5) *** رهط النبيّ و ولادة الحجّ

عنا و عن قيس غداة المرح *** إذ يتقفون ثقفا بنجّ (6)

تسدّيس أطراف القنا المعوجّ *** إذ أخلف الصّحّاك ما يرّجّي

مذ تركوا من بعد طول هرج(7) *** لحم ابن قيس للضّباع العرج

و قال جواس بن القعطل(8) الكلابي في يوم المرح:

- 1- في معجم ياقوت 2:744 ط لبيزج: أبعد ابن عمرو و ابن معن تتابعا و مقتل همام أمني الأمانيا
- 2- مي: «معروفا».
- 3- ف: «من دم الجوف».
- 4- الملهب: الفرس الشديد الجري المثير للغبار. و جدّ: قطع.
- 5- مي، ف: «أهل الفج». و عج بالتلبية في الحج: رفع صوته.
- 6- مي، ف: «إذ يتقفون نقفا خرفج». و ثقفة بالرمح: طعنه. و النج: سيل الجرح بما فيه.
- 7- مي: «فتركوا من بين ضرب هرج». و في ف: «فتركوا من بعد...».
- 8- ب: «جواس بن قعطل». و في مد، ف: «جواس بن يعطل».
- 9- ف: «جلّ قيس».

وهم قتلوا بني بدر وعبسا *** و ألصق حرّ وجهك (1) بالتراب

تذكّرت الذّحول (2) فلن تقضّي *** ذحولك (2) أو تساق إلى الحساب

إذا سارت قبائل من جناب *** و عوف أشحنوا (3) شمّ الهضاب

و قد حاربتنا فوجدت حربا *** تغصّك حين تشرب بالشراب

فأقبل عمير يخطر، فخرج من قرقيسيا يتطوّف (4) بوادي كلب، فيغير عليها و على من أصاب من قضاة و أهل اليمن، و يخصّ كلبا و معشر تغلب (5)، قبل أن تقع الحرب بين قيس و تغلب، فجعل أهل البادية ينتصفون من أهل القرار (6) كلّهم. فلما رأّت كلب ما لقي أصحابهم، و أنهم لا- يمتنعون من خيل الحاضرة، اجتمعوا إلى حميد بن حريث بن بحدل، فسار بهم حتى نزل تدمر، و به بنو نمير، و قد كان بين التّميريين خاصة و بين الكلبيّين الذين بتدمر عقد مع ابن بحدل بن بعّاج الكلبيّ، فأرسلت بنو نمير رسلا إلى حميد يناشدونه الحرمة، فوثب عليهم/ ابن بعّاج الكلبيّ فذبحهم، و أرسلوا إليهم: إنا قد قطعنا الذي بيننا و بينكم، فالحقوا بما يسعكم من الأرض، فالتقوا فقتل ابن بعّاج و ظفر بالنّميريين فقتلوا قتلا ذريعا و أسروا (7)، فقال راعي الإبل في قتل ابن بعّاج و لم يذكر غيره من الكلبيّين:

تجيء (8) ابن بعّاج نسور كأنها *** مجالس تبغي بيعة عند تاجر

تطيف بكلبي عليه جدية (9) *** طويل القرار (10) يقذفه في الحناجر

يقول له من كان يعلم علمه *** كذاك انتقام الله من كلّ فاجر

و قد كان زفر بن الحارث لَمّا أغار عمير بن الحباب على الكلبيّين قال يعيّرهم بقوله:

يا كلب قد كلب الزّمان عليكم *** و أصابكم منّي عذاب مرسل

إنّ السّماوة لا سماوة فالحقي *** بمنابت الزّيتون و ابني بحدل (11)

و بأرض عكّ و السّواحل إنّها *** أرض تذوّب باللقاح و تهزل (12)

ص: 132

1- ف: «و ألصق خد قيس».

2- الذّحول: الثارات. و في ب، مي، مد: «الدخول... دخولك».

3- أشحنوا: ملئوا. و في مي: «أبحروا».

4- مي: «يتطوف».

5- ب، مي: «و يحض كلبا و معه تغلب».

6- القرار: الحضر. و في ب، مد، مي: «القرى».

7- ف: «فقتلوا قتلا شديدا و سيروا».

8- مد، مي: «تجر».

9- الجدية: الدم.

10- القرا: الظهر.

11- في البيت إقواء. و السماوة: مائة لكلب بين الكوفة و الشام.

12- مي: «تذوب بها اللقاح».

فجمع لهم حميد بن الحرث بن بحدل، ثم خرج يريد الغارة على بوادي قيس، فانتهى إلى ماء لبني تغلب، فإذا النساء والصبيان يبكون، فقالت لهم النساء - وهن يحسبنهم قيسا -: ويحكم، ما ردكم إلينا، فقد فعلتم بنا بالأمس ما فعلتم! فقالت لهم كلب: وما لكم؟ قالوا: أغار علينا بالأمس عمير بن الحباب، فقتل رجالنا، واستاق أموالنا، ولم يشككن أن الخيل خيل قيس وأن عميرا عاد إليهن، فقال بعض كلب لحميد: ما تريد من نسوة قد أغير عليهن وحرين، وصبية يتامى، وتدع عميرا. فاتبعوه، فبينما هم يسيرون إذ أخذوا رجلا ريئة للقوم. فسأله فقال لهم: هذا الجيش/هاهنا والأموال، وقد خرج عمير في فوارس يريد الغارة على أهل بيت من بني زهير بن جناب، أخبر عنهم مخبر، فأقام حميد حتى جنّ عليه الليل، ثم بيّت القوم بياتا. وقال حميد لأصحابه: شعاركم: نحن عباد الله حقًا. فأصابوا عامة ذلك العسكر، ونجا فيمن نجا رجل عريان قذف ثوبه وجلس على فرس عري، فلما انتهى إلى عمير، قال عمير: قد كنت أسمع بالندير العريان(1) فلم أراه، فهو هذا، ويلك ما لك! قال: لا أدري غير أنه لقينا قوم فقتلوا من قتلوا وأخذوا العسكر، فقال: أفتعرفهم؟ قال: لا، فقصد عمير القوم وقال لأصحابه: إن كانت الأعراب فسيسارعون إلينا إذا رأونا، وإن كانت خيول أهل الشام فستقف. وأقبل عمير، فقال حميد لأصحابه: لا يتحركن منكم أحد، وانصبوا القنا، فحمل عمير حملة لم تحركهم، ثم حمل فلم يتحركوا، فنادى مرارا: ويحكم من أنتم؟! فلم يتكلموا، فنادى عمير أصحابه: ويلكم خيل بني بحدل والأمانة، وانصرف على حاميته، فحمل عليه فوارس من كلب يطلبونه، ولحقه مولى لكلب يقال له شقرون، فاطعنا، فجرح عمير وهرب حتى دخل قرقيسيا إلى زفر، ورجع حميد إلى من ظفر به من الأسرى والقتلى، فقطع سبالهم(2) وأنفسهم، فجعلها في خيط، ثم ذهب بها إلى الشام، وقال قائل: بل بعث بها إلى عمير وقال: كيف ترى؟ أوقعي أم وقعك؟ فقال في ذلك سنان بن جابر الجهني:

لقد طار في الآفاق أن ابن بحدل *** حميدا شفى كلبا فقرت عيونها

او عرّف قيسا بالهوان(3) ولم تكن *** لتنزح إلا عند أمر يهينها

لقلت له: قيس بن عيلان إته *** سريع - إذا ما عصت الحرب - لينها

سما بالعتاق الجرد من مرج راهط *** و تدمر ينوي بذلها لا يصونها(4)

فكان لها عرض السماوة ليلة *** سواء عليها سهلها و حزونها

فمن يحتمل في شأن كلب ضغينة *** علينا إذا ما حان في الحرب حينها

فإنّا و كلبا كاليدين متى تضع *** شمالك في شيء(5) تعنها يمينها

لقد تركت قتلي حميد بن بحدل *** كثيرا ضواحيها قليلا دفينها

وقيسيّة قد طلقتها رماحنا *** تلفت كالصّيداء(6) أودى جنينها

- 1-ب: «كنت أسمع بالمدينة بلاء نذيره العريان».
- 2- السبال جمع سبلة؛ وهي الدائرة في وسط الشفة العليا، وقيل: ما على الشارب من الشعر. وفي مي: «بنانهم».
- 3-ب: «بالقوافي».
- 4-ب: «و تدمر تنزى بزلها لا يصونها».
- 5- مي: «في أمر».
- 6- الصيذاء: المائلة العنق.

وقال سنان أيضا في هذا الأمر بعد ما أوقع ببني فزارة:

يا أخت قيس سلي عتّا علانية *** كي تخبري من بيان العلم (1) تبياننا

إتّا ذوو حسب مال و مكرمة *** يوم الفخار و خير الناس فرسانا

متّا ابن مرّة عمر و قد سمعت به *** غيث الأرامل لا يردين (2) ما كانا

و البحدليّ الذي أردت فوارسه *** قيسا غداة اللوى من رمل عدنانا

فغادرت حلبسا منها بمعترك *** و الجعد منعفرا لم يكس أكفانا

كائن تركنا غداة العاه (3) من جزر *** للطير منهم و من ثكلى و ثكلانا

و من غوان تبكي لا حميم لها *** بالعه (3) تدعو بني عمّ و إخوانا

فلما انتهى الخبر إلى عبد الملك بن مروان، و عبد الله و مصعب يومئذ حيّان، /و عند عبد الملك حسن بن مالك بن بحدل و عبد الله بن مسعدة بن حكم الفزاريّ، و جيء بالطعام، فقال عبد الملك لابن مسعدة: ادن، فقال ابن مسعدة: لا و الله، لقد أوقع حميد بسليم و عامر و قعة لا ينفعني بعدها طعام حتى يكون لها غير، فقال له حسن:

أ جزعت أن كان بيني و بينكم في الحاضرة على الطاعة و المعصية، فأصبنا منكم يوم المرج، و أغار أهل قريسيا بالحاضرة على البادية بغير ذنب؟ فلما رأى حميد ذلك طلب بثأر قومه، فأصاب بعض ما أصابهم، فجزعت من ذلك، و بلغ حميدا قول ابن مسعدة فقال: و الله لأشغلنّه بمن هو أقرب إليه من سليم و عامر.

ذكر في شعره إيقاع حميد ببني فزارة

فخرج حميد في نحو من مائتي فارس، و معه رجلان من كلب دليان، حتى انتهى إلى بني فزارة أهل العمود لخمسة عشرة مضت من شهر رمضان، فقال: بعثني عبد الملك بن مروان مصدّقا: فابعثوا إلى كل من يطيق أن يلقانا، ففعلوا، فقتلهم أو من استطاع منهم، و أخذ أموالهم، فبلغ قتلاهم نحو من مائة و تيف، فقال عوفيف القوافي:

منا الله (4) أن ألقى حميد بن بحدل *** بمنزلة فيها إلى النصف معلما

لكيما نعاطيه و نبلو بيننا *** سريحيّة (5) يعجمن في الهام معجما

ألا ليت أتّي صادفتي منيّي *** و لم أر قتلى العام يا أمّ أسلما

و لم أر قتلى لم تدع لي بعدها (6) *** يدين فما أرجو من العيش أجذما

أو أقسم ما ليث بخفان (7) خادر *** بأشجع من جعد جنانا و مقدما

- 1- مي: «الأمر».
- 2- ف: «لا يؤذنين ما كانا».
- 3- العاه: جبل بأرض فزارة (معجم البلدان). وفي ب: «الفاه»، تصحيف.
- 4- منا الله كذا: قدره.
- 5- السريجية: السيوف المنسوبة إلى سريج، وهو قين كان يعملها:
- 6- مي: «ولم أرتلى لم يدع لي قتلها».
- 7- خفان: موضع قرب الكوفة (معجم البلدان).

يعني الجعد بن عمران بن عيينة وقتل يومئذ.

أسماء بن خارجة يشكو حميدا إلى عبد الملك

إشارة

فلما رجع عبد الملك من الكوفة وقتل مصعب، لحقه أسماء بن خارجة بالّخيلة، فكلمه فيما أتى حميد به إلى أهل العمود من فزارة، وقال: حدّثنا أنه مصدّقك و عاملك، فأجبتك وبك عدنا، فعليك وفي ذمتك ما على الحرّ في ذمّته، فأقدنا من قضاعيّ سكيّر، فأبى عبد الملك و قال: انظر في ذلك و أستشير (1) و حميد يجحد و ليست لهم بيّنة، فوداهم ألف و ألف و ماتت ألف، و قال: إني حاسبها في أعطيات قضاعة، فقال في ذلك عمرو بن مخللة الكلبيّ .

صوت

خذوها يا بني ذبيان عقلا *** على الأجياد واعتقدوا الخداما (2)

دراهم من بني مروان بيضا *** ينجمها لكم عاما فعاما

و أيقن أنّه يوم طويل *** على قيس يذيقهم السّماما (3)

و مختبّ أمام القوم يسعى *** كسرحان التّنوفة حين ساما (4)

رأى شخصا على بلد بعيد *** فكبّر حين أبصره و قاما

و أقبل يسأل البشري إلينا (5) *** فقال: رأيت إنسا أو نعاما

و قال لخيله سيّري حميد *** فإنّ لكلّ ذي أجل حماما

افما لاقيت من سجح (6) و بدر *** و مرّة فاتركي خطبا حطاما

بكل مقلّص عبل شواه *** يدقّ بوقع ناييه اللّجاما (7)

و كل طمرّة مرطى سبوح *** إذا ما شدّ فارسها الحزاما (8)

و قاتلة على دهش و حزن *** و قد بلّت مدامعها اللّثاما

كانّ بني فزارة لم يكونوا *** و لم يرعوا بأرضهم اللّثاما (9)

و لم أر حاضرا منهم بشاء *** و لا من يملك التّعم الرّكاما (10)

- 1-ب: «انظر في ذلك واستشر».
- 2- في أنساب الأشراف: «على الأحياء واعتقدوا الخزاما». واعتقد الشيء: نقيض حله، والخدام: جمع خدمة، وهي السير الغليظ المحكم مثل الحلقة تشد في رسغ البعير.
- 3- السمام جمع سم، وهو القاتل من الأدوية ونحوها.
- 4- المختب: المسرع. والسرхан: الذئب. والتتوفة: الأرض الواسعة أو الصحراء. وسام: ذهب في ابتغاء الشيء.
- 5-ف: «فأقبل يسأل اليسرى إلينا».
- 6-ف، مي: «شمخ».
- 7-ف: «يدق بهمز ناويه اللجاما».
- 8- الطمرة: الفرس الجواد الشديد العدو. المرطى: الخفيف شعر الجسد. والسبوح: الفرس يمد يديه في الجري.
- 9- الثمام: عشب من الفصيحة النخيلية.
- 10- النعم الركام: النعم الضخم.

قال: فلما أخذوا الدية انطلقت فزارة فاشترت خيلا و سلاحا، ثم استتبت سائر قبائل قيس، ثم أغارت على ماء يدعى بنات قين، يجمع بطونا من بطون كلب كثيرة وأكثر من عليه بنو عبد ودّ و بنو عليم بن جناب، و على قيس يومئذ سعيد بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، و حلحلة (1) بن قيس بن الأشيم بن يسار أحد بني العشاء (2)، فلما أغاروا نادوا بني عليم: إنا لا نطلبكم بشيء، و إنما نطلب بني عبد ودّ بما صنع الدليلان اللذان حملا حميدا، و هما المأمور و رجل آخر اسمه أبو أيوب، فقتل من العبديين تسعة عشر (3) رجلا ثم مالوا على العليميين فقتلوا منهم خمسين رجلا، و ساقوا أموالا.

موقف عبد الملك بن مروان و عرضه الدية

فبلغ الخبر عبد الملك، فأمهل حتى إذا ولي الحجاج العراق كتب إليه يبعث إليه سعيد بن عيينة و حلحلة بن قيس و معهما نفر من الحرس، فلما قدم بهما عليه قذفهما في السّجن و قال لكلب: و الله لئن قتلتم رجلا لأهريقنّ دماءكم، فقدم عليه من بني عبد ودّ عياض و معاوية ابنا ورد، و نعمان بن سويد، و كان سويد أبوه ابن مالك يومئذ أشرف من قتل يوم بنات قين، و كان شيخ بني عبد ودّ، فقال له النّعمان: دماءنا يا أمير المؤمنين، فقال له عبد الملك: إنما قتل منكم الصّبيّ الصّغير و الشيخ الفاني، فقال النّعمان: قتل منا و الله من لو كان أخا لأبيك لاختير عليك في الخلافة، فغضب عبد الملك غضبا شديدا، فقال له معاوية و عياض: يا أمير المؤمنين، شيخ كبير موتور.

فأعرض عنه عبد الملك و عرض الدية، و جعل خالد بن يزيد بن معاوية و من ولدته كلب يقولون: القتل، و من كانت أمّه قيسية من بني أمية يقولون: لا، بل الدية كما فعل بالقوم، حتى ارتفع الكلام بينهم بالمقصورة، فأخرجهم عبد الملك و دفع حلحلة إلى بعض بني عبد ودّ، و دفع سعيد بن عيينة إلى بعض بني عليم، و أقبل عليهما عبد الملك فقال: أ لم تأتياني تستعديانني فأعدتكما و أعطيتكما الدية، ثم انطلقتما فأخفرتما ذمتي و صنعتما ما صنعتما، فكلمه سعيد بكلام يستعطفه به و يرقّقه، فضرب حلحلة صدره و قال: أ ترى خضوعك لابن الزّرقاء نافعا عندنا، فغضب عبد الملك و قال: اصبر حلحلة، فقال له: أصبر من عود بجنبيه جلب (4) فقتلا- و شقّ ذلك على قيس، و أعظمه أهل البادية منهم و الحاضرة، فقال في ذلك عليّ بن الغدير الغنويّ :

لحلحلة القتيل و لابن بدر *** و أهل دمشق أنجبة تبين

فبعد اليوم أيام طوال *** و بعد خمود فتنتكم فتون

و كلّ صنيعة رصد ليوم *** تحلّ به لصاحبها الزّبون (5)

/خليفة أمة قسرت عليه *** تخمط (6) و استخفّ بمن يدين

1- ب: «طلحة بن قيس».

2- بنو العشاء: قوم من فزارة، و في ب: «بنو العشاء»، تصحيف.

3- ف: «فقتل من العبديين سبعة عشر رجلا».

4- جلب الرجل و جلبه (بالضم و الكسر) عيدانه.

5- ف: «تحل به لصاحبه الدين».

6- تخمط: تكبر.

فقد أتيا حميد ابن المنايا(1)*** وكلّ فتى ستشعبه المنون

وقال رجل من بني عبد ودّ:

نحن قتلنا سيديهم بشيخنا*** سويد فما كانا وفاء به دما

و قال حلحلة و هو في السّجن:

لعمري لئن شيخا فزاره أسلما*** لقد خزيت قيس و ما ظفرت كلب

و قال أرطاة بن سهية يحرض قيسا:

أ يقتل شيخنا و يرى حميد*** رخي البال منتشيا(2) خمورا

فإن دمننا بذاك و طال عمر*** بنا و بكم و لم نسمع نكيرا

فناكت أمها قيس جهارا*** و عضت بعدها مضر الأيورا

و قال عميرة بنت حسان الكلبية تفخر بفعل حميد في قيس:

سمت كلب إلى قيس بجمع*** يهدّ مناكب الأكم الصّعب

بذي لجب يدقّ الأرض حتى*** تضايق من دعا بهلا وهاب(3)

نفين إلى الجزيرة فلّ قيس*** إلى بقّ بها و إلى ذباب(4)

و ألفينا هجين بني سليم*** يفدّي المهر من حبّ الإياب

فلو لا عدوة المهر المفدّي*** لأبت و أنت منخرق الإهاب

و نجّاه حثيث الرّكض منا*** أصيلانا و لون الوجه كابي

و آض كأنه يطلى بورس*** و دقّ هويّ كاسرة عقاب

حمدت الله إذ لقّي سليما*** على دهمان صقر بني جناب

تركن الرّوق(5) من فتيات قيس*** أيامى قد يسّسن من الخضاب

فهنّ إذا ذكرن حميد كلب*** نعقن برّنة بعد انتحاب

متى تذكر فتى كلب حميدا*** تر القيسيّ يشرق بالشّراب

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرني عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ، عن عمه، قال:

أنشدني رجل من بني فزارة لعويّف القوافي - وهو عويّف بن معاوية بن عقبة بن حصن بن حذيفة الفزاري - وكانت أخته عند عيينة بن أسماء بن خارجة فطلّقها، فكان عويّف مراغماً لعيينة وقال: الحرة لا تطلّق بغير ما بأس،

ص: 137

1- ف: «فقد لقياً حميد ابن المنايا».

2- انتشى فلان: بدأ سكره.

3- هلا: زجر للخيل، وهاب: زجر للإبل عند السوق.

4- بق: مدينة على شاطئ الفرات، و ذباب: جبل بالمدينة.

5- الروق: الجميلات.

فلما حبس الحجاج عيينة وقيده قال عوف:

منع الرقاد - فما يحس رقاد - *** خير أتك و نامت العواد(1)

خبر أتاني عن عيينة موجه *** و لمثله تصدع الأكباد

بلغ النفوس بلاؤها(2) فكأننا *** موتى و فينا الروح و الأجساد

ساء الأقارب يوم ذاك فأصبحوا *** بهجين قد سروا به الحساد(3)

يرجون عثرة جدنا و لو أنهم *** لا يدفعون بنا المكاره بادوا

لما أتاني عن عيينة أنه *** عان تظاهر فوفا الأقياد(4)

نخلت(5) له نفسي التصيحة إنه *** عند الشدائد تذهب الأحقاد

و ذكرت أي فتى يسد مكانه *** بالرقد حين تقاصر الأرفاد

أم من يهين لنا كرائم ماله *** و لنا إذا عدنا إليه معاد

لو كان من حزن تضاعل ركنه *** أو من نضاد بكت عليه نضاد(6)

مدح عبد الرحمن ابن مروان و هو صغير السن

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى ، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: قال العتبي :

سأل عوف القوافي في حمالة، فمر به عبد الرحمن بن محمد بن مروان و هو حديث السن ، فقال له: لا تسأل أحدا و صر إلي أكفك، فأتاه فاحتملها جمعا له، فقال عوف يمدحه:

غلام رماه الله بالخير يافعا *** له سيمياء لا تشق على البصر

كان الثريا علقت في جبينه *** و في حده الشعري و في جيده القمر

و لما رأى المجد استعيرت ثيابه *** تردى رداء واسع الذيل و اتزر

إذا قيلت العوراء أغضى(7) كأنه *** ذليل بلا ذل و لو شاء لانتصر

رآني فأساني و لو صد لم ألم *** على حين لا باد يرجى و لا حضر

قال أبو زيد: هذه الأبيات لابن عنقاء الفزاري ، يقولها في ابن أخ له، كان قوم من العرب أغاروا على نعم ابن عنقاء، فاستاقوها، حتى لم يبق له

- 1- في سمط اللآلي 813: «مما شجك و حفت العواد». وفي شرح ديوان الحماسة لأبي تمام 253:1 ط حجازي: «مما شجك و نامت العواد».
- 2- مي، مد: «بلاؤنا». وفي شرح ديوان الحماسة 253:1 و المختار: «بلاؤه».
- 3- هجين: موضع. «وقد سروا به الحساد» كذا في جميع النسخ بلغة أكلوني البراغيث و لعلها «قد سرت به الحساد».
- 4- في شرح ديوان الحماسة 254:1 ط حجازي: «أمسي عليه تظاهر الأقياد».
- 5- نخلت له نفسي النصيحة: أخلصتها.
- 6- حصن: جبل بأعلى نجد، و هو أول حدود نجد. و نضاد: جبل بالعالية، و بيني عند أهل الحجاز على الكسر و عند تميم ينزلونه منزلة ما لا ينصرف. و روى البيت في معجم البلدان 790:4: «لو كان من حصن قضاك منية»، و الأبيات في الخزانة 88:3 فيما عدا الأخير، و في شرح الحماسة 253:1 فيما عدا الرابع و الأخير.
- 7- ب: «وَلَّى».

فهل من حلوبة؟ قال: نعم يا عمّ، يروح المال و أبلغ مرادك، /فلما راح ماله قاسمه إيّاه و أعطاه شطره، فقال ابن عنقاء:

رأني على ما بي عميلة فاشتكى *** إلى ما له حالي أسرّ كما جهر

و ذكر بعد هذا البيت باقي الأبيات. قال أبو زيد: وإتّما تمثّلها (1) عويف.

رثى سليمان بن عبد الملك و مدح عمر بن عبد العزيز

إشارة

أخبرني محمد بن خلف وكيع، و الحسن بن عليّ قالاً: حدّثنا الغلابيّ، قالاً: حدّثنا محمد بن عبيد الله، عن عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدّثان، قال:

لما مات سليمان بن عبد الملك و ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة، وفد إليه عويف القوافي و قال شعرا رثى به سليمان و مدح عمر فيه، فلما دخل إليه أنشده:

لاح سحاب فرأينا برقه *** ثم تدانى فسمعنا صعقه

و راحت الرّيح تزجّي بلقه *** و دهمه ثم تزجّي ورقه

ذاك سقى قبراً فروّى ودقه *** قبر امرئٍ عظم ربّي حقّه

قبر سليمان الذي من عقّه *** و جحد الخير الذي قد بقّه (2)

في المسلمين جلّه و دقّه *** فارق في الجحود منه صدقه (3)

قد ابتلى الله بخير خلقه *** ألقى إلى خير قريش و سقه

يا عمر الخير الملقى وفقه *** سمّيت بالفاروق فافرق فرقه

و ارزق عيال المسلمين رزقه *** و اقصد إلى الجود و لا توقّه

بحرك عذب الماء ما أعقّه *** ربّك فالمحروم من لم يسقه

فقال له عمر: لسنا من الشّعور في شيء، و مالك في بيت المال حقّ، فألحّ عويف يسأله فقال: يا مزاحم، انظر فيما بقي من أرزاقنا فشاطره إيّاه، و لنصبر على الصّدّيق إلى وقت العطاء، فقال له عبد الرّحمن بن سليمان بن عبد الملك: بل توفّر يا أمير المؤمنين و عليّ رضا الرّجل، فقال: ما أولاك بذلك، فأخذ بيده و انصرف به إلى منزله، و أعطاه حتى رضى.

صفراء يطويها الضجيج لصلبها *** طي الحمالة لئن مئناها
نعم الضجيج إذا النجوم تغورت *** بالغور أولاهها على أخراها

ص: 139

1- ف: «تمثل بها عويف».

2- بقه: وسعه.

3- مي: «فارق منه في الجحود صدقه».

عذب مقبلها وثير ردفها *** عبل شواها طيب مجناها

يا دار صهباء (1) التي لا أنتهي *** عن حبها أبدا ولا أنساها

الشعر لعبد الله بن جحش الصعاليك، والغناء فيه لعلبي بن هشام ثقيل أول بالوسطى من كتاب أحمد بن المكي .

ص: 140

1- ف: «يا دار صفراء».

طلاق صهباء من ابن عمها

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثني محمد بن يحيى أبو غسان، عن غسان بن عبد الحميد قال:

كان بالمدينة امرأة يقال لها: صهباء من أحسن الناس وجها، وكانت من هذيل، فتزوَّجها ابن عمّ لها، فمكث حيناً معها لا يقدر عليها من/شدة ارتفاقها، فأبغضته وطالبته بالطلاق، فطلّقها. ثم أصاب الناس مطر شديد في الخريف، فسال العقيق سيلاً عظيماً، وخرج أهل المدينة، وخرجت صهباء معهم، فصادفت عبد الله بن جحش وأصحابه في نزهة، فرآها وافترقا.

يهيم بصهباء و يتقدم لخطبتها

ثم مضت إلى أقصى الوادي فاستنقعت في الماء وقد تفرّق الدّاس و خفّوا، فاجتاز بها ابن جحش فرآها فتهاكك عليها وهام بها، وكان بالمدينة امرأة تدلّ على النّساء يقال لها: قطنة، كانت تداخل القرشيّات وغيرهن، فلقبها ابن جحش فقال لها: اخطبي عليّ صهباء، فقالت: قد خطبها عيسى بن طلحة بن عبيد الله وأجابوه، ولا أراهم يختارونك عليه، فشتها ابن جحش وقال لها: كلّ مملوك له فهو حرّ، لئن لم تحتالي فيها حتى أتزوَّجها لأضربنك ضربة بالسيف - وكان مقداما جسورا - ففرقت منه فدخلت على صهباء وأهلها، فتحدّثت معهم، ثم ذكرت ابن عمّها، فقالت لعمة صهباء: ما باله فارقتها، فأخبرتها خبرها، وقالت: لم يقدر عليها وعجز عنها. فقالت لها:

وأسمعت صهباء -: إنّ هذا ليعتري كثيرا من الرجال فلا ينبغي أن تتقدّموا في أمرها إلا على من تختبرونه، وأما والله لو كان ابن جحش لصهباء/لثقبها ثقب اللؤلؤ و لورتقت بحجر، ثم خرجت من عندهم.

زواجه بصهباء

فأرسلت إليها صهباء: مري ابن جحش فليخطبني، فلقبته قطنة فأخبرته الخبر، فمضى فخطبها، فأنعمت له (1) وأبى أهلها إلا عيسى بن طلحة، وأبت هي إلا ابن جحش، فتزوَّجته ودخل بها وافتضّنها، وأحبّ كلّ واحد منهما صاحبه فقال فيها:

نعم الضّجيع إذا النّجوم تغوّرت *** بالغور أولاهها على أحرأها

عذب مقبّلها وثير ردفها *** عبل شواها طيّب مجناها

صفراء يطويها الضّجيع لجنبها *** طيّ الحماله ليّن متناها (2)

ص: 141

1- أنعمت له: قالت: نعم.

2- ب: «لحينها» بدل «لجنبها». وفي التجريد: «لحسنها». وفي ف: «مشاها» بدل «متناها». (وانظر ص 211).

لو يستطيع ضجيعها لأجنّها *** في الجوف حبّ نسيمها ونشائها(1)

يا دار صهباء التي لا أنتهي *** عن ذكرها أبدا ولا أنساها

كان عبد الملك بن مروان معجبا بشعره

أخبرني حبيب(2) بن نصر المهلبي، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني عبد الرّحيم(3) بن أحمد بن زيد بن الفرّج، قال: حدّثني محمد بن عبد الله، قال:

كان عبد الملك بن مروان معجبا بشعر عبد الله بن جحش، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه، فورد كتابه وقد توفّي، فقال إخوانه لابنه:

ذهب ابنه إلى عبد الملك فطرده لتضييعه أدب أبيه

إشارة

لو شخصت إلى أمير المؤمنين عن إذنه لأبيك لعلّه كان ينفحك، ففعل، فبينما هو في طريقه إذ ضاع منه كتاب الإذن، فهمّ بالرجوع، ثم مضى لوجهه، فلما قدم على عبد الملك سأله عن أبيه فأخبره بوفاته، ثم سأله عن كتابه فأخبره بضياعه فقال له: أنشدني قول أبيك:

صوت

هل يبلغنها السّلام أربعة *** منّي وإن يفعلوا فقد نفعوا

على مصكّين من جمالهم *** وعنتريسين فيهما سطم(4)

قرّب جيراننا جمالهم *** صبحا فأضحوا بها قد انتجعوا

ما كنت أدري بوشك بينهم *** حتى رأيت الحداة قد طلعا

/قد كاد(5) قلبي - والعين تبصرهم *** لما تولّى بالقوم - ينصدع

ساروا وخلّفت بعدهم دنفا *** أليس باللّه بنس ما صنعوا!

قال: لا والله يا أمير المؤمنين ما أرويه، قال: لا عليك، فأنشدني قول أبيك:

صوت

أجدّ اليوم جيرتك الغيارا *** رواحا أم أرادوه ابتكارا

بعينك كان ذاك وإن يبينوا *** يزدك البين صدعا مستطارا(6)

-
- 1- مد: «في القلب» بدل «في الجوف». وفي التجريد: «حب نسيماها و جناها». وفي المختار: «شهوة ريحها و جناها». و النشا: نسيما
الريح الطيبة (و انظر ص 215).
 - 2- ف: «جعفر بن نصر المهلبى».
 - 3- ف: «عبد الرحمن بن أحمد».
 - 4- المصك: القوي. و العنتريس: الناقة القوية الغليظة. و السطع: طول العنق.
 - 5- ف: «قد كان».
 - 6- ف: «شعبا مستطارا».

و ما ذا كثرة الجيران تغني *** إذا ما بان من أهوى فسارا

قال: لا والله ما أرويه يا أمير المؤمنين، قال: ولا عليك، فأنشدني قول أبيك:

دار لصهباء التي لا ينثني *** عن ذكرها قلبي ولا أنساها

صفراء يطويها الضجيج لصلبها *** طي الحمالة لين متناها

لو يستطيع ضجيعها لأجنها *** في القلب شهوة ريحها ونشاها

قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أرويه، وإن صهباء هذه لأمي، قال: ولا عليك، قد يبغض الرجل أن يشبب بأمه، ولكن إذا نسب بها غير أبيه، فأف لك! ورحم الله أباك، فقد ضيعت أدبه وعقفته؛ إذ لم ترو شعره. اخرج فلا شيء لك عندنا.

صوت

أماطت كساء الخزر عن حرّ وجهها *** وأدنت على الخدين بردا مهلهلا

من اللاء لم يحججن يبعين حسبة *** ولكن يقتلن (1) البريء المغفلا

رأنتي خضيب الرأس شمّرت مئزري *** وقد عهدتني أسود الرأس مسبلا

خطوا (2) إلى اللذات أجزرت مئزري *** كإجراك الحبل الجواد المحجّلا

صريع الهوى لا يبرح الحبّ قاندي *** بشر (3) فلم أعدل عن الشرّ معدلا

لدى الجمرة القصوى فريعت وهملت *** ومن ريع في حجّ من الناس هلّلا

الشعر للعرجي، والغناء لعبد الله بن العباس الرّبيعيّ ثقيل أول في الأول والثاني والخامس والسادس من هذه الأبيات، وهو من جيّد الغناء وفاخر الصنعة، ويقال: إنّه أول شعر (4) صنعه، ولعزار (5) المكيّ في الثّالث وما بعده ثاني ثقيل، عن يحيى المكيّ وغيره، وفيه خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وإلى ابن سريج وإلى الغريض، وفيه لإبراهيم لحن من كتابه غير مجسّس، وأنا ذاكر هاهنا أخبارا لهذا الشّعر من أخبار العرجي؛ إذ كان أكثر أخباره قد مضى سوى هذه.

ص: 143

1- ف: «ليقتلن».

2- ف: «خطوطا».

3- ف: «لشر».

4- ف: «إنّه أول غناء صنعه».

امراة تتمثل بشعره

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثنا إسماعيل بن مجمّع، عن المدائنيّ، عن عبد الله بن سليم، قال:

قال عبيد الله بن عمر العمريّ:

خرجت حاجًا فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام رفثت (1) فيه، فأدريت ناقتي منها، ثم قلت لها: يا أمة الله، أأنت حاجة! أما تخافين الله! فسفرت عن وجهه يبهر الشمس حسنا، ثم قالت: تأمل يا عمّي، /فأني ممّن عنى العرجيّ بقوله:

من اللاء لم يحججن يبعين حسبة*** ولكن ليقتلن البريء المغفلا

قال: فقلت لها: فإني أسأل الله ألاّ يعذب هذا الوجه بالنار. قال: وبلغ ذلك سعيد بن المسيّب فقال: أما والله لو كان من بعض بغضاء أهل العراق لقال لها: اعزبي قبحك الله، ولكنه ظرف (2) عباد الحجاز.

وقد رويت هذه الحكاية عن أبي حازم بن دينار.

أخبرني به وكيع، قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثنا مصعب الزبيريّ، قال: حدّثني عبد الرحمن بن أبي الحسن (3) وقد روى عنه ابن أبي ذئب، قال:

بينما أبو حازم يرمي الجمار إذ هو بامرأة مشعبذة - يعني حاسرة - فقال لها: أيتها المرأة استتري، فقالت: إني والله من اللواتي قال فيهن الشاعر قوله:

من اللاء لم يحججن يبعين حسبة*** ولكن ليقتلن البريء المغفلا

و ترمي بعينها القلوب ولا ترى*** لها رمية لم تصم منهن مقتلا

/فقال أبو حازم لأصحابه: ادعوا الله لهذه الصّورة الحسنة ألاّ يعذبها بالنار.

وأبو حازم هذا هو أبو حازم بن دينار من وجوه التابعين، قد روى عن سهل بن سعد وأبي هريرة، وروى عنه مالك وابن أبي ذئب و نظراؤهما.

حدّثني عمي، قال: حدّثني الكرائي، قال: حدّثني العمريّ، عن العتبيّ، عن الحكم بن صخر، قال:

ص: 144

1- رفث في كلامه: أفحش.

2- ف، مي، مد: (و لكنه أظرف عباد الحجاز).

3- ف: «عبد الله بن أبي الحنبلش».

انصرفت من مني فسمعت زفنا(1) من بعض المحامل، ثم ترنمت جارية فتغنّت:

من اللاء لم يحججن يبغين حسبة*** ولكن ليقتلن البريء المغفلاً

فقلت لها: أ هذا مكان هذا يرحمك الله! فقالت: نعم وإياك أن تكونه.

ص: 145

1- زفن زفنا: رقص، وأصله الدفع الشديد والضررب بالرجل كما يفعل الراقص.

عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، و الربيع - على ما يدّعيه أهله - ابن يونس بن أبي فروة، وقيل: إنه ليس ابنه، و آل أبي فروة يدفعون ذلك و يزعمون أنه لقيط، وجد منبوزا، فكفله يونس بن أبي فروة وربّاه، فلما خدم المنصور ادّعى إليه(1)، و أخباره مذكورة مع أخبار ابنه الفضل في شعر يغتنى به من شعر الفضل و هو:

كنت صبّا و قلبي اليوم سالي

و يكنى عبد الله بن العباس أبا العباس.

كان شاعرا مطبوعا و مغنيا جيد الصنعة

و كان شاعرا مطبوعا، و مغنيا محسنا جيّد الصنعة نادرها، حسن الرواية، حلو الشعر ظريفه، ليس من الشعر الجيّد الجزل و لا من المرذول، و لكنه شعر مطبوع ظريف مليح المذهب، من أشعار المترفين و أولاد النعم.

حدّثني أبو القاسم الشّيربابكي(2) - و كان نديما لجدي يحيى بن محمد - عن يحيى بن حازم، قال: حدّثني عبد الله بن العباس الربيعي، قال:

دخل محمد بن عبد الملك الزيات على الواثق و أنا بين يديه أغنيّه، و قد استعادي(3) صوتا فاستحسنه، فقال له محمد بن عبد الملك: هذا و الله يا أمير المؤمنين أولى الناس بإقبالك عليه و استحسانك له و اصطناعك إيّاه، فقال:

أجل، هذا مولاي و ابن مولاي و ابن موالي لا يعرفون غير ذلك، فقال له: ليس كلّ مولى - يا أمير المؤمنين - /بولي/ المواليه، و لا كلّ مولى متجمل بولائه، يجمع ما جمع عبد الله من ظرف و أدب و صحّة عقل و جودة شعر، فقال الحسن له: صدقت يا محمد. فلما كان من الغد جئت محمد بن عبد الملك شاكرا لمحضره(4)، فقلت له في أضعاف كلامي: و أفرط الوزير - أعزه الله - في وصفني و تقرّظي بكلّ شيء حتى وصفني بجودة الشّعر و ليس ذلك عندي، و إنما أعبث بالبيتين و الثلاثة، و لو كان عندي أيضا شيء بعد ذلك لصغر عن أن يصفه الوزير، و محلّه في هذا الباب المحلّ الرفيع المشهور، فقال: و الله يا أخي، لو عرفت مقدار شعرك و قولك:

يا شادنا رام إذ مرّ *** في السّعانيين قتلي

ص: 146

1- ادعى إليه: انتسب.

2- مي، مد: «السير بابكي». و في ب: «السشير بابكي».

3- ب: «و قد استغناني».

4- ف، مي: «شاكرا لحسن محضره».

يقول لي: كيف أصب *** حت كيف يصبح مثلي!

لما قلت هذا القول، والله لو لم يكن لك شعر في عمرك كله إلا قولك: «كيف يصبح مثلي» لكنت شاعرا مجيدا.

حدّثني جحظة، قال: حدّثني أحمد بن الطيّب، قال: حدّثني حمّاد بن إسحاق، قال:

سمعت عبد الله بن العباس الرّبيعيّ يقول: أنا أوّل من غنّى بالكنكلة(1) في الإسلام ووضعت هذا الصوت عليها:

أتاني يؤامرني في الصّبو *** ح ليلا فقلت له: غادها

سبب تعلمه الغناء

حدّثني جعفر بن قدامة، قال: حدّثنا عليّ بن يحيى المنجم، قال: حدّثني عبد الله بن العباس الرّبيعيّ، قال:

كان سبب دخولي في الغناء وتعلّمي إياه أنّي كنت أهوى جارية لعمّتي رقية بنت الفضل بن الرّبيع، فكنت لا أقدر على ملازمتها والجلوس معها خوفا من أن يظهر ما لها عندي فيكون ذلك سبب منعي منها، فأظهرت لعمّتي أنني أشتهي أن أتعلّم الغناء ويكون ذلك في ستر عن جدّي، وكان جدّي وعمّتي في حال من الرّقة عليّ والمحبّة لي لا نهاية وراءها، لأنّ أبي توفي في حياة جدّي الفضل، فقالت: يا بنيّ، وما دعاك إلى ذلك؟ فقلت: شهوة غلبت على قلبي إن منعت منها متّ غمّا، وكان لي في الغناء طبع قويّ، فقالت لي: أنت أعلم وما تختاره، والله ما أحبّ منعك من شيء، وإني لكارهة أن تحذق ذلك وتشهر به فتسقط ويفتضح أبوك و جدّك، فقلت: لا تخافي ذلك، فإنما أخذ منه مقدار ما ألوه به، ولازمت الجارية لمحبتتي إياها بعلة الغناء، فكنت آخذ عنها وعن صواحباتها حتى تقدّمت الجماعة حدقا، وأقررن لي بذلك، وبلغت ما كنت أريد من أمر الجارية، وصرت لأزم مجلس جدّي فكان يسرّ بذلك ويظنّه تقرّبا مني إليه، وإنما كان وكدي فيه أخذ الغناء، فلم يكن يمرّ لإسحاق ولا لابن جامع ولا للزّبير بن دحمان ولا لغيرهم صوت إلا أخذته، فكنت سريع الأخذ، وإنما كنت أسمعهم مرّتين أو ثلاثا، وقد صحّ لي وأحسست من نفسي قوّة في الصّناعة، فصنعت أول صوت صنّعه في شعر العرجيّ:

أماطت كساء الخزّ عن حرّ وجهها *** وأدنت على الخدين بردا مهلهلا

ثم صنّعت في:

أقفر من بعد خلة سرف *** فالمنحني فالعقيق فالجرف(2)

/وعرضتهما على الجارية التي كنت أهواها وسألتهما عمّا عندها فيهما، فقالت: لا يجوز/أن يكون في الصّناعة شيء فوق هذا، وكان جوارى الحارث بن بسّختر(3) و جوارى ابنه محمد يدخلن إلى دارنا فيطرحن على جوارى

ص: 147

1- مي، مد: «بالكبكلة». وفي المختار: «بالكلكلة». وجاء في مقال للأستاذ بهجت الأثري عضو المجمع اللغوي عنوانه «الألفاظ الحضارية ودلالاتها التاريخية»؛ الكنكلة: آلة طرب هندية ذات وتر واحد يمر على قرعة فيقوم مقام أوتار العود «عن كتاب فخر السودان على البيضان للجاحظ»، أو لعلها نغمة من نغمات الموسيقى أو آلة من آلات الطرب عرفها العباسيون واستعملوها في أواخر القرن الثاني. و

انظر «نهاية الأرب» للنويري 22:5.

2- سرف و المنحنى و العقيق و الجرف: مواضع. و في ب: «من بعد حلة».

3- ب: «بشخير».

عمتي و جوارى جدّي و يأخذن أيضا مني ما ليس عندهن من غناء دارنا، فسمعني ألقى هذين الصّوتين على الجارية، فأخذنهما مني و سألتن الجارية عنهما، فأخبرتني أنّهما من صنعتي، فسألتهما أن تصحّحهما لهنّ، ففعلت فأخذنهما عنها، ثم اشتهر حتى غني الرّشيد بهما يوما، فاستظرفهما و سألت إسحاق: هل تعرفهما؟ فقال: لا، و إنّهما لمن حسن الصّناعة و جيّدها و متقنها، ثم سألت الجارية عنهما فتوقّفت خوفا من عمّتي و حذرا أن يبلغ جدّي أنها ذكرتني، فانتهرها الرّشيد، فأخبرته بالقصة.

جدّه ينفي معرفته بأنّه يغني

فوجّه من وقته فدعا بجدّي، فلما أحضره قال له: يا فضل، يكون لك ابن يغني ثم يبلغ في الغناء المبلغ الّذي يمكنه معه أن يصنع صوتين يستحسنهما إسحاق و سائر المغنّين و يتداولهما جوارى القيان و لا تعلمني بذلك؟ كأنك رفعت قدره عن خدمتي في هذا الشأن! فقال له جدّي: و حقّ و لائك يا أمير المؤمنين و نعمتك، و إلّا فأنا نفيّ منهما بريء من بيعتك(1) و عليّ العهد و الميثاق و العتق و الطّلاق، إن كنت علمت بشيء من هذا قطّ إلا منك السّاعة، فمن هذا من ولدي؟ قال: عبد الله بن العباس هو، فأحضرني السّاعة. فجاء جدّي و هو يكاد أن ينشقّ غيظا، فدعاني، فلمّا خرجت إليه شتمني و قال: يا كلب، بلغ من أمرك و مقدارك أن تجسر على أن تتعلّم الغناء بغير إذني، ثم زاد ذلك حتى صنعت، و لم تقنع بهذا حتى ألقيت صنعتك على الجوارى في داري، ثم تجاوزتني إلى جوارى الحارث بن بسّخر، فاشتهرت و بلغ أمرك أمير المؤمنين، فتنكر لي و لا مني و فضحت آباءك/في قبورهم، و سقطت الأبد إلا من المغنّين و طبقة الخنياكرين(2). فبكيت غمّا بما جرى، و علمت أنه قد صدق، فرحماني و ضمّني إليه و قال: قد صارت الآن مصيبتني في أهلك مصيبتين: إحداهما به و قد مضى و فات، و الأخرى بك و هي موصولة بحياتي، و مصيبة باقية العار عليّ و على أهلي بعدي، و بكى و قال: عزّ عليّ يا بنيّ أن أراك أبدا ما بقيت على غير ما أحبّ، و ليست لي في هذا الأمر حيلة، لأنّه أمر قد خرج عن يدي، ثم قال: جنّني بعود حتى أسمعك و انظر كيف أنت، فإن كنت تصلح للخدمة في هذه الفضيحة، و إلا جئت بك منفردا و عرفته خبرك و استعفيته لك، فأتيته بعود و غنّيته غناء قديما، فقال: لا، بل غنيّ صوتيك اللّذين صنعتهما، فغنّيته إيّاهما فاستحسنهما و بكى، ثم قال: بطلت و الله يا بنيّ و خاب أملي فيك، فوا حزني عليك و على أهلك! فقلت له: يا سيّدي، ليتني متّ من قبل ما أنكرته أو خرست، و ما لي حيلة و لكّني و حياتك يا سيّدي، و إلا فعليّ عهد الله و ميثاقه و العتق و الطّلاق و كلّ يمين يحلف بها حالف لازمة لي، لا غنّيت أبدا إلا لخليفة أو وليّ عهد، فقال: قد أحسنت فيما تبّتهت(3) عليه من هذا.

غنيّ الإمام الرّشيد فطرب و كافأه و كساه

ثم ركب و أمرني، فأحضرت فوقفت بين يدي الرّشيد و أنا أرعد فاستدنانني حتى صرت أقرب الجماعة إليه و مازحني و أقبل عليّ و سكّن منّي، و أمر جدّي بالانصراف و أمر الجماعة فحدّثوني(4)، و سقيت أقداحا و غنيّ المغنّون جميعا، فأوما إليّ إسحاق الموصليّ بعينه/أن ابدأ فغنّ إذا بلغت التّوبة إليك قبل أن تؤمر بذلك، ليكون ذلك أصلح

ص: 148

1- ف: «بريء من تبعتك».

2- خنياكر: كلمة فارسية بمعنى المطرب و الموسيقيّ.

3- ف: «تبّهت عليه من هذا».

4- ف، المختار: «و أوما إلى الجماعة فخدموني».

و أجود بك، فلما جاءت النبوة إليّ أخذت عوداً ممّن كان إلى جنبي وقمت قائماً واستأذنت في الغناء، فضحك الرشيد وقال: غنّ جالساً، فجلست و غنّيت لحني الأول/فطرب واستعاده ثلاث مرّات، وشرب عليه ثلاثة أنصاف، ثم غنّيت الثاني، فكانت هذه حاله، وسكر، فدعا بمسرور فقال له: احمل الساعة مع عبد الله عشرة آلاف دينار و ثلاثين ثوباً من فاخر ثيابي، و عيبة مملوءة طيباً، فحمل ذلك أجمع معي.

المعتصم يأمره بالتكفير عن يمينه و الغناء لأصحابه جميعاً

قال عبد الله: و لم أزل كلّمّا أراد وليّ عهد أن يعلم من الخليفة بعد الخليفة الوالي أ هو أم غيره دعاني فأمرني بأن أعنّي، فأعرّفه بيمينني، فيستأذن الخليفة في ذلك، فإن أذن لي في الغناء عنده عرف أنه وليّ عهد، و إلاّ عرف أنه غيره حتى كان آخرهم الواثق، فدعاني في أيّام المعتصم و سأله أن يأذن لي في الغناء، فأذن لي، ثم دعاني من الغد فقال: ما كان غناؤك إلا سبياً لظهور سرّي و سرّ الخلفاء قبلي، و لقد هممت أن أمر بضرب رقبتك. لا يبلغني أنك امتنعت من الغناء عند أحد، فو الله لئن بلغني لأقتلتك، فأعتق من كنت تملكه يوم حلفت، و طلق من كان يوجد عندك من الحرائر، و استبدل بهنّ و عليّ العوض من ذلك، و أرحنا من يمينك هذه المشثومة، فقامت و أنا لا أعقل خوفاً منه، فأعتقت جميع من كان بقي عندي من ممالئكي، الذين حلفت يومئذ و هم في ملكي، و تصدّقت بجملة، و استفتيت في يميني أبا يوسف القاضي حتى خرجت منها، و غنّيت بعد ذلك إخواني جميعاً حتى اشتهر أمري، و بلغ المعتصم خبري، فتخلّصت منه، ثم غضب عليّ الواثق لشيء أنكره، و ولي الخلافة و هو ساخط عليّ فكتبت إليه:

اذكر أمير المؤمنين وسائلي (1) *** أيّام أرهب سطوة السيّف

أدعو إلهي أن أراك خليفة *** بين المقام و مسجد الخيف

فدعاني و رضني عنّي.

/حدّثني سليمان بن أبي شيخ قال:

دخلت على العباس بن الفضل بن الربيع ذات يوم و هو مختلط مغتاط و ابنه عبد الله عنده، فقلت له: ما لك أمتع الله بك؟ قال: لا يفلح و الله ابني عبد الله أبداً. فظننته قد جنى جنابة، و جعلت أعتذر إليه له، فقال: ذنبه أعظم من ذلك و أشنع، فقلت: و ما ذنبه؟ قال: جاءني بعض غلماني فحدّثني أنه رآه بقطربل يشرب نبيذ الداذيّ (2) بغير غناء، فهل هذا فعل من يفلح؟ فقلت له و أنا أضحك: سهّلت عليّ القصّة، قال: لا تقل ذاك فإنّ هذا من ضعة النّفس و سقوط الهمة، فكنت إذا رأيت عبد الله بعد ذلك في جملة المغنّين، و شاهدت تبدّله في هذه الحال و انخفاضه عن مراتب أهله تذكّرت قول أبيه فيه.

صنع غناء في شعر لأبي العتاهية و غناه

إشارة

قال: و سمعته يوماً يغني بصنّعته في شعر أبي العتاهية:

1- المختار: «رسائي».

2- الداذي: شراب الفساق. وفي ف: «يشرب الداذي».

أنا عبد لها مقرّ و ما *** يملك غيرها من التّاس رقّا

ناصح مشفق و إن كنت ما أر *** زق منها و الحمد لله عتقا

ليتني متّ فاسترحت فإنّي *** أبدا ما حييت منها ملقّي

/لحن عبد الله بن العباس في هذا الشعر رمل.

إسحاق الموصلي يصنع له لحنًا من شعره

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثني علي بن يحيى و أحمد بن حمدون، عن أبيه. و أخبرني جحظة، عن أبي عبد الله الهاشمي، أنّ إسحاق الموصلي دخل يوما إلى الفضل بن الربيع و ابن ابنه عبد الله بن العباس في حجره قد أخرج إليه و له نحو السنتين، و أبوه العباس واقف بين يديه، فقال إسحاق للوقت:

مدّ لك الله الحياة مدّا *** حتى يكون ابنك هذا جدّا

مؤزّرا بمجده مردي *** ثم يفدي مثل ما تقدّي

أشبه منك سنّة (1) و خدّا *** و شيما محمودا و مجدّا

كأنّه أنت إذا تبدّي

قال: فاستحسن الفضل الأبيات و صنع فيها إسحاق لحنه المشهور، و قال جحظة في خبره عن الهاشمي، و هو رمل ظريف من حسن الأرمال و مختارها، فأمر له الفضل بثلاثين ألف درهم.

أصبح العباس بن الفضل مهموما فنشطه الشعر و الشراب

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثني عبد الله بن عمر، قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك، قال:

حدّثني بعض ندماء الفضل بن الربيع قال: كنا عند الفضل بن الربيع في يوم دجن، و السماء ترشّ (2) و هو أحسن يوم و أطيبه، و كان العباس يومئذ قد أصبح مهموما، فجهدنا أن ينشط، فلم تكن لنا في ذلك حيلة، فبينما نحن كذلك إذ دخل عليه بعض الشعراء، إمّا الرقاشي و إمّا غيره من طبقته، فسلمّ و أخذ بعضادتي الباب ثم قال:

ألا أنعم صباحا يا أبا الفضل (3) و اربع *** على مربع القطريلي المشعشع

و علّل ندامك العطاش بقهوة *** لها مصرع في القوم غير مروّع

فإنك لاق كلّما شئت ليلة *** و يوما يغصّان الجفون بأدمع

اقال: فبكى العباس وقال: صدقت و الله، إن الإنسان ليلقى ذلك متى يشاء، ثم دعا بالطعام فأكل، ثم دعا بالشراب فشرب ونشط، و مرّ لنا يوم حسن طيب.

ص: 150

1- السنة: الوجه أو الجبهة.

2- ف: «تطش». وفي مد: «تبغش». وفي مي: «تبعثر».

3- ت: «أيها الفضل».

وسط أحمد بن المرزبان المنتصر

حدّثني عمّي، قال: حدّثني أحمد بن المرزبان، قال:

جاءني عبد الله بن العباس في خلافة المنتصر و قد سألتني عرض رقعة عليه، فأعلم أنّي نائم، وقد كنت شربت بالليل شربا كثيرا، فصلّيت الغداة و نمت، فلما انتبهت إذا رقعة عند رأسي و فيها مكتوب:

أنا بالباب واقف منذ أصب *** حت على السرج ممسك بعناني

و بعين البواب كلّ الذي بي *** و يراني كأنه لا يراني

فأمرت بإدخاله، فدخل، فعرفته خبري و اعتذرت إليه و عرضت رقعته على المنتصر و كلمته حتى قضى حاجته.

غناؤه مع إسحاق

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حمّاد بن إسحاق، قال:

دعا عبد الله بن العباس الرّبيعي يوما أبي، و سأله أن يبكر إليه (1) ففعل، فلما دخل بادر إليه عبد الله بن العباس ملتقيا و في يده العود و غناه:

قم نصطبج يفيديك كلّ مبخل *** عاب (2) الصّبوح لحبّه للمال

من قهوة صفراء صرف (3) مزّة *** قد عتقت في الدنّ مذ أحوال

/قال: و قدّم الطعام فأكلنا و اصطبحنا، و اقترح أبي هذا الصّوت عليه بقيّة يومه.

يناشد الشعر مع إسحاق بعد أن غنى

قال: و أتيتّه في داره بالمطيرة (4) عائدا، فوجدته في عافية، فجلسنا نتحدّث فأنشدته لذي الرّمّة:

إذا ما امرؤ حاولن أن يقتلنه *** بلا إحنة بين النفوس و لا ذحل

تبسّم عن نور الأقاحي في الثرى *** و فترن عن أبصار مكحولة نجل

و كشفن عن أجياد غزلان رملة *** هجان فكان القتل أو شبهة (5) القتل

و إنّا لترضى حين نشكو بخلوة *** إليهن حاجات النفوس بلا بذل

و ما الفقر أزرى عندهنّ بوصلنا *** و لكن جرت أخلاقهنّ على البخل

قال: فأنشدني هو:

-
- 1- ب: «بيكر عليه».
 - 2- ب: «دأب الصبوح».
 - 3- ب: «صفر مرة».
 - 4- المطيرة: قرية من نواحي سامراء، كانت من متنزهات بغداد وسامراء.
 - 5- ف: «أو شبه». وفي مي، مد: «مشبه القتل».
 - 6- المناخ: محل الإقامة.

طرقت أختا سفر وناجية *** خرقاء عرّفني بها الرّحل (1)

في مهمه هجع الدليل به *** و تعلّلت بصريفها البزل (2)

فكأنّ أحدث من ألمّ به *** درجت على آثاره التّمّل

قال إسحاق: فقال لي عبد الله بن العباس: كلّ ما يملك في سبيل الله إن فارقتك و لم نصطبح على هذين الشّعرين، و أنشدك و تشدني، ففعلنا ذلك و ما غتينا و لا غتينا.

اصطبح مع خادم صالح بن عجيف على زنا بنت الخس

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، قال:

القيت عبد الله بن العباس يوما في الطريق فقلت له: ما كان خبرك أمس؟ فقال: اصطحبت، فقلت: على ما ذا و مع من؟ فقال: مع خادم صالح بن عجيف، و أنت به عارف، و بخبري معه و محبّتي له عالم، فاصطبحنا على زنا بنت الخس (3) لَمّا حملت من زنا، و قد سئلت: ممّن حملت؟ فقالت:

أشّم كغصن البان جعد مرّجل *** شغفت به لو كان شيئا مدانيا

ثكلت أبي إن كنت ذقت كريقه *** سلافا و لا عذبا من الماء صافيا (4)

و أقسم لو خيرت بين فراقه *** و بين أبي لا اخترت أن لا أباليا

فإن لم أوسّد ساعدي بعد هجعة (5) *** غلاما هلاّيا فشلت بنانيا (6)

فقلت له: أقمت على لواط و شربت على زنا، و الله ما سبقك إلى هذا أحد.

طلب من فائز غلام محمد بن راشد الغناء و هم يشربون

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: أخبرني ميمون بن هارون، قال:

كان محمد بن راشد الخنّاق عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع على القاطول في أيام المعتصم، و كان لمحمد بن راشد غلام يقال له: فائز، يغتني غناء حسنا، فأطلّتهم سحابة و هم يشربون، فقال عبد الله بن العباس:

محمد قد جادت علينا بمائها *** سحابة مزن برقها يتهلّل

و نحن من القاطول في مترّبّع *** و منزلنا فيه المنابت مبقّل (7)

فمر فائزا يشدو إذا ما سقيتني *** أ عن ظعن الحيّ الألى كنت تسأل

-
- 1- ف، مد: «عرق نبيها الرحل». وفي مي: «عرق قتبها». والناجية: الناقة السريعة.
 - 2- المهمة: المفازة البعيدة، والصريف: صرير ناب البعير، والبزل جمع بازل، وهو البعير الذي انشق نابه بدخوله في السنة التاسعة.
 - 3- ب: «الحسن». وفي مي، مد: «الخنس».
 - 4- ف: «سلافا ولا ماء من المزن صافيا».
 - 5- ف: «بعد رقدة».
 - 6- المختار: «فشلت يمينيا».
 - 7- القاطول: اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة، وكان في موضع سامراء قبل أن تعمر وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر. (معجم البلدان). وفي ب: «و منزلنا جم المذانب مبقل».

قال: فأمر محمد بن راشد غلامه فائزاً، فغناه بهذا الصوت، و شرب عليه حتى سكر.

قال: و كان أبو أحمد بن الرّشيد قد عشق فائزاً، فاشتراه من محمد بن راشد بثلاثمائة ألف درهم، فبلغ ذلك المأمون، فأمر بأن يضرب محمد بن راشد ألف سوط، ثم سئل فيه فكفّ عنه، و ارتجع منه نصف المال، و طالبه بأكثر فوجده قد أنفقه و قضى دينه، ثم حجر على أبي أحمد بن الرّشيد، فلم يزل محجوراً عليه طوال أيام المأمون؛ و كان أمر ماله مردوداً إلى مخلد بن أبان.

شرب الخمر في ليلة من رمضان إلى الفجر

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: أخبرني ابن الجرجانيّ (1)، قال:

اتفق يوم النيروز في شهر رمضان، فشرب عبد الله بن العباس بن الفضل في تلك اللّيلة إلى أن بدا الفجر أن يطلع، و قال في ذلك و غنى فيه قوله:

اسقني صفراء صافية *** ليلة النيروز و الأحد

حرّم الصّوم اصطبأحكما *** فتزوّد شربها لغد

صنع لحنا للواثق و غناه في يوم نيروز فلم يستعد غيره

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني إبراهيم بن المدبّر، قال:

قال لي محمد بن الفضل الجرجانيّ: أنشدت عبد الله بن العباس الربيعيّ للمعلّى الطائيّ:

باكر صبوحك صبيحة النيروز *** و اشرب بكأس مترع و بكوز

ضحك الربيع إليك عن نّواره *** آس و نسرين و مرماحوز

فاستعادنيهما فأعدتهما عليه، و سألتني أن أمليهما، و صنع فيهما لحنا غنى به الواثق في يوم نيروز، فلم يستعد غيره يومئذ، و أمر له بثلاثين ألف درهم.

تأثر من شعر لجميل إلى أن بكى

إشارة

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثني عليّ بن يحيى، قال:

أنشدني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع لجميل، و أنشدنيه و هو يبكي و دموعه تنحدر على لحيته.

صوت

فما لك لما خبّر الناس أنّي *** غدرت بظهر الغيب لم تسليني (2)

فأحلف بتّ أو أجيء بشاهد *** من الناس عدل إنهم ظلموني

قال: وله فيه صنعة من خفيف التّثقيـل و خفيف الرمل.

ص: 153

1- ف: «ابن الجرجاني».

2- ب: «لم تسأليني»، وهو بذلك يختل وزنه.

إشارة

أخبرني عمي، قال: حدّثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدّثنا نافذ مولانا، قال:

كان عبد الله بن العباس صديقا لأبيك، و كان يعاشره كثيرا، و كان عبد الله بن العباس مصطبحا دهره لا يفوته ذلك إلا في يوم جمعة أو صوم شهر رمضان، و كان يكثر المدح للصّبح و يقول الشّعر فيه، و يغني فيما يقوله، قال عبيد الله: فأنشدني نافذ مولانا و غيره من أصحابنا في ذلك، منهم حمّاد بن إسحاق:

صوت

و مستطيل على الصّهباء باكرها *** في فتية باصطباح الرّاح حدّاق

فكلّ شيء رآه خاله (1) قدحا *** و كلّ شخص رآه خاله (1) السّاقبي

قال: و لحنه فيه خفيف رمل ثقيل. قال حمّاد: و كان أبي يستجيد هذا الصّوت من صنّعته، و يستحسن شعره و يعجب من قوله:

فكلّ شيء رآه خاله قدحا *** و كلّ شخص رآه خاله السّاقبي

و يعجب من قوله:

و مستطيل على الصّهباء باكرها

و يقول: و أيّ شيء تحته من المعاني الظريفة!

قال: و سمعه أبي يغنيه فقال له: كأنتك و الله يا عبد الله خطيب يخطب على المنبر، قال عبد الله بن محمد:

فأنشدني حمّاد له في الصّبح:

لا تعذلن في صبوحني *** فالعيش شرب الصّبح

ما عاب مصطبحا ق *** ط غير و غد شحيح

قال عمي: قال عبيد الله: دخل يوما عبد الله بن العباس الرّبيعيّ على أبي مسلّم، فلما استقرّ به المجلس و تحدّثا ساعة قال له: أنشدني شيئا من شعرك، فقال: إنّما أعبث و لست ممّن يقدم عليك بإنشاد شعره، فقال:

أ تقول هذا و أنت القائل:

يا شادنا رام إذ مرّ *** في السّعانيين قتلي

تقول لي: كيف أصبحت؟ *** كيف يصبح مثلي!

أنت والله أعزك الله أغزل الناس وأرقهم شعرا، ولو لم تقل غير هذا البيت الواحد لكفأك ولكنت شاعرا.

كتب شعرا في ليلة مقمرة و صنع فيه لحنا

إشارة

أخبرني عمي والحسين بن القاسم الكوكبي، قال: حدّثنا أحمد بن أبي طاهر، قال: حدّثني أحمد بن الحسين الهشامي (2) أبو عبد الله، قال:

ص: 154

1- التجريد: «ظنه».

2- ف: «الهاشمي».

حدّثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال:

/كنت جالسا على دجلة في ليلة من الليالي، وأخذت دواة وقرطاسا وكتبت شعرا حضرني وقلته في ذلك الوقت:

صوت

أخلفك الدهر ما تنظره *** فاصبر فذا جلّ أمر ذا القدر(1)

لعلنا أن نديل من زمن(2) *** فرّقتنا و الزمان ذو غير

قال: ثم أرتج عليّ فلم أدر ما أقول حتى يئست من أن يجيئني شيء، فالتفت فرأيت القمر وكانت ليلة تتمته فقلت:

فانظر إلى البدر فهو يشبهه *** إن كان قد ضنّ عنك بالنظر

ثم صنعت فيه لحنًا من الثقليل الثاني. قال أبو عبد الله الهشامي: وهو والله صوت حسن.

وصف البرق و صنع فيه لحنًا غناه للوائق

أخبرني جحظة عن ابن حمدون، وأخبرني به الكوكبي، عن عليّ بن محمد بن نصر، عن خالد بن حمدون، قال:

كنّا عند الواثق في يوم دجن، فلاح برق واستطار، فقال: لوفي هذا شيء(3)، فبدرهم عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، فقال هذين البيتين:

أعني على لامع بارق *** خفيّ كلمحك بالحاجب

كأنّ تألقه في السماء *** يدا كاتب أو يدا حاسب

/أو صنع فيه لحنًا شرب فيه الواثق بقيّة يومه، واستحسن شعره ومعناه وصنعه، ووصل عبد الله بصلّة سنّية.

صنع لحنًا في شعر الحسين بن الضحّاك و غناه

حدّثني عمّي، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن محمد بن مروان، قال: حدّثني الحسين بن الضحّاك، قال:

كنت عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، وهو مصطبّح، و خادم له قائم يسقيه فقال لي: يا أبا عليّ، قد استحسنت سقي هذا الخادم، فإن حضرك شيء في قصّتنا هذه فقل، فقلت:

أحيت صبوحي فكاهة اللاهي *** و طاب يومي بقرب أشباهي

فاستشر اللهو من مكانه *** من قبل يوم منعص ناهي

-
- 1- ف: «فاصبر فهذي جرائر القدر».
 - 2- أعال الله بني فلان من عاوههم: جعل الكرة لهم عليه. وفي ف: لعلنا أن نعال».
 - 3- ف: «قولوا في هذا شيئاً». وفي مي، مء: «لوان في هذا شيئاً».

يسقيك من طرفه و من يده(1) *** سقي لطيف مجرّب داهي

طاسا و كاسا(2) كأنّ شاربها *** حيران بين الذكور و الساهي

فاستحسنه عبد الله، و غنّي فيه لحننا مليحا، و شربنا عليه بقيّة يومنا.

قصته مع جارية نصرانية أحبها

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا أبو عبد الله أحمد بن المرزبان بن الفيرزان(3)، قال: حدّثني شيبّة بن هشام، قال:

كان عبد الله بن العباس بن الفضل بن الرّبيع قد علق جارية نصرانيّة قد رآها في بعض أعياد النّصارى، فكان لا يفارق البيع في أعيادهم شغفا بها، فخرج في عيد ما سرجيس فظفر بها في بستان إلى جانب البيعة، و قد كان قبل ذلك يرأسلها و يعرفها حبّه لها، فلا تقدر على مواصلته و لا- على لقائه إلا على الطّريق، فلما ظفر بها التوت عليه /و أبت بعض الإباء، ثم ظهرت له و جلست معه، و أكلوا و شربوا، و أقام معها و مع نسوة كنّ معها أسبوعا، ثم انصرفت في يوم خميس، فقال عبد الله بن العباس في ذلك و غنّي فيه:

ربّ صهباء من شراب المجوس *** قهوة بابلّيّة خندريس

قد تجلّيّتها بناي و عود *** قبل ضرب الشّمس بالتاقوس

و غزال مكحلّ ذي دلال *** ساحر الطرف سامريّ عروس

قد خلونا بطيبه نجتليه *** يوم سبت إلى صباح الخميس

بين ورد و بين آس جنّي *** وسط بستان دير ما سرجيس

يتشّي بحسن جيد غزال *** و صليب مفضّض آبنوسي

كم لثمت الصّليب في الجيد منها *** كهلال مكّلل بشموس

نظير من الغراب و استبشر بالهدهد

أخبرني عمّي، قال: حدّثني أحمد بن المرزبان، عن شيبّة بن هشام، قال:

كان عبد الله بن العباس يوما جالسا ينتظر هذه النّصرانيّة التي كان يهواها، و قد وعدته بالزيارة، فهو جالس ينتظرها و يتفقّدها إذ سقط غراب على برّادة(4) داره فنعب مرّة واحدة ثم طار، فتطير عبد الله من ذلك و لم يزل ينتظرها يومه فلم يرها، فأرسل رسوله عشاء(5) يسأل عنها، فعرفّ أنها قد انحدرت مع أبيها(6) إلى بغداد، فتتغصّ عليه يومه، و تفرّق من كان عنده، و مكث مدّة لا يعرف لها خبرا. فبينما هو جالس ذات يوم مع أصحابه، إذ سقط هدهد على برّادته، فصاح ثلاثة أصوات و طار، فقال عبد الله بن العباس: و أيّ شيء أبقى الغراب للهدهد علينا؟

- 1- ف: «يسقيك من عينه و من يده».
- 2- ف: «كأسا و كأسا».
- 3- ف: «المرزبان بن الفيروزان».
- 4- البرادة: شيء يتخذ فوق الدار. توضع عليه أواني الماء لتبرد.
- 5- ف: «فوجه برسوله عشيا».
- 6- ف: «مع أخيها».

و هل ترك لنا أحدا يؤذينا بفراقه ؟ و تطير من ذلك، فما فرغ من كلامه حتى دخل رسولها يعلمه/أنها/قد قدمت منذ ثلاثة أيام، و أنها قد جاءت زائرة على إثر رسولها، فقال في ذلك من وقته:

سفاك الله يا هد *** هد و سميًا من القطر

كما بشرت بالوصل *** و ما أنذرت بالهجر

فكم ذاك من بشرى *** أتتني منك في ستر

كما جاءت سليمان *** فأوفت منه بالندر

و لا زال غراب الب *** ين في ققاعة (1) الأسر

كما صرّح بالبين *** و ما كنت به أدري

و لحنه في هذا الشعر هزج.

غنى للمتوكل لحننا لم يعجبه فذكره بألحان له سابقة

حدّثني عمّي، قال: حدّثني ميمون بن هارون، قال: قال إسحاق بن إبراهيم بن مصعب:

قال لي عبد الله بن العباس الربيعي: لَمَّا صنعت لحنني في شعري:

ألا اصبحاني يوم السّعانيين *** من قهوة عتّمت بكركين (2)

عند أناس قلبي بهم كلف *** وإن تولّوا دينا سوى ديني

قد زين الملك جعفر و حكى *** جود أبيه و بأس هارون

و أمّن (3) الخائف البريء كما *** أخاف أهل الإلحاد في الدّين

دعاني المتوكل، فلما جلست في مجلس المنادمة غنّيت هذا الصّوت فقال لي: يا عبد الله، أين غناؤك في هذا الشعر في أيّامي هذه من غنائك في:

/أماطت كساء الخزّ عن حرّ وجهها *** و أدنت على الخدّين بردا مهلهلا

و من غنائك في:

أقفر من بعد خلة سرف *** فالمنحني فالعقيق فالجرف

و من سائر صنعتك المتقدّمة التي استفرغت محاسنك فيها، فقلت له: يا أمير المؤمنين، إني كنت أتغنّي في هذه الأصوات ولي شباب و طرب و عشق، و لوردّ عليّ لغنّيت مثل ذلك الغناء، فأمر لي بجائزة و استحسّن قولي.

غنى للمنتصر بشعر لم يطلبه منه فلم يصله بشيء

حدّثني عمّي، قال: حدّثنا أحمد بن المرزبان، قال: حدّثني أبي، قال:

ذكر المنتصر يوماً عبد الله بن العباس و هو في قراح (4) التّرجس مصطبّح، فأحضره و قال له: يا عبد الله، اصنع

ص: 157

1- القفاعة: شيء يتخذ من جريد النخل، ثم يرسل به على الصيد فيصاد.

2- كركين: من قرى بغداد (معجم ياقوت). و في ب: «بكرين» و هو تحريف.

3- ف: «و أس الخائف».

4- القراح من كل شيء: الخالص.

لحنا في شعري الفلانيّ ، وغنّني به، و كان عبد الله حلف لا يغني في شعره، فأطرق مليًا، ثم غنّي في شعر قاله للوقت و هو:

يا طيب يومي في قراح التّرجس *** في مجلس ما مثله من مجلس!

تسقى مشعشة كأنّ شعاعها *** نار تشبّ لبائس مستقبس

قال: فجهد أبي بالمنتصر يوما و احتال عليه بكلّ حيلة أن يصله بشيء فلم يفعل.

غنى للمتوكل فأطربه و أمر له بجائزة

حدّثني عمّي، قال: حدّثني أحمد بن المرزبان، قال: حدّثني أبي، قال:

غضبت قبيحة على المتوكل و هاجرته، فجلس و دخل الجلساء و المغنّون، و كان فيهم عبد الله بن العباس الربيعيّ ، و كان قد عرف الخبر، فقال هذا السّعر و غنّي فيه:

لست منّي و لست منك فدعني *** و امض عني مصاحبا بسلام(1)

/لم تجد علّة تجنّي بها ال *** ذنب فصارت تعتلّ بالأحلام

/إذا ما شكوت ما بي قالت: *** قد رأينا خلاف ذا في المنام

قال: فطرب المتوكل و أمر له بعشرين ألف درهم و قال له: إنّ في حياتك يا عبد الله لأنسا و جمالا و بقاء للمروءة و الظرف.

غنى بشعر للسليك

إشارة

أخبرني عمّي، قال: حدّثني أحمد بن المرزبان، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني عبد الله بن العباس الربيعيّ ، قال:

كنت في بعض العساكر فأصابتنا السّماء حتى تأذينا، فضربت لي قبة تركيّة، و طرح لي فيها سريران، فخطر بقلبي قول السليك:

صوت

قرب التّحام(2) و اعجل يا غلام *** و اطرح السّرج عليه و اللّجام

أبلغ(3) الفتیان آتی خائض *** غمرة الضّرب فمن شاء أقام

فغنّيت فيه لحني المعروف، و غدونا فدخلت مدينة، فإذا أنا برجل يغني به و والله ما سبقني إليه أحد و لا سمعه منّي أحد، فما أدري من الرّجل، و لا من أين كان له، و ما أرى إلا أنّ الجنّ أوقعته في لسانه!.

- 1- ف: «يا حبيبي مصاحبا بسلام».
- 2- النحام: اسم فرس.
- 3- ف: «أبلغ».

إشارة

حدّثني عمّي، قال: حدّثني أحمد بن المرزبان، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني عبد الله بن العباس الرّبيعيّ، قال: كنت عند محمد بن الجهم البرمكيّ بالأهواز، وكانت ضيعتي في يده، فغنّيته في يوم مهرجان وقد دعانا للشّرب:

صوت

المهرجان ويوم الاثنين *** يوم سرور قد حفّ بالزّين (1)

ينقل من وغرة المصيف إلى (2) *** برد شتاء ما بين فصلين

محمد يا بن الجهم و من بنى *** للمجد بيتا من خير بيتين (3)

عش ألف نيروز و مهرج فرحا *** في طيب عيش و قرّة العين (4)

قال: فسّر بذلك واحتمل خراجه في تلك السنّة، وكان مبلغه ثلاثين ألف درهم.

عشق جارية عند أبي عيسى بن الرشيد فوجه بها معه إلى منزله

إشارة

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني ابن أبي سعد، قال: حدّثني أبو توبة القطرانيّ، عن محمد بن حسين (5)، قال:

كنا عند أبي عيسى بن الرّشيد في زمن الرّبيع و معنا مخارق، و علوية، و عبد الله بن العباس الرّبيعيّ، و محمد بن الحارث بن بسخر (6)، و نحن مصطبحون في طارمة (7) مضروبة على بستانه، و قد تفتّح فيه ورد و ياسمين و شقائق، و السماء متغيّمة غيما مطبقا، و قد بدأت ترشّ رشا ساكبا (8)، فنحن في أكمل نشاط و أحسن يوم إذ خرجت قيّمة دار أبي عيسى فقالت: يا سيّدي، قد جاءت عساليج، فقال: لتخرج إلينا، فليس بحضرتنا من تحتشمه، فخرجت إلينا جارية شكلة (9) حلوة، حسنة العقل و الهيئة/أو الأدب، في يدها عود. فسلمت، فأمرها أبو عيسى بالجلوس فجلست، و غنّى القوم حتى انتهى الدّور إليها، و ظنّنا أنها لا تصنع شيئا و خفنا أن تهابنا فتحصر، فغنّت غناء حسنا مطربا متقنا، و لم تدع أحدا ممّن حضر إلا غنّت صوتا من صنعته و أدته على غاية الإحكام، فطربنا

ص: 159

1- ف: «يوم سرور طيب زين».

2- ف: «ينقل من حر مصيف إلى».

- 3- ف: «محمد بن الجهم يا من بناه المجد من أكرم بيتين»
- 4- ف، مي، مد: «عش ألف نيروز و مهرج بنا معتبطا في قره العين»
- 5- ف: «محمد بن جبر».
- 6- ب، مي، مد: «بن بشخير».
- 7- الطارمة: بيت من خشب كالقبة (معرب).
- 8- ف: «رثًا ساكنا».
- 9- شكلت المرأة شكلا: كانت ذات دلال و غزل، فهي شكلة.

و استحسنّا غناءها و خاطبناها بالاستحسان، و ألحّ عبد الله بن العباس من بيننا بالاقتراح عليها و المزاح معها و النّظر إليها، فقال له أبو عيسى: عشقتها و حياتي يا عبد الله، قال: لا و الله/يا سيّدي و حياتك ما عشقتها، و لكنني استحسنّت(1) كلّ ما شاهدت منها من منظر و شكل و عقل و عشرة و غناء، فقال له أبو عيسى: فهذا و الله هو العشق و سببه، و ربّ جدّ جرّه اللّعب. و شربنا، فلما غلب التّبيذ على عبد الله غنّى أهزاجا قديمة و حديثة، و غنّى فيما غنّى بينهما هزجا في شعر قاله فيها لوقته، فما فطن له إلا أبو عيسى و هو:

صوت

نطق السّكر بسرّي فبدا *** كم يرى المكتوم يخفى لا يضح

سحر عينيك إذا مارنتا *** لم يدع ذا صبوة أو يفتضح

ملكّت قلبا(2) فأمسى غلقا *** عندها صبا بها لم يسترح

بجمال و غناء حسن *** جلّ عن أن ينتقيه المقترح

أورث القلب هموما و لقد *** كنت مسرورا بمرآه فرح

و لكم مغتبق همّا و قد *** بكر(3) اللّهُ بكور المصطبح

- الغناء لعبد الله بن العباس هزج - فقال له أبو عيسى: فعلتها و الله يا عبد الله، و طار/طربا(4)، و شرب على الصّوت و قال له: صحّ و الله قولني لك في عساليج، و أنت تكابرنني حتّى فضحك السّكر. فجحّد، و قال: هذا غناء كنت أرويه، فحلف أبو عيسى أنه ما قاله و لا غناه إلا في يومه، و قال له: احلف بحياتي أنّ الأمر ليس هو كذلك، فلم يفعل، فقال له أبو عيسى: و الله لو كانت لي لوهبتها لك، و لكنها لآل يحيى بن معاذ، و الله لئن باعوها لأملكّك إيّاها و لو بكلّ ما أملك، و و حياتي لتصرفنّ قبلك إلى منزلك، ثم دعا بحافظتها و خادم(5) من خدمه، فوجّه بها معهما إلى منزله. و التوى عبد الله قليلا و تجلّد، و جاحدنا أمره ثم انصرف.

اشترت عمته عساليج ثم وهبتها له

و اتّصل الأمر بينهما بعد ذلك، فاشترتها عمّته رقيّة بنت الفضل بن الرّبيع من آل يحيى بن معاذ، و كانت عندهم حتى ماتت.

فحدّثني جعفر بن قدامة بن زياد عن بعض شيوخه - سقط عني اسمه - قال: قالت بذل الكبيرة لعبد الله بن العباس: قد بلغني أنك عشقت جارية يقال لها عساليج فأعرضها عليّ، فأما أن عذرتك و إمّا أن عدلتك، فوجّه إليها فحضرت، و قال لبذل: هذه هي يا ستي فانظري و اسمعي، ثم مريني بما شئت أطعك، فأقبلت عليه عساليج و قالت:

يا عبد الله أ تشاور فيّ؟ فو الله ما شاورت لّمّا صاحبتك، فنعرت(6) بذل و صاحت: إيه، أحسنت و الله يا صبيّة، و لو لم

2- مي، مد، التجريد: «قلبي». وفي ف: «ملكيت كفي».

3- ف: «ولكم مقترح هما وقد باكر...».

4- ف: «ونقر طربا».

5- ف: «ثم دعا حافظتها و خادما».

6- نعت: صاحت و صوتت بخيشومها.

تحسني شيئاً ولا كانت فيك خصلة تحمد لوجب أن تعشقي لهذه الكلمة، أحسنت والله، ثم قالت لعبد الله:

ما ضيّعت (1)، احتفظ بصاحبك.

غنى الواصل في يوم نيروز فأمر له بجائزة

إشارة

حدّثني عمّي، قال: حدّثني محمد (2) بن المرزبان، عن أبيه، عن عبد الله بن العباس، قال:

ادعانا الواصل في يوم نوروز، فلما دخلت عليه غنّيته في شعر قلته و صنعت فيه لحنا و هو:

هيّ للنيروز جاما *** و مداما و ندامي

يحمدون الله و الوا *** ثق هارون الإماما

ما رأى كسرى أنوشر *** وان مثل العام عاما

نرجسا غصّنا و وردا *** و بهارا و خزامي

قال: فطرب و استحسّن الغناء، و شرب عليه حتى سكر، و أمر لي بثلاثين ألف درهم.

حدّثني عمّي، قال: حدّثني أحمد بن المرزبان، قال: حدّثني شيبه بن هشام قال:

ألقت متيم على جوارينا هذا اللحن و زعمت أنّها أخذته من عبد الله بن العباس و الصنعة له:

صوت

اتّخذت عدوة *** فسقى الإله عدوتي

و فديتها بأقاربي *** و بأسرتي و بجيرتي

جدلت كجدل الخيزرا *** ن و ثنيت فتنّت

و استيقنت أنّ الفؤا *** د يحبّها فأدلّت

عشق مصاييح و قال فيها شعرا

إشارة

قال: ثم حدّثنا متيم أنّ عبد الله بن العباس كان يتعشّق مصابيح جارية الأحدب المقيّين(3)، وأنّه قال هذا الشعر فيها، وغمّي فيه هذا اللّحن بحضرتها، فأخذته عنه. /هكذا ذكر شيبه بن هشام من أمر مصابيح، وهي مشهورة من جوارى آل يحيى بن معاذ، ولعلها كانت لهذا المقيّين قبل أن يملكها آل يحيى، وقبل أن تصل(4) إلى رقيّة بنت الفضل بن الرّبيع.

و حدّثنا أيضا عمّي، قال: حدّثنا أحمد بن المرزبان، عن شيبه ابن هشام، قال:

كان عبد الله بن العباس يتعشّق جارية الأحدب المقيّين - ولم يسمّها في هذا الخبر - فغاضبها في شيء بلغه عنها، ثم رام بعد ذلك أن يترصّها فأبّت، وكتب إليها رقعة يحلف لها على بطلان ما أنكرته، ويدعو الله على من

ص: 161

1- ب: ما صنعت «تصحيح».

2- ف: «أحمد بن المرزبان».

3- ب: «القين».

4- ف: «تصير».

ظلم، فلم تجبه عن شيء مما كتب به، ووقعت تحت دعائه: آمين، ولم تجب عن شيء مما تضمنته الرقعة بغير ذلك، فكتب إليها:

أما سروري بالكنا *** ب فليس يقنى ما بقينا

وأتى الكتاب وفيه لي(1) *** آمين رب العالمينا

قال: وزارته في ليلة من ليالي شهر رمضان وأقامت عنده ساعة، ثم انصرفت وأبت أن تبيت و تقيم ليلتها عنده، فقال هذا الشعر و غنى فيه هزجا وهو مشهور من أغانيه وهو:

صوت

يا من لهمم أمسى يؤزقني *** حتى مضى شطر ليلة الجهني(2)

عنى و لم أدر أنها حضرت *** كذاك من كان حزنه حزني(3)

إني سقيم(4) موله دنف *** أسقمني حسن وجهك الحسن

جودي له بالشفاء منيته *** لا تهجري هائما عليك ضني

قال: و ليلة الجهني ليلة تسع عشرة من شهر رمضان، قال رجل من جهينة: إنه رأى فيها ليلة القدر فيما يرى التائم فسميت ليلة الجهني .

غنى في دار محمد بن حماد

أخبرني عمي، قال: حدثنا أحمد بن المرزبان، قال: حدثني شيبه بن هشام، قال:

دعانا محمد بن حماد بن دنقش(5) و كان له ستارة في نهاية الوصف، و حضر معنا عبد الله بن العباس، فقال عبد الله و غنى فيه:

دع عنك لومي فإني غير منقاد *** إلى الملام و إن أحببت إرشادي

/فلمت أعرف لي يوما سررت به *** كمثل يومي في دار ابن حماد

غنى الواثق بشعر ذكرت فيه أعياد النصارى فخشي أن ينتصر

إشارة

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدثني أبو أيوب المديني، قال: حدثني ابن المكي، عن عبد الله بن العباس، قال: لما صنعت لحني في شعري:

- 1- ف: «وإني وقد وقّعت لي».
- 2- ف: «حتى مضى الشطر ليلة الجهني».
- 3- ف: «كذاك من كان حزنها حزني».
- 4- مد، مي: «إني شقيّ».
- 5- غير واضحة في ف.

يا ليلة ليس لها صبح *** و موعدا ليس له نجح

من شادن مرّ على وعده المي *** لاد و السّلاق و الذّبح

- هذه أعياد النّصاري - غنّيته الواثق فقال: ويلكم، أدركوا هذا لا يتنصّر، و تمام هذا الشّعر:

و في السّعانين لو أنّي به *** و كان أقصى الموعد الفصح

فاللّه استعدي على ظالم *** لم يغن عنه الجود و الشّح

/انسخت من كتاب أبي سعيد السّكّريّ: قال أبو العتاهية: و فيه لعبد اللّه بن العباس غناء حسن:

أنا عبد لها مقرّ و ما يم *** لك لي غيرها من الناس رقّا

ناصح مشفق و إن كنت ما أر *** زق منها و الحمد لله عتقا

و من الحين و الشّقاء تعلّ *** قت مليكا مستكبرا حين يلقي

إن شكوت الذي لقيت إليه *** صدّ عنيّ و قال: بعدا و سحقا

حكي حاله في غناء بحضرة حمدون بن إسماعيل

أخبرني عمّي، قال: حدّثني عليّ بن محمد بن نصر، عن جدّه حمدون بن إسماعيل، قال:

دخلت يوما إلى عبد اللّه بن العباس الربيعيّ، و خادم له يسقيه، و بيده عوده، و هو يغنّي هذا الصوت:

إذا اصطبحت ثلاثا *** و كان عودي نديمي

و الكأس تغرب (1) ضحكا *** من كفّ ظبي رخيّم

فما عليّ طريق *** لطارقات الهموم

قال: فما رأيت أحسن ممّا حكي حاله في غنائه، و لا سمعت أحسن ممّا غنّي.

عشق غلام حزام خادم المعتصم

أخبرني الحسين (2) بن القاسم الكوكبيّ، قال: حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد، قال: حدّثني دوسر (3) الخراسانيّ قال:

اشترى حزام (4) خادم المعتصم خادما نظيفا، كان عبد اللّه بن العباس بن الفضل/بن الربيع يتعشّقه، فسأله هبته له أو يبيعه منه فأبى، فقال عبد

اللّٰه أباياتا و صنع فيها غناء، و هي قوله:

يوم سبت فصرّفا لي المداما *** و استقياني لعلني أن أناما

شرّد النوم حبّ ظبي غير *** ما أراه يرى الحرام حراما

ص: 163

1- ف: «فضحك ضحكا».

2- ب: «الحسن بن القاسم».

3- ب: «دوس الخراساني».

4- ب: «حزم».

اشتراه يوماً بعلقة يوم *** أصبحت عنده (1) الدواب صيما

فاتصلت الأبيات و خبرها بحزام، فخشي أن تشتهر و يسمعها المعتصم فيأتي عليه؛ فبعث بالغلام إلى عبد الله، و سأله أن يمكك عن الأبيات، ففعل.

إبراهيم الموصلي يعني أمام الرشيد لحنا من صنعه فيرسل إليه و يلزمه

حدّثني الصّوليّ، قال: حدّثني الحسين بن يحيى، قال: قلت لعبد الله بن العباس: إنه بلغني لك خبر مع الرّشيد أول ما شهت بالغناء، فحدّثني به، قال: نعم أول صوت صنّعه:

أتاني يؤامرني في الصّبو *** ح ليلا فقلت له: غاها

فلما تأتّى (2) لي و ضربت عليه بالكنكلة؛ عرضته على جارية لنا يقال لها راحة، فاستحسنته و أخذته عني، و كانت تختلف إلى إبراهيم الموصليّ، فسمعها يوماً تغنيّه و تناغي (3) به جارية من جواريه، فاستعادها إياه و أعادته عليه، فقال لها: لمن هذا؟ فقالت: صوت قديم، فقال لها: كذبت، لو كان قديماً لعرفته، و ما زال يداريها و يتغاضب عليها حتى اعترفت له بأنّه من صنّعتي، فعجب من ذلك، ثم غنّاه يوماً بحضرة الرشيد، فقال له: لمن هذا اللّحن يا إبراهيم؟ فأمسك عن الجواب و خشي أن يكذبه فينمي الخبر إليه من غيره، و خاف من جدّي أن يصدقه، فقال له: ما لك/لا تجبيني؟ فقال: لا يمكنني يا أمير المؤمنين، فاستراب بالقصّة، ثم قال: و الله، و تربة المهديّ لئن لم تصدقني لأعاقبتك عقوبة موجعة، و توهم أنّه لعلية أو لبعض حرمة فاستطير غضباً، فلما رأى إبراهيم الجدّ منه صدقه فيما بينه و بينه سرّاً، فدعا لوقته الفضل بن الرّبيع ثم قال له: أيصنع ولدك غناء و يرويه الناس و لا تعرّفني؟ فجزع و حلف بحياته و يبعته أنه ما عرف ذلك قطّ، و لا سمع به إلا في وقته ذلك، فقال له: ابن (4) ابنك عبد الله بن العباس أحضرني الساعة، فقال: أنا أمضي و أمتحنه، فإن كان يصلح للخدمة أحضرته، و إلا كان أمير المؤمنين أولى من ستر عورتنا، فقال: لا بدّ من إحضاره. فجاء جدّي فأحضرني و تعيّن عليّ، فاعتذرت و حلفت له أن هذا شيء ما تعمدته، و إنما غنيت لنفسي، و ما أدري من أين خرج، فأمر بإحضار عود فأحضر، و أمرني فغنّيته الصوت، فقال:

قد عظمت مصيبتني فيك يا بنيّ، فحلفت له بالطلاق و العتاق ألا أقبل على الغناء رفدا أبداً، و لا أغنّي إلا خليفة أو وليّ عهد، و من لعله أن يكون حاضراً مجالسهم، فطابت نفسه. فأحضرني (5)، فغنّيت الرشيد الصوت فطرب و شرب عليه أقداحاً، و أمرني بالملازمة مع المجلساء، و جعل لي نوبة، و أمر بحمل عشرة آلاف دينار إلى جدّي، و أمره أن يبتاع ضيعة لي بها، فابتاع لي ضيعتي بالأهواز، و لم أزل ملازماً للرّشيد حتى خرج إلى خراسان، و تأخرت عنه و فرّق الموت بيننا.

ص: 164

1- ف: «أصبحت غبّه».

2- ف: «فلما دار لي».

3- ف: «و تعايي».

4- ف: «أين ابنك عبد الله بن العباس».

5- ف: «فأحضرته».

قال ابن المرزبان: فكان عبد الله بن العباس سببا لمعرفة أولياء اليهود برأي الخلفاء فيهم، فكان منهم الواثق، فإنه أحب أن يعرف: هل يوليه المعتصم العهد بعده أم لا، فقال له عبد الله: أنا أدلك على وجه تعرف به ذلك، فقال: وما هو؟ فقال: تسأل أمير المؤمنين أن يأذن للجلساء والمغتنين أن يصيروا إليك، فإذا فعل ذلك فاخلع عليهم /و عليّ معهم، فإني لا أقبل خلعتك لليمين التي عليّ؛ ألا أقبل رفدا إلا من خليفة أو وليّ عهد. فقعد الواثق ذات يوم وبعث إلى المعتصم وسأله الإذن إلى الجلساء(1)، فأذن لهم، فقال له عبد الله بن العباس: قد علم أمير المؤمنين يميني، فقال له: امض إليه فإنك لا تحنث، فمضى إليه وأخبره الخبر فلم يصدّقه، وظنّ أنه يطيب نفسه، فخلع عليه وعلى الجماعة، فلم يقبل عبد الله خلعته، وكتب إلى المعتصم يشكوه، فبعث إليه: اقبل الخلعة، فإنه وليّ عهدي، ونمى إليه الخبر أن هذا كان حيلة من عبد الله، فنذر دمه، ثم عفا عنه.

وسرّ الواثق بما جرى، وأمر إبراهيم بن رباح، فاقترض له ثلاثمائة ألف درهم، ففرّقها على الجلساء، ثم عرف غضب المعتصم على عبد الله بن العباس وأطراحه إيّاه، فأطرحه هو أيضا. فلما ولي الخلافة استمرّ على جفائه، فقال عبد الله:

ما لي جفيت و كنت لا أجفى *** أيام أهرب سطوة السيّف

أدعو إلهي أن أراك خليفة *** بين المقام و مسجد الخيف

ودسّ من غناه الواثق، فلما سمعه سأل عنه، فعرف قائله، فتذمّم(2) ودعا عبد الله فبسطه و نادمه إلى أن مات.

وذكر العتّابي عن ابن الكلبي أنّ الواثق كان يشتهي على عبد الله بن العباس:

أيّها العاذل جهلا تلوم *** قبل أن ينجاب عنه الصّريم(3)

و أنه غدّاه يوما فأمر بأن يخلع عليه خلعة، فلم يقبلها ليمينه، فشكاه إلى المعتصم، فكاتبه في الوقت، فكتب إليه مع مسرور سمّانة: اقبل خلع(4) هارون فإنك لا تحنث، فقبلها و عرف الواثق أنّه وليّ عهد.

خرج يوم الشعانين ليرى محبوبته النصرانية

إشارة

حدّثني عمّي، قال: حدّثني أحمد بن المرزبان، قال: حدّثني شيبه بن هشام، قال:

كان عبد الله بن العباس يهوى جارية نصرانية لم يكن يصل إليها ولا يراها إلا إذا خرجت إلى البيعة، فخرجنا يوما معه إلى السّعانين، فوقف حتى إذا جاءت فرآها، ثم أنشدنا لنفسه، وغنّى فيه بعد ذلك:

2- تدمم: استنكف و استحيا.

3- الصريم: القطعة من الليل.

4- ف: «خلعة».

إن كنت ذا طِبِّ فداويني (1) *** ولا تلم فاللوم يغريني

يا نظرة أبقت جوى قانلا *** من شادن يوم السّعانيين

ونظرة من ربرب (2) عين *** خرجن في أحسن تزيين

خرجن يمشين إلى نزهة *** عوانقا (3) بين البساتين

مزّنرات بهمايينها (4) *** والعيش ما تحت الهمايين

لحن عبد الله بن العباس في هذا الشعر هزج.

شرب ليلة الشك في رمضان في يوم نيروز

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثنا محمد بن عمر الجرجانيّ ، و محمد بن حمّاد كاتب راشد، قالوا:

كتب عبد الله بن العباس الرّبيعيّ في يوم نيروز - و اتفق في يوم الشكّ بين شهري رمضان و شعبان - إلى محمد بن الحارث بن بسُخُنرّ يقول:

اسقني صفراء صافية *** ليلة النّيروز و الأحد

/حرّم الصّوم (5) اصطبأحكما *** فتزوّد شربها لغد

و اتتنا أو فادعنا عجلا *** نشترك في عيشة رغد

قال: فجاءه محمد بن الحارث بن بسُخُنرّ فشربا ليلتهما.

صنع لحنا من شعره للوائق فأمر له بجائزة

إشارة

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى، قال: حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ ، قال: حدّثنا أحمد بن المكيّ ، قال: حدّثنا عبد الله بن العباس الرّبيعيّ ، قال:

جمع اللوائق يوما المغنّين ليصطحب، فقال: بحياتي إلاّ صنعت لي هزجا حتى أدخل و أخرج إليكم الساعة، و دخل إلى جواريه، فقلت هذه الأبيات و غنّيت فيها هزجا قبل أن يخرج، و هي:

بأبي زور أتانى بالجلس *** قمت إجلالا له حتى جلس

فتعانقنا جميعا ساعة *** كادت الأرواح فيها تختلس

ص: 166

-
- 1- إثبات الياء هنا ضرورة شعرية.
 - 2- الريب: القطيع من الظباء، ومن البقر الوحشيّ والإنسيّ، لا واحد له.
 - 3- عواتق جمع عاتقة، وهي الشابة أول ما أدركت فخرت في بيت أهلها ولم تبين إلى زوج.
 - 4- مزّرات: لابسات الزنار؛ وهو حزام يشده النصراني على وسطه، والهمايين جمع هميان، وهو كيس تجعل فيه النفقة ويشد على الوسط.
 - 5- ب: «النوم».

قلت: يا سؤلي ويا بدر الدجى *** في ظلام الليل ما خفت العسس!

قال: قد خفت ولكن الهوى *** آخذ بالروح مني والنفس

زارني يخطر في مشيته *** حوله من نور خديه قبس

قال: فلما خرج من دار الحرم قال لي: يا عبد الله، ما صنعت؟ فاندفعت فغنته، فشرب حتى سكر، وأمر لي بخمسة آلاف درهم، وأمرني بطرحه على الجواري، فطرحته عليهن.

صنع لنا جميلا من شعر يوسف بن الصقيل

إشارة

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، قال: حدثنا أبو أيوب المدني، عن حماد، قال:

من مליح صنعة عبد الله بن العباس الربيعي، والشعر ليوسف بن الصقيل، ولحنه هزج:

صوت

أبعد المواثيق لي *** وبعد السؤال الحفي

وبعد اليمين التي *** حلفت على المصحف

تركت الهوى بيننا *** كضوء سراج طفي

فليتك إذ لم تفي *** بوعدك لم تخلفي

غنى للوائق لنا من شعر الأحوص فأعطاه ألف دينار

إشارة

حدثني الصولي، قال: حدثني يزيد بن محمد المهلبي، قال:

كان اللوائق قد غضب على فريدة لكلام أخفته إياه فأغضبتة، وعرفنا ذلك وجلس في تلك الأيام للصباح، فغناه عبد الله بن العباس:

صوت

لا تأمني الصرم مني أن تري كلفي *** وإن مضى لصفاء الودّ أعصار

ما سَمِّي القلب إلا من تقلَّبه *** والرأي يصرف و الأهواء أطوار

كم من ذوي مقعة (1) قبلي و قبلكم *** خانوا فأضحوا إلى الهجران قد صاروا

فاستعاده الوثائق مرارا، و شرب عليه و أعجب به، و أمر لعبد الله بألف دينار و خلع عليه.

الشعر للأحوص، و الغناء لعبد الله بن العباس هزج بالوسطى عن عمرو.

فضله المتوكل على سائر المغنين

و أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدَّثنا حماد بن إسحاق، قال: حدَّثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، قال:

ص: 167

1- المقعة: الحب، وفي ف: «سمة».

اغنيت المتوكل ذات يوم:

أحبّ إلينا منك دلاً و ما يرى *** له عند فعلي من ثواب ولا أجر

فطرب وقال: أحسنت و الله يا عبد الله، أما و الله لوراك الناس كلهم كما أراك لما ذكروا مغتيا سواك أبدا.

أشار بذكره ابن الزيات عند المعتصم

نسخت من كتاب لأبي العباس بن ثوبة بخطه: حدّثني أحمد بن إسماعيل بن حاتم، قال: قال لي عبد الله بن العباس الرّبيعيّ :

دخلت على المعتصم أوّدعه/وأنا أريد الحجّ ، فقبّلت يده وودّعته، فقال: يا عبد الله إنّ فيك لخصالا تعجبني كثر الله في موالِيّ مثلك، فقبّلت رجله و الأرض بين يديه، و أحسن محمد بن عبد الملك الرّيات محضري و قال له:

إنّ له يا أمير المؤمنين، أدبا حسنا و شعرا جيّدا، فلما خرجت قلت له: أيها الوزير، ما شعري أنا في الشعر تستحسنه و تشيد بذكره بين يدي الخليفة! فقال: دعنا منك، تنتفي من الشعر و أنت الذي تقول:

يا شادنا مرّ إذ را *** م في السّعانيين قتلي

يقول لي: كيف أصبح *** ت، كيف يصبح مثلي!

أحسنت و الله في هذا، و لو لم تقل غير هذا لكنت شاعرا.

طلب منه سوار بن عبد الله القاضي أن يصنع له لحنا في شعر قاله

إشارة

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا أحمد بن المرزبان، قال: قال أبي: قال عبد الله بن العباس الرّبيعيّ :

لقيني سوار بن عبد الله القاضي - و هو سوار الأصغر - فأصغى إليّ و قال: إنّ لي إليك حاجة فأنتني في خفي، فجنّته، فقال: لي إليك حاجة قد أنست بك فيها، لأنك لي/كالولد، فإن شرطت لي كتمانها أفضيت بها إليك، فقلت: ذلك للقاضي عليّ شرط واجب، فقال: إني قلت أيباتا في جارية لي أميل إليها و قد قلتني و هجرتني:

و أحببت أن تصنع فيها لحنا و تسمعني، و إن أظهرته و غتّيته بعد ألاّ يعلم أحد أنه شعري، فلست أبالي، أ تفعل ذلك؟ قلت: نعم حبّا و كرامة، فأنشدني:

صوت

سلبت عظامي لحمها فتركته *** عواري في أجلادها(1) تتكسّر

وأخليت منها مَحَّهَا فكأَنَّهَا *** أنابيب في أجوافها الرِّيح تصفر

إذا سمعت باسم الفراق ترعدت *** مفاصلها من هول ما تتحدّر

خذي بيدي ثم اكشفي الثوب فانظري *** بلى جسدي لكتني أتستّر

وليس الذي يجري من العين ماؤها *** و لكنّها روح تذوب فتقطر

- اللحن الذي صنعه عبد الله بن العباس في هذا الشعر ثقيل أول - قال عبد الله: فصنعت فيه لحنًا، ثم عرّفته

ص: 168

1- أجلاد الإنسان: تجاليد، وهي جماعة جسمه وبدنه.

خبره في رقعة كتبها إليه، وسألته وعدا يعدني به للمصير إليه، فكتب إليّ: نظرت في القصّة فوجدت هذا لا يصلح ولا ينكتم عليّ حضورك وسماعي إياك، وأسأل الله أن يسرّك ويبقيك. فغنّيت الصوت وظهر حتى تغنّى به الناس، فلقيني سوّار يوما فقال لي: يا بن أخي، قد شاع أمرك في ذلك الباب حتى سمعناه من بعد كأنّا لم نعرف القصّة فيه، وجعلنا جميعا نضحك.

صنع لحنا جيدا في شفاء بشر خادم بن عجيف

إشارة

كان بشر خادم صالح بن عجيف عليلا ثم برئ، فدخل إلى عبد الله بن العباس، فلما رآه قام فتلقاه وأجلسه إلى جانبه، وشرب سرورا بعافيته، وصنع لحنا من الثقيل الأول وهو من جيّد صنعته:

صوت

مولاي ليس لعيش لست حاضره *** قدر ولا قيمة عندي ولا ثمن
ولا فقدت من الدنيا ولذّتها *** شيئا إذا كان عندي وجهك الحسن

غنى الواصل بعد شفائه لحنا في شعر قاله فأجازه

إشارة

/حدّثني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر، قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، قال: حدّثنا عبد الله بن العباس الربيعي، قال:
جمعنا الواصل يوما بعقب عمّاة غليظة كان فيها، فعوفي وصحّ جسمه، فدخلت إليه مع المغنّين وعودي في يدي، فلما وقعت عيني عليه من بعيد، وصرت بحيث يسمع صوتي، ضربت وغنّيت في شعر قلته في طريقي إليه، وصنعت فيه لحنا وهو:

صوت

اسلم وعمّرك الإله لأمة *** بك أصبحت قهرت ذوي الإلحاد

لو تستطيع وقتك كلّ أذية *** بالنفس والأموال والأولاد

فضحك و سرّ وقال: أحسنت يا عبد الله وسررتني، وتيمنت بابتدائك، ادن مني، فدنوت منه حتى كنت أقرب المغنّين إليه، ثم استعادني الصوت، فأعدته ثلاث مرّات، وشرب عليه ثلاثة أقداح، وأمر لي بعشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه.

فأجأته محبوبته النصرانية بالوداع فقال شعرا و غناه

إشارة

أحدثني الصّوليّ ، قال: حدّثني عون بن محمد الكنديّ ، قال:

كان عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع يهوى جارية نصرانيّة، فجاءته يوماً تودّعه، فأعلمته أن أباه يريد الانحدار إلى بغداد و المصنّي بها معه، فقال في ذلك و غنى فيه:

ص: 169

أفدي التي قلت لها *** و البين مّا قد دنا:

فقدك قد أنحل جسم *** ي و أذاب البدنا

قالت: فما ذا حيلتي *** كذاك قد ذبت أنا!

باليأس بعدي فاقتنع *** قلت: إذا قلّ الغنا

طلب من علي بن عيسى الهاشمي تأجيل الصوم و مباشرة الشرب فأجابه

حدّثني الصّوليّ ، قال: حدّثني عون بن محمد، قال: حدّثني عليّ بن عيسى بن جعفر الهاشميّ ، قال:

دخل عليّ عبد الله بن العباس في يوم النّصف من شعبان، و هو يوم سبت، و قد عزمت على الصّوم، فأخذ بعضادتي باب مجلسي، ثم قال: يا أميري:

تصبح في السّبت غير نشوان *** و قد مضى عنك نصف شعبان!

فقلت: قد عزمت على الصوم، فقال: أفعليك وزر إن أفطرت اليوم - لمكاني و سررتني بمساعدتك لي - و صمت غدا، و تصدّقت مكان إفطارك؟ فقلت: أفعال، فدعوت بالطّعام فأكلت، و بالنبيذ فشربنا، و أصبح من غد عندي، فاصطبح و ساعدته، فلما كان اليوم الثالث انتبهت سحرا و قد قال هذا الشعر و غنّى فيه:

/شعبان لم يبق منه *** إلا ثلاث و عشر

فباكر الرّاح صرفا *** لا يسبقنك فجر

فإن يفتك اصطباح *** فلا يفوتك سكر

و لا تنادم فتى وقت *** شربه الدّهر عصر

قال: فأطربني و اصطبحت معه في اليوم الثالث، فلما كان من آخر النّهار سكر و انصرف، /و ما شربنا يومنا كلّه إلا على هذا الصّوت.

دخل على المتوكل في آخر شعبان و طلب منه الشراب فأجابه

حدّثني عمّي، قال: حدّثني ابن دهقانة النّديم، قال:

دخل عبد الله بن العباس إلى المتوكل في آخر شعبان فأنشده:

علّاني نعمتًا بمدام *** و اسقياني من قبل شهر الصّيام

حَرَمَ اللهُ فِي الصَّيَامِ التَّصَابِي *** فتركناه طاعة للإمام

أظهر العدل فاستنار به الدّين وأحيا شرائع الإسلام فأمر المتوكّل بالطّعام فأحضر، وبالتّديم وبالتّجسس فأتي بذلك، فاصطبح وغناه عبد الله في هذه الأبيات، فأمر له بعشرة آلاف درهم.

حرم المرابين من مائة ألف دينار

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ، قال: حدّثني عبد الله بن العباس قال:

ص: 170

كنت مقيما بسرّ من رأى وقد ركبني دين ثقيل أكثره عينة(1) وربما، فقلت في المتوكل:

اسقياني سحرا بالكبره(2) *** ما قضى الله فقيه الخيره

أكرم الله الإمام المرتضى *** وأطال الله فينا عمره

/إن أكن أعددت عنه هكذا *** قدر الله رضينا قدرا

سرّه الله وأبقاه لنا *** ألف عام وكفانا الفجره

وبعثت بالأبيات إليه، و كنت مستترا من الغرماء، فقال لعبيد الله بن يحيى: وقع إليه: من هؤلاء الفجرة الذين استكفيت الله شرّهم؟ فقلت: المعينون الذين قد ركبني لهم أكثر مما أخذت منهم من الدين بالرّبا، فأمر عبيد الله أن يقضي ديني، وأن يحتسب لهم رءوس أموالهم، و يسقط الفضل، وينادي بذلك في سرّ من رأى حتى لا يقضي أحد أحدا إلا رأس ماله، و سقط عني وعن الناس من الأرباح زهاء مائة ألف دينار كانت أبياتي هذه سبها.

عتب علي إخوانه لأنهم لم يعودوه في مرضه فجاءوه معتذرين

حدّثني الصّوليّ، قال: حدّثني عون بن محمد الكنديّ، قال: حدّثني أبي، قال:

مرض عبد الله بن العباس بسرّ من رأى في قدمه قدمها إليها، فتأخّر عنه من كان يثق به، فكتب إليهم:

ألا قل لمن بالجانبين بأنني *** مريض عداني(3) عن زيارتهم ما بي

فلو بهم بعض الذي لي لزرتهم *** وحاش لهم من طول سقمي وأوصابي

وإن أقتعت عني سحابة علّتي *** تطاول عتبي إن تأخّر إعتابي(4)

قال: فما بقي أحد من إخوانه إلا جاءه عائدا معتذرا.

غنى عند علوية بشعر في النصرانية التي كان يهواها

إشارة

أخبرني عمّي، قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن محمد بن موسى، قال:

سمعت عبد الله بن العباس يغني ونحن مجتمعون عند علوية بشعر في النصرانية التي كان يهواها و الصنعة له:

صوت

إن في القلب من الطّبي كلوم *** فدع اللّوم فإن اللّوم لوم(5)

حبذا يوم السعائين و ما *** نلت فيه من نعيم لو يدوم

إن يكن أعظمت أن همت به *** فالذي تركب من عدلي عظيم

لم أكن أول من سنّ الهوى *** فدع اللوم فذا داء قديم

الغناء لعبد الله هزج بالوسطى.

ص: 171

1- العينة: أن يبيع الرجل متاعه إلى أجل، ثم يشتريه في المجلس بثمان حال ليسلم به من الربا.

2- الكبرة: مبالغة في الكبير.

3- عداني: صرمني و منعني.

4- أعتبني: أزال الشكوى و العتاب، الهمزة للسلب.

5- القافية مرفوعة في «ف».

حدّثني أبو بكر الرّبيعيّ، قال: حدّثتني عمّتي - وكانت ربّيت في دار عمّها عبد الله بن العباس - قالت: كان عبد الله لا يفارق الصّباح أبدا إلا في يوم جمعة، أو شهر رمضان، وإذا حجّ . وكانت له وصيفة يقال لها: هيلانة قد ربّأها وعلّمها الغناء، فأذكره يوما وقد اصطبح، وأنا في حجره جالسة و القدح في يده اليمنى، وهو يلقي على الصّبيّة صوتا أوله:

صدع البين الفؤادا *** إذ به الصائح نادى

فهو يرده، ويومئ بجميع أعضائه إليها يفهمها نغمه، ويوقع بيده على كتفي مرّة وعلى فخذي أخرى، وهو لا يدري حتى أوجعني، فبكيت وقلت: قد أوجعتني ممّا تضربني و هيلانة لا تأخذ الصّوت و تضربني أنا، فضحك حتى استلقى و استلمح قولي، فوهب لي ثوب قصب أصفر، و ثلاثة دنائير جددا، فما أنسى فرحي بذلك و قيامي به إلى أمّي، و أنا أعدو إليها و أضحك فرحا به.

نسبة هذا الصوت

صوت

صدع البين الفؤادا *** إذ به الصائح نادى

بينما الأحباب مجمو *** عون إذ صاروا فرادى

فأتى بعض بلادا *** و أتى بعض بلادا

كلّما قلت: تناهى *** حدثان الدهر عادا

الشعر و الغناء لعبد الله هزج بالوسطى عن عمرو.

صوت

حضر الرحيل و شدّت الأحداج(1) *** و غدا بهنّ مشمّر مزعاج

للسوق نيران قدحن بقلبه *** حتى استمرّ به الهوى الملبجاج

أزعج هواك إلى الذين تحبّهم *** إن المحبّ يسوقه الإزعاج

لن يدينئك للحبيب و وصله *** إلاّ السرى و البازل الهجهاج(2)

الشعر لسلم الخاسر، و الغناء لهاشم بن سليمان ثقيل أول بالوسطى.

- 1- أحداج: جمع حدج؛ وهو مركب من مراكب النساء مثل الهودج.
- 2- البازل: الجمل حين يدخل في التاسعة؛ والهجهاج: الشديد الهدير.

إشارة

13 - أخبار سلم الخاسر و نسبه (1)

نسبه، و قدرته الشعرية

سلم بن عمرو مولى بني تيم بن مرة، ثم مولى أبي بكر الصديق، رضوان الله عليه، بصريّ، شاعر مطبوع متصرف في فنون الشعر، من شعراء الدولة العباسية. و هو راوية بشار بن برد و تلميذه، و عنه أخذ، و من بحره اغترف، و على مذهبه و نمطه قال الشعر.

سبب تلقيه سلم الخاسر

و لقب سلم بالخاسر (2) - فيما يقال - لأنه ورث من أبيه مصحفا، فباعه و اشترى بثمانه طنبورا. و قيل: بل خلف له أبوه مالا، فأنفقه على الأدب و الشعر، فقال له بعض أهله: إنك لخاسر الصفقة، فلّقب بذلك.

صداقته للموصلي و أبي العتاهية و انقطاعه للبرامكة

و كان صديقا لإبراهيم الموصليّ، و لأبي العتاهية خاصة من الشعراء و المغنين، ثم فسد ما بينه و بين أبي العتاهية. و كان سلم منقطعاً إلى البرامكة، و إلى الفضل بن يحيى خصوصا من بينهم. و فيه يقول أبو العتاهية:

إنما الفضل لسلم وحده *** ليس فيه لسوى سلم درك (3)

من قول أبي العتاهية له

و كان هذا أحد الأسباب في فساد ما بينه و بين أبي العتاهية. و لسلم يقول أبو العتاهية و قد حج مع عتبة (4):

أو الله و الله ما أبالي متى *** ما متّ يا سلم بعد ذا السفر

أليس قد طفت حيث طافت و قبّ *** لت الذي قبلت من الحجر (5)

و له يقول أبو العتاهية و قد حبس إبراهيم الموصليّ:

سلم يا سلم ليس دونك سرّ *** حبس الموصليّ فالعيش مرّ

ما استطاب اللذات مذ سكّ *** ن المطبق (6) رأس اللذات و الله، حرّ

ص: 173

- 2- في ما، ف: و «لقب الخاسر». و كان القياس سلما الخاسر على أن الخاسر صفة، ولكن لشيوعها نزلت منزلة اللقب فصار يضاف إليها الاسم.
- 3- الدرك: الإدراك و اللحاق.
- 4- كذا في ف، ما، وفي باقي النسخ: «حج معه عتبة».
- 5- كذا في ف، وفي غيرها: «طفت» مكان «طافت». وهو تحريف.
- 6- المطبق، كمشفق: السجن تحت الأرض. وفي ما، ف: المطبق «بفتح الباء».

ترك الموصلِي من خلق اللّ *** ه جميعا وعيشهم مقشعر

برد مصحفا من ميراث أبيه و يأخذ مكانه دفاتر شعر

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني عليّ بن الحسن الواسطيّ، قال: حدّثني أبو عمرو وسعيد بن الحسن الباهليّ الشاعر، قال:

لما مات عمرو وأبو سلم الخاسر اقتسموا ميراثه، فوقع في قسط سلم مصحف، فردّه وأخذ مكانه دفاتر شعر كانت عند أبيه، فلّقّب الخاسر بذلك.

أجازه المهدي أو الرشيد بمائة ألف درهم ليكذب تلقّيه بالخاسر

أخبرني الحسن، قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني محمد بن عمر الجرجاني، قال:

ورث سلم الخاسر أباه مائة (1) ألف درهم، فأفقها على الأدب، وبقي لا شيء عنده، فلّقبه الجيران و من يعرفه بسلم الخاسر، وقالوا: أنفق ماله على ما لا ينفعه. ثم مدح المهديّ، أو الرشيد - وقد كان بلغه اللقب الذي لقّب به - فأمر له بمائة ألف درهم، وقال له: كذّب بهذا المال جيرانك، فجاءهم بها، وقال لهم: هذه المائة الألف التي أنفقتها وربحت الأدب، فأنا سلم الرّابح، لا سلم الخاسر.

ورث مصحفا فباعه و اشترى بثمانه طنبوراً فلّقّب الخاسر

إشارة

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدّثني عليّ بن محمد النوفليّ، عن أبيه، قال:

إنما لقّب الخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفا فباعه، و اشترى بثمانه طنبوراً.

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدّثني عمر (2) الفضل، قال:

قال لي الجمّاز: سلم الخاسر خالي لِحا (3)، فسألته: لم لقب الخاسر؟ فضحك، ثم قال: إنه قد كان نسك مدة يسيرة، ثم رجع إلى أقبج ما كان عليه، و باع مصحفا له ورثه عن أبيه - و كان لجده قبله - و اشترى بثمانه طنبوراً.

فشاع خبره و افتضح، فكان يقال له: ويلك! هل فعل أحد ما فعلت؟ فقال: لم أجد شيئا أتوسّل به إلى إبليس هو أقرّ لعينه من هذا.

أخبرني عمّي، قال: أنبأنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني أحمد بن صالح المؤدب، و أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة، قال: حدّثني أبي، عن أحمد بن صالح، قال: قال بشار بن برد:

صوت

لا خير في العيش إن دمنا كذا أبدا *** لا نلتقي و سبيل الملتقى نهج (4)

1- كذا في س، و الفعل (ورث) ينصب مفعولا واحدا فيما رجعنا إليه من معاجم، فكأن «مائة ألف» بدل اشتمال حذف معه ضمير المبدل منه.

2- ف، ما: «عمي بدل عمر».

3- لحا: لاصق النسب.

4- نهج، بسكون الهاء: واضح، و حركها للوزن.

قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم *** ما في التلاقي ولا في غيره حرج

من راقب الناس لم يظفر بحاجته *** و فاز بالطيبات الفاتك اللهج (1)

قال: فقال سلم الخاسر أبياتا، ثم أخذ معنى هذا البيت، فسلخه، و جعله في قوله:

من راقب الناس مات غمًا *** و فاز باللذة الجسور

سبب غضب بشار عليه ثم رضاه عنه

فبلغ بيته بشارا، فغضب و استشاط، و حلف ألا يدخل إليه، و لا يفيده و لا ينفعه ما دام حيًا. فاستشفع إليه بكل صديق له، و كل من يتقل عليه رده، فكلموه فيه، فقال: أدخلوه إليّ، فأدخلوه إليه فاستدناه، ثم قال: إيه يا سلم، من الذي يقول:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته *** و فاز بالطيبات الفاتك اللهج

قال: أنت يا أبا معاذ، قد جعلني الله فداءك! قال: فمن الذي يقول:

من راقب الناس مات غمًا *** و فاز باللذة الجسور؟

قال: تلميذك، و خريجك، و عبدك يا أبا معاذ، فاجتذبه إليه، و قنعه (2) بمخصرة (3) كانت في يده ثلاثا، و هو يقول: لا أعود يا أبا معاذ إلى ما تنكره، و لا آتي شيئا تدمه، إنما أنا عبدك، و تلميذك، و صنيعتك، و هو يقول له:

يا فاسق! أتجيء إلى معنى قد سهرت له عيني، و تعب فيه فكري و سبقت الناس إليه، فتسرقه، ثم تختصره لفظا تقرّبه به، لتزري عليّ، و تذهب بيتي؟ و هو يحلف له ألا يعود، و الجماعة يسألونه. فبعد لأي و جهد ما (4) شفّعهم فيه، و كفّ عن ضربه، ثم رجع له، و رضي عنه.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار (5)، قال: أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور، قال: حدّثني عبد الوهاب بن مزار، قال: حدّثني أبو معاذ النّميريّ راوية بشار، قال:

قد كان بشار قال قصيدة فيها هذا البيت:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته *** و فاز بالطيبات الفاتك اللهج

/قال: فقلت له يا أبا معاذ! قد قال سلم الخاسر بيتا، هو أحسن و أخفّ على الألسن من بيتك هذا، قال:

و ما هو؟ فقلت:

من راقب الناس مات غمًا *** و فاز باللذة الجسور

فقال بشار: ذهب و الله بيتنا، أما و الله لوددت أنه ينتمي في غير ولاء أبي بكر - رضي الله عنه - و أني مغرم (6)

- 1- اللهج بالشيء: المولع به.
- 2- قنعه بالعصا ونحوها: غشاها.
- 3- المنخصرة: أداة كالسوط.
- 4- ما شفّعهم: «ما» زائدة.
- 5- ف: «محمد بن عبد الله بن عمار».
- 6- مغرم: ملزم.

ألف دينار محبة مَنِّي لهتك عرضه وأعراض مواليه! قال: فقلت له: ما أخرج هذا القول منك إلا غم. قال: أجل، فوالله لا طعمت اليوم طعاما، ولا صمت.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني محمد بن إسحاق بن محمد النّخعيّ (1)، قال: قال أبو معاذ النميريّ: قال بشار قصيدة، وقال فيها:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته *** وفاز بالطيّبات الفاتك اللهج

فعرّفته أن سلما قد قال:

من راقب الناس مات غمّا *** وفاز باللذة الجسور

فلما سمع بشار هذا البيت قال: سار والله بيت سلم، وخمل بيتنا! قال: وكان كذلك، لهج الناس بيت سلم، ولم ينشد بيت بشار أحد.

شعره في قصر صالح بن المنصور

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ، قال: حدّثني الحسن بن عليل العنزّيّ، قال: حدّثني أبو مالك محمد بن موسى اليمانيّ، قال:

لما بنى صالح بن المنصور قصره بدجلة قال فيه سلم الخاسر:

/يا صالح الجود الذي مجده *** أفسد مجد الناس بالجود

بنيت قصرا مشرفا عاليا *** بطائري سعد و مسعود

كأنما يرفع بنيانه *** جنّ سليمان بن داود

لا زلت مسرورا به سالما *** على اختلاف البيض و السود

- يعني الأيام و الليالي -، فأمر له صالح بألف درهم.

ينشد عمر بن العلاء قصيدة لبشار فيه، ثم ينشده لنفسه

إشارة

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني بعض آل ولد (2) حمدون بن إسماعيل - وكان ينادم المتوكل - عن أبيه، قال:

كان سلم الخاسر من غلمان بشار، فلما قال بشار قصيدته الميمية في عمر بن العلاء - وهي التي يقول فيها:

إذا تبهتكَ صعاب الأمور (3) *** فنّبّه لها عمرا ثم نم

فتى لا يبيت على دمنة(4)*** ولا يشرب الماء إلا بدم

بعث بها مع سلم الخاسر إلى عمر بن العلاء، فوفاه فأنشده إياها، فأمر لبشار بمائة ألف درهم. فقال له

ص: 176

1- ف: «إسحاق بن محمد النخعي».

2- مم، ف: بعض ولد «حمدون».

3- مم: «الخطوب».

4- الدمنة: الحقد القديم الثابت.

سلم: إنَّ خادمك - يعني نفسه - قد قال في طريقه فيك قصيدة، قال: فإنك لهنالك(1)؟ قال: تسمع، ثم تحكم، ثم قال: هات، فأنشده:

صوت

قد عزّني الداء فما لي دواء *** ممّا ألقى من حسان النساء

قلب صحيح كنت أسطو به *** أصبح من سلمى بداء عياء(2)

/أنفاسها مسك وفي طرفها *** سحر و مالي غيرها من دواء

وعدتني وعدا فأوفي به *** هل تصلح الخمرة إلا بماء؟

و يقول فيها:

كم كربة قد مسني ضرّها *** ناديت فيها عمر بن العلاء

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أول عطية سنية وصلت إليه.

صداقته لعاصم بن عتبة و مدحه إياه

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني ابن مهرويه، قال: وجدت في كتاب بخط الفضل بن مروان:

و كان عاصم بن عتبة الغساني جدّ أبي السمرّاء الذي كان مع عبد الله بن طاهر صديقا لسلم الخاسر، كثير البرّ به، و الملاطفة له، و فيه يقول سلم:

الجود في قحطان *** ما بقيت غسان

اسلم و لا أبالي(3) *** ما فعل الإخوان

ما ضرّ مرتجيه *** ما فعل الزمان

من غاله مخوف *** فعاصم أمان

و كانت سبعين بيتا، فأعطاه عاصم سبعين ألف درهم، و كان مبلغ ما وصل إلى سلم من عاصم خمسمائة ألف درهم، فلما حضرته الوفاة دعا عاصم فقال له: إني ميّت، /و لا ورثة لي، و إن مالي مأخوذ، فأنت أحقّ به، فدفع إليه خمسمائة ألف درهم، و لم يكن لسلم وارث. قال: و كان عاصم هذا جوادا.

يزيد بن مزيد يحسد عاصم بن عتبة على شعره فيه

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن طهمان، قال:

أخبرني القاسم بن موسى بن مزيد.

أن يزيد بن مزيد قال: ما حسدت أحدا قطّ على شعر مدح به إلا عاصم بن عتبة الغسانيّ ، فإني حسدته على قول سلم الخاسر فيه:

ص: 177

1- فإنك لهنالك؟ أفأنت تطيق ذلك؟.

2- مم: «لله قلب كنت أسطوبه».

3- في المختار: أسلم لا أبالي.

لعاصم سماء *** عارضها تهتان

أمطارها اللجين *** و الدر(1) و العقيان(2)

و ناره تنادي *** إذ خبت التيران

الجود في قحطان *** ما بقيت غسان

اسلم و لا أبالي *** ما فعل الإخوان

صلت له المعالي *** و السيف و السنان

كان يقدم أبا العتاهية على بشار ثم فسد ما بينهما

أخبرني أحمد بن عبيد الله(3) بن عمار، قال: حدثنا يعقوب بن نعيم، عن(4) محمد بن القاسم بن مهرويه، و أخبرني به الحسن بن علي، عن ابن مهرويه، عن الغريبي، عن محمد بن عمر الجرجاني، قال:

كان سلم تلميذ بشار، إلا أنه كان تباعد ما بينهما، فكان سلم يقدم أبا العتاهية، و يقول: هو أشعر الجن و الإنس، إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلما:

/تعالى الله يا سلم بن عمرو *** أذل الحرص أعناق الرجال

هب الدنيا تصير إليك عفوا *** أليس مصير ذاك إلى زوال!

قال: و بلغ الرشيد هذا الشعر فاستحسنه، و قال: لعمري إن الحرص لمفسدة لأمر الدين و الدنيا، و ما فتشت عن حريص قط مغيبه(5) إلا انكشف لي عما أذمه. و بلغ ذلك سلما، فغضب على أبي العتاهية، و قال: ويلي على الجرار ابن الفاعلة الرنديق! زعم أني حريص، و قد كنز البدور(6) و هو يطلب و أنا في ثوبي هذين، لا أملك غيرهما.

و انحرف عن أبي العتاهية بعد ذلك.

يرد على أبي العتاهية حين اتهمه بالحرص في شعر له

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: أخبرني محمد بن إسماعيل السدوسي، قال: حدثني جعفر العاصمي، و أخبرني عمي، عن أحمد بن أبي طاهر، عن القاسم بن الحسن، عن زكريا بن يحيى المدائني، عن علي بن المبارك القضاعي، عن سلم الخاسر.

أن أبا العتاهية لما قال هذا الشعر فيه كتب إليه:

ما أقيح التزهيد من واعظ *** يزهد الناس و لا يزهد

لو كان في تزيده صادقاً *** أضحى وأمسى بيته المسجد

ورفض الدنيا ولم يلقها *** ولم يكن يسعى ويسترفد

ص: 178

-
- 1- في المختار: الإبريز مكان (الدر)، والإبريز من الذهب: خالصه.
 - 2- العقيان: الذهب الخالص.
 - 3- ف: «أخبرني عبيد الله بن عمار».
 - 4- م: «و محمد بن القاسم».
 - 5- كذا في ف، و مغيبه بدل من حريص، وفي س: «معيبة»، وهو تحريف. وفي المختار: ما فتشت عن حريص قط إلا انكشف.
 - 6- البدور، جمع البدر، بفتح فسكون، وهي: قدر كبير من المال.

يخاف(1) أن تنفذ أرزاقه *** و الرزق عند الله لا ينفد

الرزق مقسوم على من ترى *** يناله الأبيض والأسود

كلّ يوفّي رزقه كاملا *** من كفّ عن جهد و من يجهد

ابن أخته ينتصر له من أبي العتاهية

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني أبو العسكر المسمعيّ ، و هو محمد بن سليمان، قال: حدّثني العباس بن عبد الله بن سنان بن عبد الملك بن مسمع، قال:

كنا عند قثم بن جعفر بن سليمان، و هو يومئذ أمير البصرة، و عنده أبو العتاهية ينشده شعره في الزهد، فقال لي: قثم: يا عباس! اطلب لي الجمّاز الساعة حيث كان فجئني به، و لك سبق(2)، فطلبتّه؛ فوجدته جالسا ناحية عند ركن دار جعفر بن سليمان، فقلت: له أجب الأمير، فقام معي حتى أتى قثم فجلس في ناحية مجلسه و أبو العتاهية ينشده، ثم قام إليه الجمّاز فواجهه، و أنشد قول سلم الخاسر فيه:

ما أقيح التزهيد(3) من واعظ *** يزهد الناس و لا يزهد

لو كان في تزيده صادقا *** أضحي و أمسى بيته المسجد

و ذكر الأبيات كلها، فقال أبو العتاهية: من هذا أعز الله الأمير؟ قال: هذا الجمّاز، و هو ابن أخت سلم الخاسر، انتصر لخاله منك حيث قلت له:

تعالى الله يا سلم بن عمرو *** أذلّ الحرص أعناق الرجال

قال: فقال أبو العتاهية للجمّاز: يا بن أخي، إنني لم أذهب في شعري الأول حيث ذهب خالك؛ و لا أردت أن أهتف به، و لا ذهبت أيضا في حضوري و إنشادي حيث ذهبت من الحرص على الرزق، و الله يغفر لكما! ثم قام فانصرف.

مبلغ ما وصل إليه من الرشيد و البرامكة

أخبرني عمّي، عن أحمد بن أبي طاهر، عن أبي هفّان، قال:

وصل إلى سلم الخاسر من آل برمك خاصة سوى ما وصل إليه من غيرهم عشرون ألف دينار، و وصل إليه من الرشيد مثلها.

يطلب إلى أبي محمد اليزيدي أن يهجوه فيفعل فيندم

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدّثني عمّاي عبيد الله و الفضل؛ عن أبيهما، عن أبي محمد اليزيديّ :

أنه حضر مجلس عيسى بن عمر، و حضر سلم الخاسر، فقال له: يا أبا محمد، اهجنني على رويّ قصيدة امرئ القيس:

-
- 1- كذا في المختار، وفي س: «فخاف»، وهو تحريف.
 - 2- والسبق، بالتحريك: ما يترهن عليه المتسابقون.
 - 3- في س: «الزهيد»، وهو تحريف.

رَبِّ رام من بني ثعل *** مخرج كفيه في ستره(1)

قال: فقلت له: ما دعاك إلى هذا؟ قال: كذا أريد. فقلت له: يا هذا أنا وأنت أغنى الناس عما تستدعيه من الشر فلتسعك العافية، فقال: إنك لتحتجز مني نهاية الاحتجاز، وأراد أن يوهم عيسى أنني مفحم عيبي لا أقدر على ذلك، فقال لي عيسى: أسألك يا أبا محمد بحقّي عليك إلا فعلت. فقلت:

رَبِّ مغموم بعاقبة *** غمط النعمة من أثره

و امرئ طالت سلامته *** فرماه الدهر من غيره

بسهام غير مشوية *** تقضت منه قوى مرره(2)

و كذاك الدهر منقلب *** بالفتى حالين من عصره

يخلط العسر بميسرة *** ويسار المرء في عسره

عقّ سلم أمّه صغرا *** و أبا سلم على كبره

اكلّ يوم خلفه رجل *** راحم يسعى على أثره

يولج الغرمول(3) سبّته(4) *** كولوج الصّبّ في جحره

قال: فاغتم سلم وندم، وقال: هكذا تكون عاقبة البغي والتعرض للشر، فضحك عيسى، وقال له: قد جهد الرجل أن تدعه، و صيانتته و دينه فأبيت إلا أن يدخلك في حر أمك.

ترفه و تخشن مروان بن أبي حفصة

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني عليّ بن محمد التّوفليّ، قال: سمعت أبي يقول:

كان المهدي يعطي مروان و سلما الخاسر عطية واحدة، فكان سلم يأتي باب المهدي على البرذون الفاره، قيمته عشرة آلاف درهم، بسرج و لجام مفضّضين، و لباسه الخزّ و الوشي، و ما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان و رائحة المسك و الطيب و الغالية تفوح منه، و يجيء مروان بن أبي حفصة عليه فرو(5) كبل و قميص كرايس(6) و عمامة كرايس و خفا كبل(7) و كساء غليظ، و هو منتن الرائحة. و كان لا يأكل اللحم حتى يقرم إليه بخلا، فإذا قرم أرسل غلامه، فاشترى له رأسا فأكله. فقال له قائل: أراك لا تأكل إلا الرأس! قال: نعم، أعرف سعره، فأمن خيانة

ص: 180

1- روى: «متلج» مكان «مخرج»، و «قتره» مكان «ستره». و متلج: أصله مولج، قلبت الواو تاء شذوذا. و الستر: جمع سترة، و هو الموضع الذي يستتر الصائد فيه، و قيل: هو الكم. و القتر: جمع قتره، بضم فسكون. و هي حفيرة يكمن فيه الصائد. و ثعل: أبو قبيلة من طي كانت

- أرمى العرب. وأراد بالرامي هنا: عمرو بن المسح بن كعب بن طريف. ديوان الشاعر: 164، و شرح شواهد الشافية: 467.
- 2- أشوى السهم: لم يصب مقتلاً. المرر، جمع مرة، بالكسر و من معانيها طاقة الحبل. وفي س: «غير مبرية».
- 3- الغرمول: الذكر.
- 4- السبة: الاست.
- 5- فرو كبل، بالتحريك: قصير.
- 6- قميص كرايس: الكرايس، جمع كرباس. وهو ثوب من القطن الأبيض، وصف بجمعه.
- 7- الكبل: جلد شفة الدلو، والكثير الصوف من الفراء.

الغلام، و لا اشترى لحما فيطبخه فيأكل منه. و الرأس آكل منه ألوانا: آكل منه عينيه لونا، و من غلصمته(1) لونا، و من دماغه لونا.

ابتلاؤه بالكيمياء ثم انصرافه عنها

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا يحيى بن الحسن الربيعيّ، قال: أخبرني أبي، قال:

كان سلم الخاسر قد بلي بالكيمياء فكان يذهب بكلّ شيء له باطلا، فلما أراد الله - عز و جل - أن يصنع(2) له عَرَفَ أن بياب الشام صاحب كيمياء عجيبا، وأنه لا يصل إليه أحد إلا ليلا، فسأل عنه فدلوه عليه.

قال: فدخلت إليه إلى موضع معور(3)، فدققت الباب فخرج إليّ، فقال: من أنت عافاك الله؟ فقلت: رجل معجب بهذا العلم. قال: فلا تشهرني، فإني رجل مستور، إنما أعمل للقوت. قال: قلت: لأنني لا أشهرك، إنما أقتبس منك، قال: فاکتم ذلك. قال: وبين يديه كوز شبه(4) صغير. فقال لي: اقلع عروته، فقلعتها. فقال: اسبكها في البوظة، فسبكتها، فأخرج شيئا من تحت مصلاه، فقال: ذره عليه، ففعلت. فقال: أفرغه، فأفرغته. فقال:

دعه معك، فإذا أصبحت فأخرج، فبعه و عد إليّ، فأخرجته إلى باب الشام، فبعت المئقال بأحد وعشرين درهما، و رجعت إليه فأخبرته. فقال: اطلب الآن ما شئت. قلت: تقيديني. قال: بخمسائة درهم على أن لا تعلّمه أحدا، فأعطيته، و كتب لي صفة، فامتحنتها، فإذا هي باطلة. فعدت إليه، فقيل لي: قد تحوّل، و إذا عروة الكوز المشبّه(5) من ذهب مركبة عليه، و الكوز شبه. و لذلك كان يدخل إليه من يطلبه ليلا، ليخفي عليه، فانصرفت، و علمت أن الله - عز و جل - أراد بي خيرا، و أن هذا كله باطل.

يرثي البانوكه بنت المهدي

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ، قال: حدثنا العنزّي، قال: حدّثني أبو مالك اليماني، قال: حدّثني أبو كعب، قال:

لما ماتت البانوكه بنت المهدي رثاها سلم الخاسر بقوله:

أودى ببانوكه ريب الزمان *** مؤنسة المهديّ و الخيزران

لم تنطو الأرض على مثلها *** مولودة حنّ لها الوالدان

بانوك يا بنت إمام الهدى *** أصبحت من زينة أهل الجنان

بكت لك الأرض و سگانها *** في كل أفق بين انس و جان

ص: 181

1- الغلصمة: اللحم بين العنق و الرأس، و تطلق على غير ذلك.

2- يصنع له: يريد الخير له.

3- معور: لا يؤمن الشر فيه، من أعور الفارس: إذا بدا فيه موضع خلل للضرب.

4- الشبه: النحاس الأصفر.

5- المشبه: الملبس الذي لا تعرف حقيقته.

كان يهاجي والبة بن الحباب

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال: حدّثني ابن مهرويه، قال: حدّثني عليّ بن الحسن الشيبانيّ ، قال: حدّثني أبو المستهّل الأسديّ ، وهو عبد الله بن تميم بن حمزة، قال:

كان سلم الخاسر يهاجي والبة بن الحباب، فأرسلني إليه وقال: قل له:

يا والب بن الحباب يا حلقي(1) *** لست من أهل الزناء فانطلق

دخل فيه الغرمول تولجه *** مثل ولوج المفتاح في الغلق

قال: فأتيت والبة فقلت له ذلك، فقال لي: قل له: يا بن الزانية، سل عنك ريعان التميمي - يعني أنه ناكه - قال: وكان ريعان لوطيا آفة من الآفات، وكان علامة ظريفا.

قال: فحدّثني جعفر بن قدامة عن محمد العجلي، عن أحمد بن معاوية الباهليّ ، قال: سمعت ريعان يقول:

نكت الهيثم بن عدّيّ ، فمن ترونه يفلت مني بعده ؟.

يعتذر إلى المهدي من مدحه لبعض العلويين

و أخبرني أحمد بن العباس العسكري، قال: حدثنا العنزّيّ ، قال: حدّثني أبو مالك/محمد بن موسى اليمانيّ ، قال:

كان سلم الخاسر مدح بعض العلويين، فبلغ ذلك المهديّ ، فتوعّده و همّ به، فقال سلم فيه:

إني أتتني على المهديّ معتبة *** تكاد من خوفها الأحشاء تضطرب

اسمع فذاك بنو حواء كلّهم *** وقد يجور برأس الكاذب الكذب

فقد حلفت يمينا غير كاذبة *** يوم المغيبة لم يقطع لها سبب

ألاّ يحالف مدحي غيركم أبدا *** و لو تلاقى عليّ الغرض(2) و الحقب(3)

و لو ملكت عنان الريح أصرفها *** في كلّ ناحية ما فاتها الطلب

مولاك مولاك لا تشمت أعاديه *** فما وراءك لي ذكر و لا نسب

فعفا عنه.

كان لا يحسن المدح و يحسن الرثاء

و أخبرني أحمد بن العباس(4)، و أحمد بن عبيد الله بن عمار، قالوا: حدثنا العنزّيّ ، قال: حدّثني العباس بن عبد الواحد بن جعفر بن

سليمان، قال: حدّثني موسى بن عبد الله بن شهاب المسمعيّ، قال:

سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى يقول: كان سلم الخاسر لا يحسن أن يمدح، ولكنه كان يحسن أن يرثي ويسأل.

ص: 182

1- الحلقي، من قولهم: أتان حلقيّة؛ بالتحريك: إذا تداولها الحمر حتى أصابها داء في رحمها.

2- الغرض؛ هو للرحل كالحزام للسرّج.

3- الحقب؛ محرّكة: الحزام يلي حقو البعير، وحقو بفتح فسكون: الكشح. ابن منظور لسان العرب 189/4 مادة (حفا).

4- ف: «أحمد بن عبد العزيز».

بعد الرثاء في حياة من يعينه رثاؤهم

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني عليّ بن الحسن الشيبانيّ، قال: حدّثني أبو المستهلّ، قال: دخلت يوما على سلم الخاسر، وإذا بين يديه قراطيس فيها أشعار يرثي ببعضها أمّ جعفر، وبعضها جارية غير مسمّاة، وبعضها أقواما لم يموتوا، وأمّ جعفر يومئذ باقية. فقلت له: ويحك! ما هذا؟ فقال: تحدث الحوادث فيطالبوننا(1) بأن نقول فيها، ويستعجلوننا(1)، ولا يجمل بنا أن نقول غير الجيّد، فنعدّ لهم هذا قبل كونه، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلناه فيه قديما، على أنه قيل في الوقت.

إعجاب المأمون ببيت: تعالى الله يا سلم

أخبرني محمد بن يزيد وعيسى بن الحسين، قالوا: حدثنا الزبير بن بكار، قال: قال عبد الله بن الحسن الكاتب:

أنشد المأمون قول أبي العتاهية:

تعالى الله يا سلم بن عمرو *** أذلّ الحرص أعناق الرجال

فقال المأمون: صدق لعمر الله، إنّ الحرص لمفسدة للدين والمروءة، والله ما رأيت من رجل قط حرصا ولا شرها، فرأيت فيه مصطنعا. فبلغ ذلك سلما الخاسر، فقال: ويلى على ابن الفاعلة بياع الخزف، كنز البدور بمثل ذلك الشعر المفكك الغثّ، ثم تزهد بعد أن استغني، و هو دأبا يهتف بي، وينسبني إلى الحرص، وأنا لا أملك إلا ثوبيّ هذين.

يسكت أبو الشمقمق عن هجائه بخمسة دنانير

أخبرني عمي والحسن بن عليّ، قالوا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا زكريا بن مهران، قال:

طالب أبو الشمقمق سلما الخاسر بأن يهب له شيئا، وقد خرجت لسلم جائزة، فلم يفعل، فقال أبو الشمقمق يهجوه:

يا أمّ سلم هداك الله زورينا *** كيما ننيك فردا أو تنيكينا

/ما إن ذكرتك إلاّ هاج(2) لي شبق *** و مثل ذكراك أمّ السلم يشجينا

قال: فجاءه سلم فأعطاه خمسة دنانير، وقال: أحبّ أن تعفيني من استرارتك أمّي وتأخذ هذه الدنانير فتتفقها.

من شعره حين ولي يعقوب بن داود بعد أبي عبيد الله

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، قال:

حدّثني محمد بن القاسم بن الربيع عن أبيه، قال:

1- كذا في المختار، وفي س: «يطالبونا ويستعجلونا»، و ما أثبتناه أكثر استعمالاً.

2- في المختار: «هجت لي شبقاً».

دخل الربيع على المهديّ وأبو عبيد الله جالس يعرض كتباً، فقال له أبو عبيد الله: مر هذا أن يتنحّى - يعني الربيع - فقال له المهدي: تنحّ، فقال: لا- أفعل. فقال: كأنك تراني بالعين الأولى! فقال: لا، بل أراك بالعين التي أنت بها. قال: فلم لا تتنحّى إذ أمرتك؟ فقال له: أنت ركن الإسلام، وقد قتلت ابن هذا، فلا آمن أن يكون معه حديدة يغتالك بها، فقام المهديّ مدعوراً، وأمر بتفتيشه، فوجدوا بين جوربه وخفّه سكيناً، فردّت الأمور كلّها إلى الربيع، وعزل أبو عبيد الله، وولّي يعقوب بن داود، فقال سلم الخاسر فيه:

يعقوب ينظر في الأمو *** ر وأنت تنظر ناحيه

أدخلته فعلا عل *** يك كذاك شؤم الناصية

قال: وكان بلغ المهديّ من جهة الربيع أن ابن أبي عبيد الله زنديق، فقال له المهديّ: هذا حسد منك. فقال:

افحص عن هذا، فإن كنت مبطلا بلغت منّي الآذي يلزم من كذبك. فأتى بابن عبيد الله، فقرّره تقريراً خفياً، فأقرّ بذلك، فاستتابه، فأبى أن يتوب، فقال لأبيه: اقتله، فقال: لا تطيب نفسي بذلك. فقتله وصلبه على باب أبي عبيد الله.

قال: وكان ابن أبي عبيد الله هذا من أحمق الناس: وهب له المهديّ وصيفة، ثم سأله بعد ذلك عنها، فقال: ما وضعت بيني وبين الأرض حشية قطّ أو طأ منها حاشا سامع(1)، فقال المهديّ لأبيه: أتراه يعينني، أو يعينك؟ قال: بل يعني أمّه الزانية، لا يكنى.

شعره في الفضل بن الربيع حين أخذ البيعة للمهدي

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني يحيى بن الحسن، قال: حدّثني أبي، قال:

كنت أنا والربيع نسير قريبا من محمل المنصور حين(2) قال للربيع: رأيت كأن الكعبة تصدّعت، وكان رجلا جاء بحبل أسود فشدّها، فقال له الربيع: من الرجل؟ فلم يجبه، حتى إذا اعتلّ قال للربيع: أنت الرجل الذي رأيت في نومي شدّد الكعبة! فأبى شيء تعمل بعدي؟ قال: ما كنت أعمل في حياتك، فكان من أمره في أخذ البيعة للمهديّ ما كان، فقال سلم الخاسر في الفضل بن الربيع:

يا بن(3)

الذي جبر الإسلام يوم وهي *** واستنقذ الناس من عمياء صيخود(4)

قالت قريش غداة أنهاض ملكهم: *** أين(5) الربيع وأعطوا بالمقاليد

فقام بالأمر مئناس بوحدته *** ماضي العزيمة صرّاب القماحيد(6)

إن الأمور إذا ضاقت مسالكها *** حلّت يد الفضل منها كلّ معقود

ص: 184

1- كذا في الأصول: وقد تكون: سامع هذا.

2- في س: «حتى»، وهو تحريف.

3- كذا في المختار، وفي س: «و ابن»، و ما أثبتناه هو ما يقتضيه بدء الكلام.

4- الصيخود، هي في الأصل: الصخرة الشديدة، و يوم صيخود: شديد الحر. وصف بها الفتنة الشديدة العمياء التي كان يمكن أن يتعرض لها الناس لو لا صنيع الفضل.

5- كذا في س، ف. وفي مم: «يا بن الربيع».

6- القماحيد، جمع القمحدوة، كالقلسوة. وهي: الهنة الناشزة فوق القفا وأعلى القذال. والقذال: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس. و جمع القمحدوة قماحد، فأشبع كسرة الحاء.

إنّ الربيع وإن الفضل قد بنيا *** رواق مجد على العباس ممدود

قال: فوهب له الفضل خمسة آلاف دينار.

شعره حين عقدت البيعة للأمين

أخبرني عمّي، قال: حدثنا أبو هفّان، قال: حدّثني سعيد أبو هريم (1) وأبو دعامة، قالوا: لما قال سلم الخاسر في الرشيد حين عقد البيعة لابنه محمد الأمين:

قد بايع الثقلان في مهد الهدى *** لمحمد بن زبيدة ابنة جفر

وليّته عهد الأنام وأمرهم *** فدمغت بالمعروف رأس المنكر

أعطته زبيدة مائة ألف درهم.

المهدي يأمر له بخمسمائة ألف درهم لقصيدته فيه

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا عبد الله بن عمرو، قال:

حدّثني أحمد بن محمد بن عليّ الخراساني (2)، عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، عن أبيه، قال:

قال سلم الخاسر في المهديّ قصيدته التي يقول فيها:

له شيمة عند بذل العطا *** لا يعرف الناس مقدارها

و مهديّ أمّتنا والذي *** حماها وأدرك أوتارها

فأمر له المهديّ بخمسمائة ألف درهم.

طلب إلى الرشيد أن يفضله في الجائزة على مروان بن أبي حفصة فأجابه

أخبرنا وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن سليمان، قال: حدثنا منصور بن أبي مزاحم، قال:

شهدت المهديّ وقد أمر لمروان بن أبي حفصة بأربعين ألف درهم، وفرض له على أهل بيته و جلسائه ثلاثين ألف درهم. وأمر الرشيد بعد ذلك لمّا ولي الخلافة لسلم الخاسر - /وقد مدحه - بسبعين ألف درهم، فقال له:

يا أمير المؤمنين، إنّ أكثر ما أعطى المهديّ مروان سبعون ألف درهم، فزدني وفضّمني عليه، ففعل ذلك، وأعطاه تئمة ثمانين ألف درهم، فقال سلم

فخره على مروان بجائزته و رد مروان عليه

ألا قل لمروان أتتك رسالة *** لها نبأ لا ينثني عن لقائك

حباني أمير المؤمنين بنفحة *** مشهرة قد طأطأت من حبائك

ثمانين ألفا حزت من صلب ماله *** ولم يك قسما من أولى وأولئك

فأجابه مروان فقال:

ص: 185

1- ف: «ابن مريم».

2- أحمد بن محمد بن عيسى».

أسلم بن عمرو قد تعاطيت غاية *** تقصّر عنها بعد طول عنائك
فأقسم لو لا ابن الربيع ورفده *** لما ابتلت الدلو التي في رشائك
و ما نلت مذ صوّرت إلا عطية *** تقوم بها مصرورة في رداك

مات عن غير وارث فوّه الرشيد تركته

حدّثني وسوسة بن الموصليّ ، وهو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدّثني حماد، عن أبيه.

قال:

استوّهب أبي من الرشيد تركة سلم الخاسر، و كان قد مات عن غير وارث، فوهبها له قبل أن يتسلّمها صاحب الموارث، فحصل منها خمسين ألف دينار.

أخبرني عمي، قال: حدّثني أبو هفّان، عن سعيد بن هريم و أبي دعامة أنه رفع إلى الرشيد أن سلما الخاسر قد توفي، و خلّف ممّا أخذه منه خاصة و من زبيدة ألف ألف و خمسمائة ألف درهم سوى ما خلّفه من عقار و غيره مما اعتقده (1) قديما، فقبضه الرشيد. و تظلم إليه مواليه من آل أبي بكر الصديق، رضوان الله عليه، فقال: هذا/خادمي و نديمي، و الذي خلّفه من مالي، فأنا أحقّ به، فلم يعطهم إلا شيئا يسيرا من قديم أملاكه.

رثاؤه معن بن زائدة و مالكا و شهابا ابني عبد الملك بن مسمع

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل، عن القحذميّ، قال: كان مالك و شهاب ابنا عبد الملك بن مسمع و معن بن زائدة متواخين، لا يكادون يفترقون. و كان سلم الخاسر ينادمهم و يمدحهم، و يفضلون عليه و لا يحوجونه إلى غيرهم، فتوفّي مالك ثم أخوه ثم معن في مدة متقاربة، فقال سلم يرثيهم:

عين جودي بعبرة تهتان (2) *** و اندي من أصاب ريب الزمان

و إذا ما بكيت قوما كراما *** فعلى مالك أبي غسان

أين معن أبو الوليد و من كا (3) *** ن غياثا للهلك الحيران

طرتك المنون لا واهي الحب *** ل و لا عاقدا بحلف يمان

و شهاب و أين مثل شهاب *** عند بذل التدى و حرّ الطعان

ربّ خرق (4) رزته من بني قي *** س و خرق رزّت من شبان

درّ (5) درّ الأيام ما ذا أجنّت (6) *** منهم في لفائف الكتان (7)!

- 1- اعتقده: جمعه.
- 2- عبرة تهتان: منصبة، وصف بالمصدر.
- 3- ف: «وقد كان».
- 4- الخرق: السخي، أو الظريف في سخاوة.
- 5- در: كثر، و الدر: اللبن. و دردره: دعاء له بكثرة الخير؛ والمراد هنا التعجب.
- 6- أجت: وارت.
- 7- مم: «الأكفان».
- 8- س: «يُست»، تحريف.

أو هما ما هما لبذل العطايا *** و للف الأقران بالأقران

يسبقان المنون طعنا وضربا *** و يفكّان كلّ كبل (1) و عان (2)

أمر له الرشيد بمائة ألف درهم في قصيدة أنشده إياها

أخبرني وكيع، قال: حدّثني يزيد بن محمد المهلبّي، قال: حدّثني عبد الصمد بن المعدّل، قال:

لما أنشد سلم الخاسر الرشيد قصيدته فيه:

حضر الرّحيل و شدّت الأحداج

أمر له بمائة ألف درهم.

من شعره في الفضل بن يحيى و جائزته عليه

حدّثني جحظة قال: حدّثني ميمون بن هارون قال:

دخل سلم الخاسر على الفضل بن يحيى في يوم نيروز و الهدايا بين يديه، فأنشده:

أ من ربيع تسائله *** و قد أقوت منازلها

بقلبي من هوى الأطلا *** ل حبّ ما يزياله

رويدكم عن المشغو *** ف إنّ الحبّ قاتله

بلا بل صدره تسري *** و قد نامت عواذله

أحقّ الناس بالتفض *** يل من ترجى فواضله

رأيت مكارم الأخلا *** ق ما ضمّت حمائله

فلست أرى فتى في النا *** س إلا الفضل فاضله

يقول لسانه خيرا *** فتفعله أنامله

أو مهما يرج (3) من خير *** فإن الفضل فاعله

و كان إبراهيم الموصليّ و ابنه إسحاق حاضرين، فقال لإبراهيم: كيف (4) ترى و تسمع؟ قال: أحسن مرئيّ و مسموع، و فضل الأمير أكثر منه. فقال: خذوا جميع ما أهدي إليّ اليوم فاقسموه بينكم أثلاثا (5) إلا ذلك التمثال، فإني أريد أن أهديه اليوم إلى دنانير، ثم قال: لا، و الله،

ما هكذا تفعل الأحرار، يقوّم وندفع إليهم ثمنه، ثم نهديه.

فقوّم بالفي دينار، فحملها إلى القوم من بيت ماله، واقتسموا جميع الهدايا بينهم.

ص: 187

1- الكبل: القيد؛ أو أعظم ما يكون من القيود.

2- العاني: الأسير.

3- في التجريد: «ترج».

4- في التجريد: «كيف ما ترى». و سقط فيه: كلمة «تسمع».

5- كذا في المختار وفي س: «ثلاثا»، وهو تحريف.

شعر له يعده معن بن زائدة أحسن ما مدح به

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدّثني عيسى بن إسماعيل تينة، قال: حدّثني القحذمي، قال:

قيل لمعن بن زائدة: ما أحسن ما مدحت به من الشعر عندك؟ قال: قول سلم الخاسر:

أبلغ الفتیان مألّكة (1) *** أن خير الودّ ما نفعاً

أنّ قرماً (2) من بني مطر *** أتلفت كفاه ما جمعا

كلّما عدنا لنائله *** عاد في معروفه جذعا (3)

شعر له في الفضل بن يحيى و قد أشار برأى أخذ به

أخبرني عمي، قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني أبو توبة، وأخبرني الحسن بن علي، قال:

حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه، عن أبي توبة، قال:

حدث في أيام الرشيد أمر فاحتاج فيه (4) إلى الرأي، فأشكل، وكان الفضل بن يحيى غائباً، فورد في ذلك الوقت، فأخبروه بالقصة، فأشار بالرأي في وقته، وأنفذ الأمر على مشورته، فحمد ما جرى فيه، فدخل عليه سلم الخاسر فأنشده:

بديهته وفكرته سواء *** إذا ما نابه الخطب الكبير

وأحزم ما يكون الدهر رأياً *** إذا عي (5) المشاور والمشير (6)

فأمر له بعشرة آلاف درهم.

اشترى سكوت أبي الشمقمق عن هجائه

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثني أبو العيناء، قال: حدّثني الجمّاز أنّ أبا الشمقمق جاء إلى سلم الخاسر يستميحه فمنعه، فقال له: اسمع إذا ما قلته، وأنشده:

حدّثوني أنّ سلماً *** يشتكي جارة أيره

فهو لا يحسد شيئاً *** غير أير في است غيره

وإذا سرّك يوماً *** يا خليلي نيل خيره

قم فمر راهبك الأوص *** لع يقرع باب ديره

فضحك سلم، وأعطاه خمسة دنانير، وقال له: أحب - جعلت فداك - أن تصرف راهبك الأصلع عن باب ديرنا.

- 1- المألّكة: الرسالة.
- 2- القرم: السيد.
- 3- الجذع: الشاب الحدث، والمراد: عاد أكثر ارتياحا للندى.
- 4- كذا في المختار، وفي س: «إليه»، وهو تحريف. وفي التجريد، ف، مم: «فاحتيج».
- 5- في التجريد: «أعيا».
- 6- زاد في المختار بعد هذا البيت: و صدر فيه لهم اتساع إذا ضاقت عن الهمّ الصدور

أنشد الرشيد فتطير و أمر بإخراجه

أخبرنا الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني أحمد بن أبي كامل، قال: حدّثني أبو دعامة، قال:

دخل سلم الخاسر على الرشيد، فأنشده:

احيِّ الأحبّة بالسلام

فقال الرشيد:

حيّاهم الله بالسلام

فقال:

على وداع أم مقام

فقال الرشيد: حيّاهم الله على أيّ ذلك كان، فأنشده:

لم يبق منك و منهم *** غير الجلود على العظام

فقال له الرشيد: بل منك، و أمر بإخراجه، و تطيّر منه، و من قوله، فلم يسمع منه باقي الشعر و لا أثابه بشيء.

شعره في الهادي حين بويج له

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، قال:

أتت وفاة المهديّ إلى موسى الهادي، و هو بجرجان، فبويج له هناك، فدخل عليه سلم الخاسر مع المهنيين، فهنأه بخلافة الله، ثم أنشده:

لما أتت خير بني هاشم *** خلافة الله بجرجان

شمّر للحزم (1) سراييله *** برأي لا غمر و لا وان

لم يدخل الشورى على رأيه *** و الحزم لا يمضيه رأيان

يقر بأستاذية بشار له

أخبرني الحسن بن عليّ و عمي، قالوا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني صالح بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال:

دخل سلم الخاسر على الرشيد، و عنده العباس بن محمد و جعفر بن يحيى، فأنشده قوله فيه:

احضر الرّحيل و شدّت الأحجاج (2)

1- في التجريد: «للحرب».

2- عجزه كما في التجريد: وغدا بهن مشمر مزعاج والأحداج، جمع الحدج، بكسر فسكون، وهو مركب للنساء.

فلما انتهى إلى قوله:

إن المنايا في السيوف كوامن *** حتى يهيجاً فتى هياج

فقال الرشيد: كان ذلك معن بن زائدة، فقال: صدق أمير المؤمنين، ثم أنشد حتى انتهى إلى قوله:

و مدجج يغشى المضيق بسيفه *** حتى يكون بسيفه الإفراج

فقال الرشيد: ذلك يزيد بن يزيد، فقال: صدق أمير المؤمنين، فاعتاظ جعفر بن يحيى، و كان يزيد بن يزيد عدوًا للبرامكة، مصافياً للفضل بن الربيع، فلما انتهى إلى قوله:

نزلت نجوم الليل فوق رءوسهم *** و لكل قوم كوكب وهاج

قال له جعفر بن يحيى: من قلّة الشعر حتى (1) تمدح أمير المؤمنين بشعر قيل في غيره! هذا لبشار في فلان التميمي، فقال الرشيد: ما تقول يا سلم؟ قال: صدق يا سيدي، و هل أنا إلا جزء من محاسن بشار، و هل أنطلق إلا بفضل منطقته! و حياتك يا سيدي إني لأروي له تسعة آلاف بيت ما يعرف أحد غيري منها شيئاً، فضحك الرشيد، و قال: ما أحسن الصدق! امض في شعرك، و أمر له بمائة ألف درهم، ثم قال للفضل بن الربيع: هل قال أحد غير سلم في طيننا المنازل شيئاً؟ - و كان الرشيد قد انصرف من الحج، / و طوى المنازل.

وصفه هو و النمري على الرشيد للمنازل

فوصف ذلك سلم - فقال الفضل: نعم يا أمير المؤمنين، التّمريّ، فأمر سلماً أن يثبت قائماً حتى يفرغ النمريّ من إنشاده، فأنشده التّميريّ قوله:

تخرق سربال الشباب مع البرد *** و حالت لنا أمّ الوليد عن العهد

فقال الرشيد للعباس بن محمد: أيهما أشعر عندك يا عم؟ قال: كلاهما شاعر، و لو كان كلام يستفحل (2) لجودته حتى يؤخذ منه نسل لاستفحلت كلام التّمريّ، فأمر له بمائة ألف درهم أخرى.

رثاه أشجع السلمي

إشارة

أخبرني عمي، قال: أنشدني أحمد بن أبي طاهر لأشجع السلمي يرثي سلماً الخاسر و مات سلم قبله:

يا سلم إن أصبحت في حفرة *** مؤسداً تراباً و أحجاراً

فربّ بيت حسن قلته *** خلّفته في الناس تباراً

قلّدتّه ربّاً و سيّرتّه *** فكان فخراً منك أو عاراً

لو نطق الشعر بكى بعده *** عليه إعلانا وإسرارا

صوت

يا ويح من لعب الهوى بحياته *** فأماته من قبل حين مماته

من ذا كذا كان الشقي بشادن *** هاروت بين لسانه ولهاته

ص: 190

1- في التجريد: «من قلة شعر يمدح».

2- في التجريد: «ولو كان الشعر يستفحل».

و حياة من أهوى فإني لم أكن *** يوماً لأحلف كاذباً بحياته

لأخالفنَّ عواذلي في لذتي *** ولأسعدنَّ أخي على لذاته

الشعر لبعض شعراء الحجازيين ولم يقع إلينا اسمه، والغناء لأبي صدقة رمل بالبنصر(1).

ص: 191

1- كذا في ف، مم، ما، مج. وجاء في ب، س مكان هذه الأبيات بعد كلمة صوت: أجلك ما تعفو كلوم مصيبة على صاحب إلا فجعت بصاحب تقطع أحشائي إذا ما ذكرتكم و تنهل عيني بالدموع السواكب عروضه من الطويل. الشعر لسلمة بن عياش، والغناء لحكم، وله فيه لحنان بالبنصر و هزج بالوسطى. و ما أثبتناه أنسب للترجمة التالية.

اسمه مسكين بن صدقة من أهل المدينة، مولى لقريش. و كان مليح الغناء، طيب الصوت، كثير الرواية، صالح الصنعة؛ من أكثر الناس نادرة، وأخفهم روحا، وأشدّهم طمعا، وألحهم في مسألة. و كان له ابن يقال له:

صدقة يغني، وليس من المعدودين، و ابن ابنه أحمد بن صدقة الطنبوريّ - أحد المحسنين من الطنبوريين، و له صنعة جيدة، و كان أشبه الناس بجده في المزح و النوادر. و أخباره تذكر بعد أخبار جده. و أبو صدقة من المغنين الذين أقدمهم هارون الرشيد من الحجاز في أيامه.

يذكر أسباب كثرة سؤاله

أخبرني عليّ بن عبد العزيز، عن عبيد الله بن عبد الله، قال:

قيل لأبي صدقة ما أكثر سؤالك، و أشدّ إلحاحك! فقال: و ما يمنعني من ذلك، و اسمي مسكين، و كنتي أبو صدقة، و امرأتي فاقه، و ابني صدقة!

بتغني مع مغني الرشيد فيشتد طرب الرشيد لغناؤه

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلانيّ، قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم، قال:

حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي أن الرشيد قال للحارث بن سُخْرٍ: قد اشتيت أن أرى ندمائي و من يحضر مجلسي من المغنين جميعا في مجلس واحد، يأكلون و يشربون، و يتبدّلون منسطين على غير هيئة و لا احتشام، بل يفعلون ما يفعلون في منازلهم و عند نظرائهم، و هذا لا- يتمّ إلا- بأن أكون بحيث لا- يروني، عن غير علم منهم برويتي إياهم. فأعدّ لي مكانا أجلس فيه أنا و عمّي سليمان و إخوتي: إبراهيم بن المهديّ، /و عيسى بن جعفر (2)، و جعفر بن يحيى. فإنا مغلّسون (3) عليك غداة غد، و استزر أنت محمد بن خالد بن برمك، و خالد أخا مهرويه، و الخضر بن جبريل، و جميع المغنين، و أجلسهم بحيث نراهم و لا يروننا، و أبسط الجميع، و أظهر برّهم، و اخلع عليهم، و لا تدع من الإكرام شيئا إلا فعلته بهم. ففعل ذلك الحارث، و قدّم إليهم الطعام فأكلوا، و الرشيد ينظر إليهم، ثم دعا لهم بالنبيذ. فشربوا، و أحضرت الخلع، و كان ذلك اليوم يوما شديد البرد، فخلع على ابن جامع جبة خزّ طارونيّ (4) مبطنه بسمّور صينيّ، و خلع على إبراهيم الموصلي جبة و شي كوفي مرتفع مبطنه بفنك (5)، و خلع

1- هذه الترجمة مما سقط من طبعة بولاق.

2- ف: «إسماعيل بن جعفر».

3- مغلسون: قادمون بغلس، و هو ظلمة آخر الليل.

4- الطاروني: نوع من الخبز.

5- الفنك، بالتحريك: دابة فروتها أطيب الفراء، و المراد بجلد فنك.

على أبي صدقة درّاعة (1) ملحم (2) خراسانيّ محشوّة بقز، ثم تغنى ابن جامع، و تغنى بهذه إبراهيم، و تلاهما أبو صدقة فغنى لابن سريج:

و من أجل ذات الخال أعملت ناقتي *** أكلفها سير الكلال مع الظّل (3)

فأجاده، و استعاده الحارث ثلاثا و هو يعيده. فقال له الحارث: أحسنت و الله يا أبا صدقة! قال له: هذا غنائيّ و قد قرصني البرد، فكيف تراه (4) - فديتك - كان يكون (4) لو كان تحت درّاعتي هذه شعيرات؟ يعني الوبر، و الرشيد يسمع ذلك/فضحك، فأمر بأن يخلع عليه دراعة ملحم مبطنة بفنك، ففعلوا، ثم تغنى الجماعة، و غنى أبو صدقة لمعبد:

بأن الخليط على بزل (5) مخيصة (6) *** هدل المشافر أدنى سيرها الرّمل

ثم تغنى بعده لمعبد أيضا:

بأن الخليط و لو طووعت ما بانا *** و قطعوا من حبال الوصل أقرانا (7)

فأقام فيهما جميعا القيامة، فطرب الرشيد حتى كاد أن يخرج إلى المجلس طربا فقال له الحارث: أحسنت و الله يا أبا صدقة - فديتك - و أجملت، فقال أبو صدقة: فكيف ترى - فديتك - الحال تكون لو كانت على هذه الدراعة نقيطات؟ يعني الوشي، فضحك الرشيد حتى ظهر ضحكه، و علموا بموضعه، و عرف علمهم بذلك، فأمر بإدخالهم إليه، و أمر بأن يخلع على أبي صدقة دراعة أخرى مبطنة، فخلعت عليه.

صادره الحسن بن سليمان على جعل يأخذه و يكف عن السؤال فلم يف له

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال:

سأل الحسن (8) بن سليمان أخو عبيد الله بن سليمان الطفيليّ (9) الفضل و جعفر ابني يحيى أن يقيما عنده يوما، فأجاباه (10)، فواعد عدة من المغنين، فيهم أبو صدقة المدني، فقال لأبي صدقة: إنك تبرم بكثرة السؤال:

فصادرنني (11) على شيء أدفعه إليك/ و لا- تسأل شيئا غيره، فصادره على شيء أعطاه إياه. فلما جلسوا و غنّوا أعجبوا بغناء أبي صدقة، و اقترحوا عليه أصواتا من غناء ابن سريج و معبد و ابن محرز و غيرهم، فغنّاهم، ثم غنى - و الصنعة له رمل:

ص: 193

1- الدراعة: جبة مشقوقة المقدم.

2- الملحم: نوع من الثياب.

3- البيت لعمر بن أبي ربيعة، في ديوانه - 330، و الظلع: مصدر ظلع، كمنع: إذا غمز في مشيه.

4- في س: «فتكون»، و هو تحريف.

5- البزل: جمع البازل، و هو الجمل أو الناقة بزل نابها: أي انشق، و يكون ذلك في تاسع سنه.

6- مخيصة: مروضة مذلة.

7- الأقران: جمع قرن، كسهل، و هو الحبل المفتول من لحاء الشجر، و الخصلة المفتولة من الصوف.

8- ف: «الحسين بن سليمان».

9- ف: «اللطفي».

10- في س: «فأجاب»، وهو تحريف.

11- صادرني على شيء: طالبني به.

يا ويح من لعب الهوى بحياته *** فأماته من قبل حين مماته

من ذا كذا كان الشقيّ بشادن(1) *** هاروت بين لسانه ولهاته(2)

وذكر الأبيات الأربعة المتقدم ذكرها، قال: فأجاد وأحسن ما شاء، وطرب جعفر، فقال له: أحسنت وحياتي، و كان عليه دَوّاج(3) خَزّ مبطن بسمّور جيد، فلما قال له ذلك شرهت نفسه و عاد إلى طبعه، فقال:

لو أحسنت ما كان هذا الدوّاج عليك، و لتخلعتّ عليّ، فألقاه عليه، ثم غتّى أصواتا من القديم والحديث، و غتّى بعدها من صناعته في الرمل:

لم يطل العهد فتساني *** و لم أغب عنك فتعاني

بدلت بي غيري و باهتني(4) *** و لم تكن صاحب بهتان

لا وثقت نفسي بإنسان *** بعدك في سرّ و إعلان

أعطيتني ما شئت من موثق *** منك و من عهد و أيمان

فقال له الفضل: أحسنت و حياتي! فقال: لو أحسنت لخلعت عليّ جبة تكون شكلا لهذا الدوّاج، فنزع جبته و خلعها عليه، و سكروا و انصرفوا. فوثب الحسن بن سليمان، فقال له: قد وافقتك على ما أرضاك، و دفعته إليك على ألاّ تسأل أحدا شيئا، فلم تف، / و قد أخذت مالك! و الله لا- تركت عليك شيئا مما أخذته، ثم انتزعه منه كرها و صرفه، فشكاه أبو صدقة إلى الفضل و جعفر، فضحكا منه، و أخلفا عليه ما ارتجعه الطفيلي(5) منه من خلعهما.

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الغناء

صوت

بان الخليط على بزل مخيصة *** هدل المشافر أدنى سيرها الرمل

من كل أعيس(6) نصّاح القفا قطم(7) *** ينفي الزمام إذا ما حنّت الإبل

الغناء لابن عائشة، خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو الهشامي، و قال الهشامي خاصة: فيه لابن محرز هزج، و لإسحاق ثقيل أول، و وافقه ابن المكّي . و ما وجدت لمعبد فيه صنعة في شيء من الروايات، إلا في المذكور.

و أما:

بان الخليط و لو طووعت ما بانا

فقد مضى في المائة المختارة، و نسب هناك و ذكرت أخباره.

- 1- الشادن: ولد الظبية.
- 2- اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق.
- 3- الدواج: اللباس فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه.
- 4- باهتني: حيرتني وأدهشتني بما تفتري عليّ من الكذب.
- 5- ف: «اللّطفي».
- 6- الأعيس: البعير الأبيض يخالط بياضه شقره.
- 7- القطم: الفحل يشتهي الضراب، و الفعل قطم، كفرح.

أخبرني رضوان بن أحمد، قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم، قال: حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ، قال:

كان أبو صدقة أسأل خلق الله وألحهم، فقال له الرشيد: ويحك ما أكثر سؤالك! فقال: وما يمنعني من ذلك، واسمي مسكين، وكنيتي أبو صدقة، واسم ابني صدقة، وكانت أمي تلقب فاقه، واسم أبي صدقة، فمن أحق مني بهذا؟.

كثرة عبث الرشيد به

وكان الرشيد يعبث به عبثاً شديداً، فقال ذات يوم لمسرور: قل لابن جامع وإبراهيم الموصلي وزبير بن دحمان وزلز و برصوما وابن أبي مريم المدني: إذا رأيتموني قد طابت نفسي، فليسألني كل واحد منهم حاجة، مقدارها مقدار صلته. وذكر لكل واحد منهم مقدار (1) ذلك، وأمرهم أن يكتبوا أمرهم عن أبي صدقة، فقال لهم مسرور ما أمره به، ثم أذن لأبي صدقة قبل إذنه لهم، فلما جلس قال له: يا أبا صدقة، قد أضجرتني بكثرة مسألتك، وأنا في هذا اليوم ضجر، وقد أحببت أن أتفرّج وأفرح، ولست آمن أن تنغص عليّ مجلسي بمسألتك، فإمّا أن أعفيتني من أن تسألني اليوم حاجة وإلا فانصرف. فقال له: يا سيدي لست أسألك في هذا اليوم، ولا إلى شهر حاجة، فقال له الرشيد: أما إذا شرطت لي هذا على نفسك، فقد اشتريت منك حوائجك بخمسمائة دينار، وها هي ذه فخذها هنيئة معجلة، فإن سألتني شيئاً بعدها في هذا اليوم، فلا لوم عليّ إن لم أصلك سنة بشيء. فقال له: نعم، وستين. فقال له الرشيد: زدني في الوثيقة، فقال: قد جعلت أمر أم صدقة في يدك، فطلّقتها متى شئت، إن شئت واحدة، وإن شئت ألفاً إن سألتك في يومي هذا حاجة. وأشهد (2) الله ومن حضر على ذلك، فدفع إليه المال، ثم أذن للجلساء والمغنين فحضروا، وشرب القوم.

فلما طابت نفس الرشيد قال له ابن جامع: يا أمير المؤمنين، قد نلت منك ما لم تبلغه أمي، وكثر إحسانك إليّ حتى كبت أعدائي وقتلتهم. وليست لي بمكة دار تشبهه/حالي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بمال أبي به داراً، وأفرشها بباقيه لأفقا عيون أعدائي وأزهد نفوسهم - فعل، فقال: وكم قدرت لذلك؟ قال: أربعة آلاف دينار، فأمر له بها. ثم قام إبراهيم الموصليّ فقال له: قد ظهرت نعمتك عليّ وعلى أكابر ولدي، وفي أصاغرهم من قد بلغ، وأريد تزويجه، ومن أصاغرهم من أحتاج إلى أن أطهره، ومنهم صغار أحتاج إلى أن أتخذ لهم خدماً، فإن رأى أمير المؤمنين أن يحسن معوتي على ذلك فعل، فأمر له بمثل ما أمر لابن جامع، وجعل كل (3) واحد منهم يقوم فيقول من الشاء ما يحضره، ويسأل حاجة على قدر جائزته، وأبو صدقة ينظر إليهم وإلى الأموال تفرّق يمينا وشمالاً، فوثب على رجله قائماً، وقال للرشيد: يا سيدي، ألقني، أقال الله عثرتك! فقال له الرشيد: لا أفعّل، فجعل يستحلفه ويضطرب (4) ويلح، والرشيد يضحك ويقول: ما إلى ذلك سبيل، الشرط أملك.

ص: 195

1- في التجريد: «مبلغ».

2- ف: «وأشهدت الله».

3- كذا في التجريد، وفي س: «لكل»، وهو تحريف.

4- كذا في التجريد، وفي س: «يضرب»، وهو تحريف.

فلما عيل صبره أخذ الدنانير فرمى بها بين يدي الرشيد، وقال له: هاكها قد رددتها عليك و زدتك فرج أم صدقة فطلّقتها إن شئت واحدة، وإن شئت ألفا. وإن لم تلحقني بجوائز القوم فألحقني بجائزة هذا الباردين الباردة عمرو الغزال(1)، وكانت صلته ألف دينار. فضحك الرشيد حتى استلقى، ثم ردّ عليه الخمسمائة الدينار، وأمر له بألف دينار معها. وكان ذلك أكثر ما أخذه منه مذ يوم خدمه إلى أن مات، فانصرف يومئذ بألف وخمسمائة دينار.

عبث جعفر بن يحيى و الرشيد به

إشارة

أخبرني رضوان بن أحمد، قال: حدّثني يوسف بن إبراهيم، قال: حدّثني أبو إسحاق، قال:

امطرنا ونحن مع الرشيد بالرقّة مطرا مع الفجر، واتصل إلى غد ذلك اليوم، وعرفنا خبر الرشيد، وأنه مقيم عند أمّ ولده المسماة بسحر، فتشاغلنا في منازلنا. فلما كان من غد جاءنا رسول الرشيد، فحضرنا جميعا، وأقبل يسأل واحدا واحدا عن يومه الماضي: ما صنع فيه فيخبره، إلى أن انتهى إلى جعفر بن يحيى، فسأله عن خبره، فقال: كان عندي أبو زكار الأعمى وأبو صدقة، فكان أبو زكار كلما غنّى صوتا لم يفرغ منه حتى يأخذه أبو صدقة، فإذا انتهى الدور إليه أعاده، وحكى أبا زكار فيه وفي شمائله وحركاته، ويفطن أبو زكار لذلك فيجن ويموت غيظا، ويشتم أبا صدقة كلّ شتم حتى يضجر، وهو لا يجيبه ولا يدع العبث به، وأنا أضحك من ذلك إلى أن توسطنا الشراب و سئمنا من العبث به، فقلت له: دع هذا و غنّ غناءك، فغنّى رملا ذكر أنه من صنعته، طربت له - والله يا أمير المؤمنين - طربا ما أذكر أني طربت مثله منذ حين، و هو:

صوت

فتنتني بفاحم اللون جعد *** و بثر كأنه نظم درّ

و بوجه كأنه طلعة البد *** ر و عين في طرفها نفث سحر

فقلت له: أحسنت والله يا أبا صدقة، فلم أسكت عن هذه الكلمة حتى قال لي: إني قد بنيت دارا حتى أنفقت(2) عليها حرييتي(3)، و ما أعددت لها فرشاً، فافرشها لي، نجد(4) الله لك في الجنة ألف قصر. فتغافلت عنه، و عاود الغناء، فتعمدت أن قلت له: أحسنت، ليعاود مسألتي و أتغافل عنه، فسألني و تغافلت، فقال لي: يا سيدي هذا التغافل متى حدث لك؟ سألتك بالله، و بحق أيبك عليك إلا أجبتي عن كلامي و لو بشتّم! فأقبلت عليه و قلت له: أنت والله بغيض، اسكت يا بغيض، و اكفف عن هذه المسألة الملحة، فوثب من بين يديّ، و ظننت أنه خرج لحاجة، و إذا هو قد نزع ثيابه و تجرد منها خوفا من أن تبتّل، و وقف تحت السماء، لا يواريه منها شيء و المطر يأخذه، و رفع رأسه و قال: يا رب أنت تعلم أني مله، و لست نائحا، و عبدك هذا الذي رفعته و أحوجتني إلى خدمته يقول لي: أحسنت، لا يقول لي: أسأت، و أنا منذ جلست أقول له: بنيت، لم أقل: هدمت، فيحلف بك جرأة عليك أني بغيض، فاحكم بيني و بينه يا سيدي، فأنت خير الحاكمين.

1- ف: «عمرو بن الغزال».

2- ف: «دارا أنفقت».

3- حريبة الرجل: ماله الذي سلبه.

4- نجد: زين.

فغلبني الضحك، وأمرت به فتنحى، و جهدت به أن يغني، فامتنع حتى حلفت له بحياتك يا أمير المؤمنين أنى أفرش له داره، و خدعته فلم أسم له ما أفرشها به، فقال الرشيد: طيب والله! الآن تم لنا به اللهو، و هو ذا أدعو به، فإذا رآك فسوف يقتضيك الفرش، لأنك حلفت له بحياتي، فهو ينتج ذلك بحضرتي ليكون أوثق له، فقل له: أنا أفرشها لك بالبواري(1)، و حاكمه إليّ. ثم دعا به فأحضر، فما استقر في مجلسه حتى قال لجعفر بن يحيى: الفرش الذي حلفت لي بحياة أمير المؤمنين أنك تفرش به داري، تقدّم فيه، فقال له جعفر: اختر، إن شئت فرشتها لك بالبواري، و إن شئت بالبرديّ من الحصر، فضج و اضطرب.

فقال له الرشيد: و كيف كانت القصة؟ فأخبره، فقال له: أخطأت يا أبا صدقة، إذ لم تسمّ النوع و لا حدّدت القيمة، فإذا فرشها لك بالبواري أو بالبرديّ أو بما دون ذلك فقد و في يمينه، و إنما خدعك، و لم تظن له أنت، و لا توثقت، و ضيّعت حقك. فسكت، و قال: نوّفّر البرديّ و البواريّ عليه أيضا، أعزه الله. و غنى المغنون حتى انتهى إليه الدور، فأخذ يغني غناء الملاحين و البنائين و السقائين و ما جرى مجراه من الغناء، فقال له الرشيد: أيش هذا الغناء و يلك! قال: من فرشت داره بالبواري و البردي فهذا الغناء كثير منه، و كثير أيضا لمن هذه صلته، فضحك الرشيد و الله و طرب و صفق، ثم أمر له بألف دينار من ماله و قال له: أفرش دارك من هذه، فقال: و حياتك لا آخذها يا سيدي أو تحكم لي على جعفر بما وعدني، و إلاّ متّ و الله أسفا لفوات ما حصل في طمعي و وعدت به، فحكم له على جعفر بخمسمائة دينار، فقبلها جعفر، و أمر له بها.

قصة وصوله إلى السلطان

إشارة

أخبرني محمد بن يزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: كان سبب وصول أبي صدقة إلى السلطان أنّ أبي لما حجّ مرّ بالمدينة، فاحتاج إلى قطع ثياب، فالتمس خياطا حاذقا، فدلّ على أبي صدقة، و وصف به بالحذق في الخياطة و الحذق في الغناء و خفة الروح، فأحضره فقطع له ما أراد و خاطه، و سمع غناءه فأعجبه؛ و سأله عن حاله، فشكا إليه الفقر، فخلّف لعياله نفقة سابعة لسنة، ثم أخذ معه و خلطه بالسلطان.

قال(2) حماد: فقال أبو صدقة يوما لأبي: قد اقتصرت بي(3) على صنعة أبي إسحاق أيبك، رحمه الله عندي، و أنت لا، ربّ(4) ذلك بشيء، فقال له: هذه الصينية الفضة التي بين يديّ لك إذا انصرفت، فشكره و سرّ بذلك، و لم يزل يغنيه بقية يومه، فلما أخذ النبيذ فيه قام قومة ليبول، فدعا أبي بصينية رصاص فحول قنينته و قدحه فيها، و رفع الصينية الفضة، فلما أراد أبو صدقة الانصراف شدّ أبي الصينية في منديل، و دفعها إلى غلامه، و قال له: بت الليلة عندي و اصطح غدا، و اردد دابتك. فقال: إني إذا/الأحمق، أدفع إلى غلامي صينية فضة، فيأخذها و يطمع فيها أو يبيعها، و يركب الدابة و يهرب، و لكنني أبيت عندك، فإذا انصرفت غدا أخذتها معي، و بات و أصبح عندنا مصطبحا، فلما كان وقت انصرافه أخذها و مضى، فلم يلبث من غد أن جاءنا و الصينية معه، فإذا هو قد وجّه بها لتباع، فعرفوه أنها رصاص، فلما رآه أبي من بعيد ضحك، و عرف القصة، و تماسك، فقال له أبو صدقة: نعم الخلافة خلفت

ص: 197

1- البواري: جمع الباربة، و هي الحصر المنسوج.

2- الفقرة التي أولها: قال حماد إلى آخر الترجمة زيادة في س على ما في ف.

3- في س: ((به))، وهو تحريف.

4- رب ذلك: زدت.

أباك، و ما أحسن ما فعلت بي! قال: و أيّ شيء فعلت بك؟ قال: أعطيتني صينية رصاص، فقال له أبي: سخنت عينك! سخرت امرأتك بك، و أنا من أين لي صينية رصاص؟ فتشكك ساعة، ثم قال: أظن و الله أن ذلك كذلك، فقام. فقال له أبي: إلى أين؟ قال: أضع و الله عليها السوط فأضربها به حتى تردّ الصينية، فلما رأى أبي الجدّ منه قال له: اجلس يا أبا صدقة، فإنما مزحت معك، و أمر له بوزنها دراهم.

صوت

إنّ من يملك رقيّ *** مالك دقّ الرّقاب

لم يكن يا أحسن العا *** لم هذا في حسابي

الشعر لفضل الشاعرة، و الغناء لعريب خفيف ثقيل بالوسطى، عن ابن المعتز (1).

ص: 198

1- كذا في ف، ما: حم، حج، و جاء في س مكان هذين البيتين بعد كلمة «صوت»: لقد علمت و ما الإسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني أسعى له فيغنيني تطلبه و لو جلست أتاني لا يعنيني الشعر لعروة بن أذينة، و الغناء لمخارق، ثقيل أول بالبنصر، عن عمرو. و ما أثناه أنسب للترجمة التالية.

نشأتها و صفاتها

كانت فضل جارية مولّدة من مولّدات البصرة، و كانت أمها من مولّدات اليمامة. بها ولدت، و نشأت في دار رجل من عبد القيس، و باعها بعد أن أدّبها و خرّجها، فاشترت و أهدت إلى المتوكل. و كانت هي تزعم أن الذي باعها أخوها، و أن أباها وطئ أمها فولدتها منه، فأدّبها و خرّجها معترفًا بها، و أنّ بنيه من غير أمها تواطئوا على بيعها و جحدها، و لم تكن تعرف بعد أن أعتقت إلا بفضل العبدية. و كانت حسنة الوجه و الجسم و القوام، أدبية فصيحة سريعة البديهة، مطبوعة في قول الشعر. و لم يكن في نساء زمانها أشعر منها.

كانت تجلس للرجال و يجيئها الشعراء

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر، قال: كانت فضل الشاعرة لرجل من النّخاسين بالكرخ يقال له: حسنويه، فاشترها محمد بن الفرّج أخو عمر بن الفرّج الرّحجيّ، و أهداها إلى المتوكل، فكانت تجلس للرجال، و يأتيها الشعراء، فألقى عليها أبو دلف القاسم بن عيسى:

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم *** أشهى المطيّي إليّ ما لم يركب

كم بين حبّة لؤلؤ مثقوبة *** نظمت و حبة لؤلؤ لم تثقب

فقال فضل مجيبة له:

إن المطية لا يلدّ ركوبها *** ما لم تدلّل بالرّمام و تركب

و الدّرّ ليس بنافع أصحابه *** حتى يؤلّف للنّظام بمثقب(2)

شعرها في المتوكل حين دخلت عليه

حدّثني عمّي و محمد بن خلف، قالوا: حدّثنا أبو العيّن، قال: لما دخلت فضل الشاعرة على المتوكل يوم أهدت إليه قال لها: أشاعرة أنت؟ قالت: كذا زعم من باعني و اشتراني، فضحك و قال: أنشدنا شيئًا من شعرك فأنشدته:

استقبل الملك إمام الهدى *** عام ثلاث و ثلاثين

- تعني سنة ثلاث و ثلاثين و مائتين من سني الهجرة -:

- 1- وهذه الترجمة أيضا مما سقط من طبعة بولاق.
- 2- في المختار: و الحبّ ليس بنافع أربابه ما لم يؤلف في النظام و يثقب.

خلافة أفضت إلى جعفر *** و هو ابن سبع بعد عشرينا

إنّا لنجو يا إمام الهدى *** أن تملك الناس (1) ثمانينا

لا قدس الله امرأ لم يقل *** عند دعائي لك: آمينا

فاستحسن الأبيات، و أمر لها بخمسة آلاف درهم، و أمر عريب (2) فغنت فيها.

شعرها على لسان المعتمد في جارية

حدّثني عمّي، قال: حدّثني أبو عبد الله أحمد بن حمدون، قال: عرضت على المعتمد جارية تباع في خلافة المتوكل، و هو يومئذ حديث السنّ، فاشتطّ مولاها في السّوم، فلم يشتريها، و خرج بها إلى ابن الأغلب، فبيعت هناك. فلما ولي المعتمد الخلافة سأل عن خبرها، و قد ذكرها فأعلم أنها بيعت و أولدها مولاها، فقال لفضل الشاعرة: قولي فيها شيئا، فقالت:

علم الجمال تركتني *** في الحبّ أشهر من علم

و نصبتني يا منيتي *** غرض المظنّة و التّهم

فارقنتي بعد الدّنوّ *** فصرت عندي كاللحم

فلو أنّ نفسي (3) فارقت *** جسمي لفقدك لم تلم

/ما كان ضرّك لو وص *** لت فحخف عن قلبي الألم

برسالة تهدينها *** أو زورة تحت الظلم

أو لا فظيفي (4) في المنا *** م فلا أقلّ من اللّم

صلة المحبّ حبيبه *** الله يعلمه كرم

شعر لها تجيب به عن شعر في الشوق إليها

إشارة

حدّثني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: كتب بعض أهلنا إلى فضل الشاعرة:

أصبحت فردا (5) هائم العقل *** إلى غزال حسن الشكل

أضنى فؤادي طول عهدي به *** و بعده منّي و من وصلني

منية نفسي في هوى فضل *** أن يجمع الله بها شملي

أهواك يا فضل هوى خالصا *** فما لقلبي عنك من شغل

قال: فأجابته:

ص: 200

1- ف: «الأرض»، وفي ما: «الأمر».

2- في المختار، ف: «ما عربها»، وهو تحريف.

3- ف، ما: «روحي».

4- طيفي: أمر من طاف الخيال يطيف: إذا جاء في النوم، وفي ف، مم: «أولا فطيف».

5- ف، ما: «صبا».

الصبر ينقص و السقام (1) يزيد *** و الدار دانية و أنت بعيد

أشكوك أم أشكو إليك فإنه *** لا يستطيع سواهما المجهود

إني أعود بحرمتي بك في الهوى *** من أن يطاع لديك في حسود (2)

في هذه الأبيات رمل طنبوري. و أظنه لجحظة.

شعر آخر تبادل فيه شوقا بشوق

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدّثني الحسن بن عيسى الكوفيّ، قال: حدّثنا أبو دهمان، و أخبرني أيضا به عبد الله بن نصر المروزيّ، قال:

/كانت فضل الشاعرة من أحسن الناس وجهها و خلقا و خلقا و أرقهم شعرا، فكتب إليها بعض من كان يجمعه و إياها مجلس الخليفة، و لا تطلعه على حبها (3) له:

ألا ليت شعري فيك (4) هل تذكريني *** فذكراك في الدنيا إليّ حبيب

و هل لي نصيب في فؤادك ثابت *** كما لك عندي في الفؤاد نصيب

و لست بموصول فأحيا بزورة *** و لا النفس عند اليأس عنك تطيب

قال: فكتبت إليه:

نعم (5) و إلهي إنني بك صبة *** فهل أنت يا من لا عدمت مثير؟ (6)

لمن أنت منه في الفؤاد مصوّر *** و في العين نصب العين حين تغيب

فثق بوداد أنت مظهر مثله *** على أنّ بي سقما و أنت طيب

تجيز بيتا أنشده المتوكل

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثني يحيى بن عليّ بن يحيى المنجم، قال: حدّثني الفضل بن العباس الهاشميّ، قال: حدّثني بنان الشاعرة، قالت (7):

اتكأ المتوكل على يدي و يد فضل الشاعرة، و جعل يمشي بيننا، ثم قال: أجزا لي قول الشاعر:

تعلمت أسباب الرضا خوف عتبا (8) *** و علّمها حبّي لها كيف تغضب

- 1- في المختار: «الغرام».
- 2- في ما: «يا منيتي من أن يطاع حسود».
- 3- في المختار: «يطلعها على حبه لها».
- 4- في المختار: «فضل»، وهي أوضح وأشبه.
- 5- في المختار: «لعمر إلهي».
- 6- في المختار: «نصيب».
- 7- في س: «قال»، وهو تحريف.
- 8- في المختار: «سخطها».

فقال له فضل:

تصدّ و أدنوبالمودة جاهدا *** و تبعد عني بالوصال و أقرب

/فقلت أنا:

و عندي لها العتبي على كلّ حالة *** فما منه لي بدّ و لا عنه مذهب

تجيب بيت عن بيت ألقى عليها

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر، قال: ألقى بعض أصحابنا على فضل الشاعرة:

و مستفتح باب البلاء بنظرة *** تزوّد منها قلبه حسرة الدهر

فقلت:

فو الله ما يدري أ تدري بما جنت *** على قلبه أو أهلكته و ما تدري؟

ارتجالها شعرا تجيز به بيتا

أخبرني محمد بن خلف (1)، قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر، قال:

ألقيت أنا على فضل الشاعرة:

علم الجمال تركتني *** بهواك (2) أشهر من علم

فقلت على البديهة:

و أبحتني يا سيّدي *** سقما يجلّ عن السقم

و تركتني غرضا - فدي *** تك - للعواذل و التّهم

صلة المحبّ حبيبه *** الله يعلمه كرم

أخبرني محمد بن خلف، قال: حدّثني محمد بن الوليد، قال:

سمعت عليّ بن الجهم يقول: كنت يوما عند فضل الشاعرة، فلحظتها لحظة استراحت بها، فقالت:

يا ربّ رام حسن تعرّضه *** يرمي و لا يشعر أني غرضه

/فقلت:

أَيُّ فِتْيَ لِحِظِّكَ لَيْسَ يَمْرُضُهُ *** وَأَيُّ عَقْدٍ مَحْكَمٍ لَا يَنْقُضُهُ!

فَضَحَكَتْ، وَقَالَتْ: خَذَفِي غَيْرَ هَذَا الْحَدِيثِ.

تَشْوُقٌ إِلَى حَبِيبٍ

حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُويَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَدْبَرِيِّ، قَالَ:

ص: 202

1- ف: «أخبرني علي بن صالح».

2- ف، ما: في «الجب».

كُتبت فضل الشاعرة إلى سعيد بن حميد أيام كانت بينهما محبة و تواصل:

وعيشك لو صرحت باسمك في الهوى *** لأقصرت عن أشياء في الهزل والجذ

ولكنني أبدي لهذا مودتي *** وذاك، وأخلو فيك بالبت والوجد

مخافة أن يغري بنا قول كاشح *** عدوا (1) فيسعى بالوصال إلى الصد

فكتب إليها سعيد:

تأمين عن ليلي وأسهره وحدي *** وأنهى جفوني أن تبثك ما عندي

فإن كنت لا تدرين ما قد فعلته *** بنا فانظري ما ذا على قاتل العمدة؟

قال عمي: هكذا ذكر ابن مهرويه.

وحدثني به علي بن الحسين بن عبد الأعلى، فذكر أن بيتي سعيد كانا الابتداء، وأن أبيات فضل كانت الجواب. وذكر لهما خبرا في عتاب عاتبها به، ولم أحفظه، وإنما سمعته يذكره، ثم أخرج إلي كتابا بعد ذلك فيه أخبار عن علي بن الحسين، فوجدت هذا الخبر فيه، فقرأته عليه.

قال علي بن الحسين بن عبد الأعلى:

/حضر سعيد بن حميد مجلسا حضرته فضل الشاعرة وبنان، وكان سعيد يهواها، وتظهر له هوى، ويتهمها مع ذلك بنان، فرأى فيها إقبالا شديدا على بنان، فغضب وانصرف، فكتبت إليه فضل بالأبيات الأولى، وأجابها بالبيتين الآخرين، فاتفقت رواية ابن مهرويه وعلي بن الحسين في هذا الخبر.

تعتذر من حجب زائرين عنها دون علمها

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أبو يوسف بن الدقاق الضريير، قال:

صرت أنا وأبو منصور البخارزي إلى منزل فضل الشاعرة فحجبنا عنها وانصرفنا، وما علمت بنا، ثم بلغها مجيئنا وانصرفنا فكرهت ذلك وغمها، فكتبت إلينا تعتذر:

وما كنت أخشى أن تروا لي زلة *** ولكن أمر الله ما عنه مذهب

أعوذ بحسن الصفح منكم وقبلنا *** بصفح و عفو ما تعوذ مذنب

فكتب إليها أبو منصور البخارزي:

لئن أهديت عتباك لي ولإخوتي *** فمثلك يا فضل الفضائل (2) يعتب

إذا اعتذر الجاني محاً العذر ذنبه *** وكلّ امرئ لا يقبل العذر مذنب

شعرها للمتوكل و قد يئست من إيقاظه لموعد بينهما

حدّثني عليّ بن هارون بن عليّ بن يحيى المنجّم، قال: حدّثني عمّي عن جدّي، قال:

قال لي المتوكل يوماً - وفضل واقفة بين يديه: يا عليّ، كان بيني وبين فضل موعد، فشربت شرباً فيه فضل،

ص: 203

1- في س: «عدو»، بالرفع.

2- في م: «الفواضل».

فسكرت و نمت، و جاءتني للموعد، فحركتني بكل ما ينتبه به النائم من قرص و تحريك و غمز و كلام، فلم أنتبه. فلما علمت أنه لا حيلة لها فيّ كتبت رقعة و وضعتها على مخدّتي، فانتبهت فقرأتها، فإذا فيها:

لقد بدا شبهك يا مو *** لاي يحدو بالظلام

قم بنا نقض لبانا *** ت التزام و الشام

قبل أن تفضحنا عو *** دة أرواح التّيام

تهاجي جارية هشام المكفوف

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر، قال:

كانت فضل الشاعرة تهاجي خنساء جارية هشام المكفوف، و كانت شاعرة، و كان أبو شبيل عاصم(1) بن وهب يعاون فضلا عليها، و يهجوها مع فضل. و كان القصيديّ و الحفصي(2) يعينان خنساء على فضل و أبي شبيل، فقال أبو شبيل على لسان فضل:

خنساء طيري بجناحين *** أصبحت معشوقة نذلين

من كان يهوى عاشقا واحدا *** فأنت تهوين عشيقين

هذا القصيديّ و هذا الفتى الح *** فصيّ قد زارك فردين

نعمت من هذا و هذا كما *** ينعم خنزير بحشّين(3)

فقال خنساء تجيبها:

ما ذا مقال لك يا فضل بل *** مقال خنزيرين فردين

يكنى أبا الشبل و لو أبصرت *** عيناه شبلا راث(4) كزّين(5)

وقالت فضل في خنساء:

إنّ خنساء لا جعلت فداها *** اشتراها الكسّار من مولاها

و لها نكهة يقول محاذي *** ها أ هذا حديثها أم فساها!

وقالت خنساء في فضل و أبي شبيل:

تقول له فضل إذا ما تخوّفت *** ركوب قبيح الدّلّ في طلب الوصل

حرّام فتى لم يلتق في الحب ذلة *** فقلت لها لا بل حرّام أبي الشبل

وقالت خنساء تهجو أبا شبل:

ما ينقضي فكري وطول تعجّبي *** من نعجة تكنى أبا الشبل

ص: 204

1- ف، م: «عصم بن وهب».

2- ف، ما: «الصلحي».

3- الحشان: مثنى حشّ، وهو البستان، ثم نقل إلى موضع قضاء الحاجة؛ لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين.

4- يقال: راث الفرس، كما يقال: تغوط الإنسان.

5- الكران: مثنى كر، بالضم. وهو مكيال، قيل: إنه أربعون إردبا.

لعب الفحول بسفلها و عجانها(1) *** فتمردت كتمرد الفحل

لما اكتنيت بما اكتنيت به *** و تسمت (2) النقصان بالفضل

كادت بنا الدنيا تميد ضحى *** و نرى السماء تذيب كالمهل(3)

قال: فغضب أبو شبل لذلك، و لم يجبها، و قال يهجو مولاها هشاما:

نعم مأوى العزاب بيت هشام *** حين يرمي اللثام باغي اللثام

من أراد السرور عند حبيب *** لينال السرور تحت الظلام

فهشام نهاره و دجى الل *** يل سواء نفسي فداء هشام

ذاك حرّ دواته ليس تخلو *** أبدا من تخرق الأقسام

زارت سعيد بن حميد فأعجلها طلب الخليفة

حدّثني عمي، قال: حدّثني ميمون بن هارون، قال:

زارت فضل الشاعرة سعيد بن حميد ليلة على موعد سبق بينهما، فلما حصلت عنده/جاءتها جاريته مبادرة تعلمها أن رسول الخليفة قد جاء

يطلبها، فقامت مبادرة فمضت، فلما كان من غد كتب إليها سعيد:

ضنّ الزمان بها فلما نلتها *** ورد الفراق فكان أقبح وارد

و الدّمع ينطق للضمير مصدّقا *** قول المقرّ مكذّبا للجاحد

ترثي المنتصر و تبكيه

حدّثني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا ابن أبي الدنيا، قال: حدّثني ميسرة بن محمد، قال: حدّثني عبيد بن محمد، قال:

قلت لفضل الشاعرة: ما ذا نزل بكم البارحة؟ - قال: و ذلك في صبيحة قتل المنتصر المتوكل(4) - فقالت و هي تبكي:

إنّ الزمان بذحل(5) كان يطلبنا *** ما كان أغفلنا عنه و أسهانا!

ما لي و للدهر قد أصبحت همته *** ما لي و للدهر لا كانا!

شعرها في حضرة المتوكل يوم نيروز

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدّثني محمد بن الفضل، قال: حدّثني أبو هفّان، قال: حدّثني أحمد بن أبي فنن، قال:

ص: 205

-
- 1- العجان: الاست.
 - 2- سمت، كأنه من السم، وهو هيئة أهل الخير، والمراد تشبه أو تزيّن.
 - 3- المهمل، من معانيه: القطران الرقيق، والغائب من الصفر والحديد.
 - 4- كذا في ف، وفي ما: «في صبيحة قتل المنتصر المعتز»، وفي س: «قتل المنتصر أو المعتز».
 - 5- الذحل: الثأر.

خرجت قبيحة(1) إلى المتوكل يوم نيروز وبيدها كأس بلور بشراب صاف، فقال لها: ما هذا فديتك؟ قالت:

هديتي لك في هذا اليوم، عرفك الله بركته! فأخذه من يدها، وإذا على خدّها: جعفر، مكتوباً(2) بالمسك، فشرب الكأس وقبل خدّها، و كانت فضل الشاعرة واقفة على رأسه فقالت:

صوت

و كاتبة بالمسك في الخدّ جعفرًا *** بنفسي سواد المسك من حيث أترا

لئن أثرت بالمسك سطرًا(3) بخدّها *** لقد أودعت قلبي من الحزن(4) أسطرًا

فيا من مناهها في السريرة جعفر *** سقى الله من سقيا ثناياك جعفرًا

الغناء لعريب، خفيف رمل. قال: وأمر عريب فغنت فيه. وقالت فضل في ذلك أيضًا:

سلافة كالقمر الباهر *** في قدح كالكوكب الزاهر

يديرها خشف(5) كبدر الدجى *** فوق قضيب أهيف ناضر

على فتى أروع من هاشم *** مثل الحسام المرهف الباتر

وقد رويت الأبيات الأولى لمحبوبة شاعرة المتوكل، ولها أخبار وأشعار كثيرة قد ذكرت بعضها في موضع آخر من هذا الكتاب.

تشوق إلى سعيد بن حميد

أخبرني محمد بن خلف، قال: أخبرني أبو الفضل(6) المرورودي، قال: كتبت فضل الشاعرة إلى سعيد بن حميد:

بثت هواك في بدني وروحي *** فألف فيهما طمعا بياس

فأجابها سعيد في رقعتها:

كفانا الله شرّ اليأس إنني *** لبغض اليأس أبغض كل آسى

تهيل إلى بنان و يفتر ما بينها و بين سعيد بن حميد

حدّثني عمّي، قال: حدّثني ابن أبي المدور الوراق، قال:

كنت عند سعيد بن حميد، وكان قد ابتدأ ما بينه وبين فضل الشاعرة يتشعب، وقد بلغه ميلها إلى بنان وهو بين المصدق والمكذب بذلك، فأقبل على صديق له فقال: أصبحت والله من أمر فضل في غرور، أخادع نفسي بتكذيب

- 1- قبيحة: اسم جارية.
- 2- ف: «وكان على خدها مكتوب جعفرًا بنفسك».
- 3- كذا في المختار، وفي س: «سكرا»، وهو تحريف.
- 4- ف، ما: «من الحب».
- 5- الخشف، مثلثة: ولد الظبي أول ما يولد، أو أول ما يمشي.
- 6- ف، ما: «الفضل».

العيان، وأمنيتها ما قد حيل دونه. والله إن إرسالي إليها بعد ما قد لاح من تغييرها لذلّ، وإن عدولي عنها وفي أمرها شبهه لعجز، وإنّ تصبري عنها لمن دواعي التلف، والله درّ محمد بن أمية(1) حيث يقول:

يا ليت شعري ما يكون جوابي *** أما الرسول فقد مضى بكتابي

و تعجّلت نفسي الظنون وأشعرت *** طمع الحريص وخيفة المرتاب

و تروعي حركات كلّ محرّك *** والباب يقرعه وليس بيابي

كم نحو باب الدار لي من وثبة *** أرجو الرسول بمطمع كذاب

و الويل لي من بعد هذا كلّه *** إن كان ما أخشاه ردّ جوابي

تعتذر إلى بنان و قد غضب عليها فلا يقبل عذرها

حدّثني جحظة، قال: حدّثني عليّ بن يحيى المنجم، قال:

غضب بنان على فضل الشاعرة في أمر أنكره عليها، فاعتذرت إليه، فلم يقبل معذرتها، فأشدتني لنفسها في ذلك:

يا فضل صبرا إنها ميتة *** يجرعها الكاذب والصادق

ظنّ بنان أنني خنته *** روعي إذا من بدني طالق

تجيز بيتا لعلّي بن الجهم طلب إليها إجازته

إشارة

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدّثني أبو العباس المروزيّ، قال:

قال المتوكل لعلّي بن الجهم: قل بيتا، و طالب فضل الشاعرة بأن تجيزه، فقال عليّ: أجزبي يا فضل:

لاذ بها يشتكي إليها *** فلم يجد عندها ملاذا

قال: فأطرقت هنيهة ثم قالت:

فلم يزل ضارعا إليها *** تهطل أجفانه رذاذا

فعاتبوه فزاد عشقا *** فمات وجدا فكان ما ذا؟

فطرب المتوكل، وقال: أحسنت و حياتي يا فضل، وأمر لها بمائتي دينار، وأمر عريب فغنّت في الأبيات.

قال مؤلف هذا الكتاب(2): أعرف في هذه الأبيات هزجا لا أدري أ هو هذا اللحن، أم غيره؟ ولم أره في أغاني عريب، ولعله شدّ عنها.

صوت

أمامة لا أراك اللّ *** ه ذل معيشة أبدا

ألا تستصلحين فتى *** وقاك السوء قد فسدا

غلام كان أهلك مرّ *** ة يدعونه ولدا

ص: 207

1- ف: «محمد بن أبي أمية».

2- ف: «قال الأصفهاني».

الشعر لعبد الله بن محمد بن سالم الخياط، و الغناء للرتّاب الجدي، ثاني ثقيل، بالوسطى عن عمرو، وفيه ليحيى المكي ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق و أحمد بن المكي.

و ذكر عبد الله بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام عن قلم الصالحية أنها أخذت اللحن المنسوب إلى الرّطاب عن تينة، و سألته عن صانعه فأخبرها أنه له.

تم الجزء التاسع عشر من كتاب الأغاني و يليه إن شاء الله تعالى الجزء العشرون و أوله: نسب ابن الخياط و أخباره

ص: 208

فهرس موضوعات الجزء التاسع عشر

الموضوع الصفحة

ذكر أبي محجن ونسبه 5

أخبار زهير بن جناب ونسبه 14

نسب مسلم بن الوليد وأخباره 24

أخبار محمد بن وهيب 52

أخبار مزاحم ونسبه 68

أخبار بكر بن النطاح ونسبه 73

مقتل مصعب بن الزبير 84

ذكر أشعب وأخباره 93

أخبار عوفيف ونسبه 123

أخبار عبد الله بن جحش 141

بعض أخبار للعرجي 144

أخبار عبد الله بن العباس الربيعي 146

أخبار سلم الخاسر ونسبه 173

أخبار أبي صدقة 192

أخبار فضل الشاعرة 199

ص: 209

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبحان
الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

